الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبة
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الحاج لخضر - باتنة
كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية
قسم علم الاجتماع والديموغرافيا

بعنوان:

سوسيولوجيا الاصلاح الديني في الجزائر

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين - نموذجا-

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع الديني

من إعداد الطالبة : زيلوخة بوقرة

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
مصطفى عوفي	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنـــــــة	رئيســـا
بلقاسم بوقرة	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنـــــــة	مقـــــررا
رشيد زرواتي	أستاذ التعليم العالي	جامعة المسيلـــة	عضـــــوا
مولود سعادة	أستاذ محاضـــر	جامعة باتنـــــــة	عضـــــوا

السنة الجامعية : 2008م-2009م

بسم الله الرحمن الرحيم

"إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم"

سورة الرعد الاية 11

اهداء

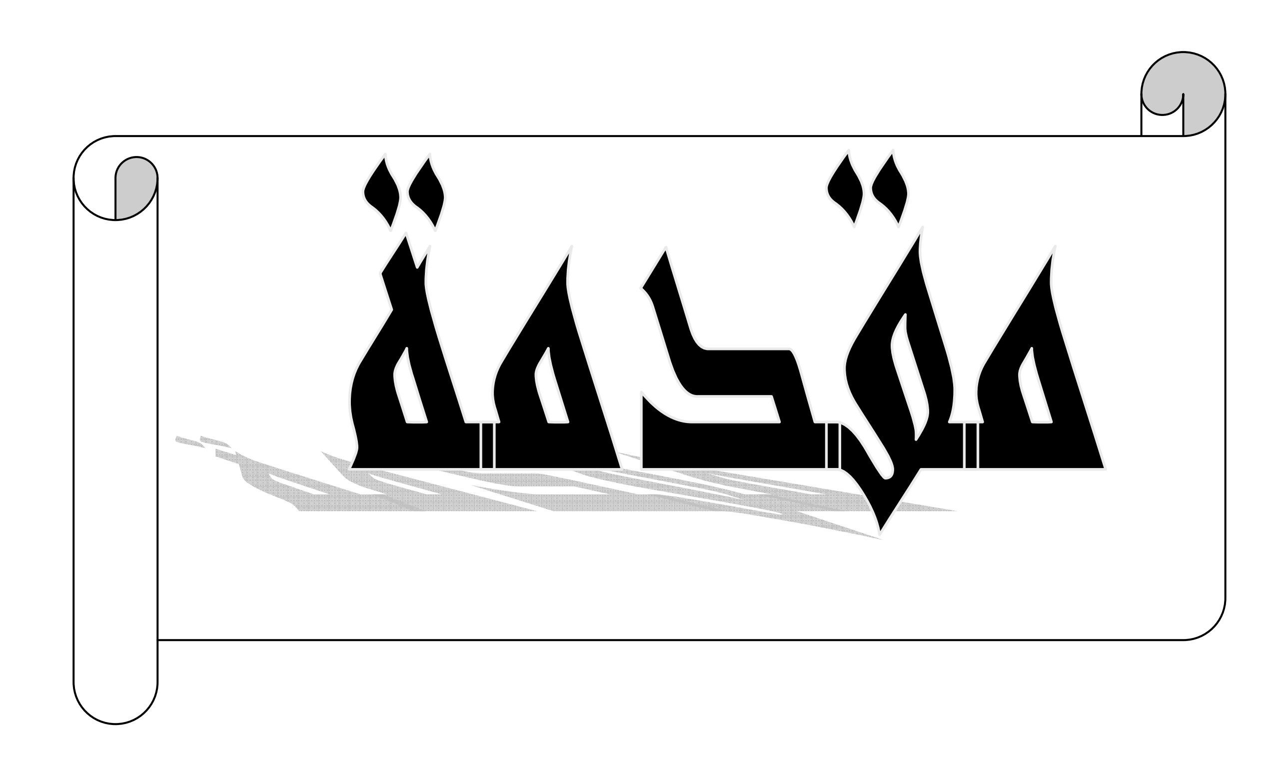
الى كل من حمل في نفسه هم الدعوة وسعى الى الاصلاح في الارض الى كل المشتغلين بوظيفة الانبياء في زمن الركود والجمود الفكري .

الى استاذي ومشرفي بلقاسم بوقرة حفظه الله وجازاه على كل ما قدمه لي من دعم وتوجيه مفيد ، الى اخي كمال سندي الاول في هذا المشروع ، الى كل اساتذتي .

الى الذين اوصاني ربي ان ادعوا لهم دائما " وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا " امي وابي حفظهما الله .

لى جميع اخوتي واخوتي الى كل افراد عائلتي ، الى كل من اعانني او شجعني الى كل هؤلاء اهدي ثمرة جهدي .

خطة البحث


مقدمة

مقدمة:

الدين شيء فطري عام لدى جميع الناس مهما كانت طبيعتهم وأوضاعهم الاجتماعية وتقوم هذه العالمية التي يتصف بها الدين على فكرة مخلوقية الإنسان و تفاعله بالحقيقة العليا التي تعد محور كل الأديان بغض النظر عن شكلها أو جوهرها.

وإذا كان الدين يمثل عند كثير من الناس عقيدة لها نسق فكري وشعائر مميزة فهو عند البعض يمثل ظاهرة اجتماعية مثلها مثل باقي الظواهر الاجتماعية الأخرى ، وبناءا على هذه النظرة الأخيرة جاءت فكرة دراسة الدين التي احتل بها مكانة هامة وعناية جمهور كبير من المتخصصين الذين تناولوه بالدراسة من مختلف جوانبه فظهرت بذلك علوم الدين المختلفة الخاصة باللاهوت أو فلسفة الدين وتاريخ الأديان والدراسات المقارنة وغيرها من العلوم التي روجت لفكرة إمكانية دراسة الدين دراسة علمية بحيث تطبق عليه المناهج المختلفة ولقد كان لكل علم من هذه العلوم السابقة الذكر جوانب اهتمام ومجموعة أبعاد وزوايا ينظر من خلالها إلى الظاهرة موضوع الدراسة.

ولعل الحافز لاهتمام السوسيولوجين بالدين راجع في أساسه إلى التقارير التي قدمها الانثروبولوجيين في بداية منتصف القرن التاسع عشر الذين حاولوا دراسة المجتمعات البدائية في إفريقيا وآسيا و توصلوا من خلالها إلى انه ليس هناك جماعة إنسانية ظهرت وعاشت ومضت قديما و حديثا دون أن تتخذ لنفسها عقيدة معينة بغض النظر عن طبيعة هذه العقيدة لذلك، اجمعوا على أن الدين منهج حياة لا بد منه لكل فرد وجماعة وهذا لما له من علاقة تفاعلية متبادلة بالنظم الاجتماعية الأخرى المكونة للمجتمع،ومع النتائج و التطورات العلمية المتأخرة التي لحقت بعلم الاجتماع في القرن التاسع عشر اهتم أكثر بالدين فافرد له فرعا خاصا يهتم بدراسة هذه الظاهرة الاجتماعية وسمى ذلك بعلم الاجتماع الديني الذي يهتم بدراسة التأثيرات المتبادلة بين الظواهر الدينية وغيرها من الظواهر الاجتماعية الأخرى كما يهتم بدراسة الوظائف الاجتماعية التي يؤديها للمجتمع والأفراد فضلا عن إبراز الدرجة التي يصل بها إلى مستوى الحفاظ على استمرارية تكامل المجتمع وتحقيق الوحدة النفسية للأفراد .

ومن الأسباب الفعلية الداعية لعلماء الاجتماع للاهتمام بالدين هو ارتباطه بالتغيرات الاجتماعية والاقتصادية الخارجية والداخلية في كل المجتمعات ومن ثم جاء إقرارهم على عدم إمكانية فهم الدين بمعزل عن باقي أنظمة المجتمع فالدين هو جزء من نسق يتأثر ويؤثر في العمليات الاقتصادية والسياسية في المجتمع وفي طبيعته.

وفي حديثنا عن وظيفة الدين التغييرية لا بد أن نفرق هنا بين وظيفته من جهة اعتباره كنسق من الأفكار الإعتقادية التي تؤثر في الأفراد وسلوكهم وبين دوره وتأثيره كنظام اجتماعي يظهر على شكل حركة دينية تهدف إلى التغيير وإذا تناولنا هذه الأخيرة بالبحث نجد أنها تظهر في بدايتها على شكل محاولة منظمة تستهدف التغيير الاجتماعي بإصلاح ما افسد من الدين بتنقيته مما ادخل إليه من تشويهات فتعتبر بذلك مصدرا هاما من مصادر التغيير الاجتماعي التي تتخذ من الدين مرجعا إيديولوجيا تعبر من خلال الأفكار التي يتضمنها عن آرائها وأهدافها التغييرية للوضع الذي اعتبرته كأزمة فتعمل على توفير الفهم والأجوبة والتبصر في مشاكل الناس وتوفير الإلهام الديني الذي يعد كدافع وكعزيمة لحل الأزمة الاجتماعية،وفي الواقع إن محاولة إعادة بناء النسق الاجتماعي أو تغييره عن طريق الحركات الدينية نادرا ما ينجح مالم يكن هناك وجود توترات واختناقات واضطرابات داخل النسق مع ذلك فانه ليس بمجرد وجود مثل هذه الأوضاع المضطربة يؤدي بالضرورة إلى التغيير بل إن هناك مستلزمات يجب توفرها لكي يتحقق التغيير بالحركة الدينية يرتبط في الأساس بوقوع أزمات اجتماعية حادة وعامة على المستوى الاجتماعي الناتجة عن فشل في المؤسسات أوالنظم القائمة سواء ارتبط هذا بالجانب الديني أو الاجتماعي أو الاقتصادي أو السياسي ويعتبر هذا من الشروط الأساسية لظهورها، ولا شك أن هذا التلازم يكشف عن العلاقة الهيكلية بين هذه الحركات وطبيعة الفترة التاريخية التي نشأت فيها ومن كل هذا تقوم الحركة بصفة استنكارية قاصدة التغيير.

ولكي تتمكن هذه الحركات من تحقيق وجودها الاجتماعي لا بد لها أن تمر بعدة مراحل منطلقة من مرحلة الاضطراب والقلق التي تمثل سخط واهتياج الأفراد ضد النظام الاجتماعي القائم فيميلون في البداية نحو نقل أخباره والاستماع للاقتراحات التي تعالج الخلل أو الاعتلال الذي أصاب نظامهم فتعمل الجماعة المستنكرة على إيجاد قائد يعبر عن

مشاعرهم الساخطة غير الراضية عن الواقع الاجتماعي الذي يعيشون فيه ،بالإضافة إلى هذا تبقى الحركة بحاجة إلى عناصر أخرى محركة وهي التي تكون عن طريق الإثارة الشعبية وزيادة التذمر والسخط الاجتماعي على النظام فتظهر هنا الحاجة الجماعية لهذه الحركة الإصلاحية وحاجة اكبر إلى القائد الذي يحمل صفات المصلح الاجتماعي أو النبي الشعبي المتميز بالطموح والرغبة الشديدة في الانجاز وهو المتميز عن غيره بالقدرة على التعبير والإقناع بفضل صفة الكاريزمية أو الطاقة الملهمة الروحية غير العادية التي ينفرد بها وعلى الرغم من أن مؤسسي هذه الحركات الدينية غالبا ما يكونون ناقدين للتنظيم الديني القائم إلا أن رسالتهم الدينية على ما قد تحتويه من جوانب جديدة تدين بالكثير من جوانبها إلى التراث الديني الذي تبعث منه الحركة وتظهر هنا وظيفة العقيدة التي تقوم بتركيز اهتمامات وطموحات الأفراد وتوجيهها نحو رموز اجتماعية وفلسفية تكشف سخط واستياء الناس ثم تطرح آمالهم مترجمة على شكل مطالب إصلاحية أو ثورية تهدف تحقيقها.

لقد عرف العالم الكثير من الحركات الدينية ذات الطابع الاجتماعي التغيري والتي تسمى بحركات الإصلاح الديني التي تقوم على الدعوة للعودة لحظيرة الدين بعد أن تقوم بتنقيته مما أضيف إليه بإرجاعه إلى أصله الأول مع تعديل يحتمه التطور في المجتمع البشري حتى يتحقق الانسجام،وعلى هذا الأساس قامت الحركات الإصلاحية في المجتمعات المختلفة ، ففي الديانة المسيحية نجد أنها عرفت الكثير من المصلحين في تاريخها وهم الذين عملوا على إصلاح ما حل بالدين المسيحي داخل زوايا الكنائس في القرون الوسطى وسط القومية والتراث والثقافة اليونانية وثقافات أخرى ومن أشهر المصلحين كالفن ومارتن لوثر وغيرهم من الذين عملوا على تحرير الدولة من ربقة السلطة الدينية بعد الصراع الدموي الذي دار بين الكاثوليكيك والبروتستانت فكان لهم الفضل في إحداث تغيير كبير على أوضاع المجتمعات المسيحية وذلك ما أدى إلى ضعف سيطرة الكنيسة على شؤون الدولة بعد أن كانت تتحكم في كل الأمور .

وبناءا على قول رسول الله صلى الله عليه وسلم " أن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها " فقد عرف العالم الإسلامي العديد من الحركات الدينية الإصلاحية التي قامت لاستنهاض الأمة الإسلامية في فترات تعرضها لعوامل الوهن

والتفكك والتعثر نتيجة التحديات الداخلية والخارجية التي واجهتها في النواحي الاقتصادية والسياسية والثقافية والعقائدية ومن المصلحين الذين حاولوا بعث أو تزعم هذه الحركات ذات الأبعاد التعبوية المهمة محمد بن عبد الوهاب، جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وعبد الرحمن الكواكبي ومحمد رشيد رضا ومحمد إقبال وحسن البنا وسيد قطب كل هؤلاء وغيرهم كان هدفهم هو السعي نحو تنقية الدين من الشوائب التي ألصقت به ونشر التوعية بالدين الحق ونبذ كل ما نسب إليه من الخرافات والبدع والشرك ثم السعي نحو إقامة حكومة صالحة على أساس ديني وقد عملوا على تحقيق هذا بتوظيفهم للدين بعد علمهم لوظائفه الاجتماعية وأبعاده الدنيوية التي توجه بها حركة الإنسان ، فلم تكن أمامهم يقظة إسلامية إلا ضمن هذه الدائرة ونهج هذا النهج .

وقد عرفت الجزائر هذا النوع من الحركات الدينية الإصلاحية شأنها شأن بقية الدول الإسلامية وبما أن هذه الحركات ترتبط في ظهورها بوقوع الأزمات الاجتماعية فان أزمة الجزائر التي ظهر من اجلها الإصلاح هو وقوع الجزائر تحت سيطرة أعتى قوى البغي والكيد والمتمثلة في حركات التنصير التي كانت تسعى للقضاء على الإسلام في الجزائر فاعتبر عدوانها كامتداد للحروب الصليبية القديمة التي عرفها العالم الإسلامي بالإضافة إلى الاستعمار الفرنسي الذي كان يرى في الإسلام عقبة في طريقه نحو تأييد وجوده في الجزائر وفي غيره من البلدان الإسلامية لذلك فقد عمل على تدمير القيم الوطنية والدينية ومس الجوانب الروحية النابعة من العقيدة الإسلامية بعد أن بسط نفوذه العسكري والسياسي والإداري على ارض الجزائر ومكن المستوطنين من السيطرة على ثروات البلاد بحيث أصبح كل شيء في أيديهم وتحت نفوذهم (الإدارة ، التعليم ، الدين ، القضاء الاقتصاد...) ثم هي مع هذا وبعد هذا كانت تعاني الأمرين من أعمال بعض مشايخ الطرق المبتدعين الذين استغلوا الأمة واستعبدوها باسم الدين والذين وضعوا أيديهم في يد الحاكم الأجنبي وتواطئوا معه في تحريف كتاب الله وتعطيل أحكامه بين الناس ، حيث تعد هذه الفئة المبتدعة في الدين منذ أقدم العصور في كل العالم الإسلامي من اخطر ما يعانيه المصلحون.

تحت كل هذه الظروف كان ظهور الحركة الإصلاحية في الجزائر متفاعلا مع آراء المسلمين المصلحين وزعمائهم من أمثال جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده بعد مرورها

بعدة جهود إصلاحية فردية وكذا جماعية تكونت في الأخير على شكل جمعية علمية وثقافية اجتماعية سميت بصفة رسمية بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931 بقيادة الإمام عبد الحميد بن باديس. سجلت بأعمالها الإصلاحية مظهرا راقيا من مظاهر الوحدة الفكرية في المغرب العربي والمشرق وهي وحدة تحققت بفعل عامل الدين الإسلامي واللغة العربية فجعلت الحركة الإصلاحية في الجزائر دينية في جوهرها اجتماعية علمية في أسلوبها سياسية وطنية في نتائجها.

لقد عملت جمعية العلماء المسلمين جاهدة على تغيير أوضاع المجتمع الجزائري، وبناءا على إيمانها بأهمية العمل التدرجي والمرحلي فقد انطلقت بداية من تغيير أفكار الناس وثقافتهم لتغير المحيط الاجتماعي آخذةً بقول الله تعالى " إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم "[1] وقد ركزت جهودها على نشر التعليم والتثقيف ونشر المعرفة وترقية الوعي وإصلاح الفكر واللسان والعقيدة ومكافحة الخرافات والأباطيل والرجوع بالمواطنين إلى أصول الإسلام الصحيحة والصحوة الوطنية ثم تعبئة الجماهير ليوم الكفاح المسلح وهو الغاية المستهدفة من وراء الخطة التي تبناها مشروع التغيير الذي ظل العلماء المصلحين يناضلون من اجل تحقيقه بجهودهم الفردية أوالجماعية ومن ثم فقد استقطبت الجمعية بأعمالها الإصلاحية مختلف مجالات الحياة الاجتماعية السياسية منها والاقتصادية والدينية والثقافية والاجتماعية فتميزت بذلك عن بقية الحركات الإصلاحية التي قامت في العالم الإسلامي إذ مثلت بأفكارها ثروة كبيرة في التراث الإنساني بمجهودها الكفاحي الفكري والثقافي[2] ومن اجل فهم المضمون الاجتماعي للإصلاح الديني في الجزائر كان لزاما أن نبحث في مختلف جوانب الموضوع من خلال تحليل المفاهيم المتعلقة بالإصلاح الديني عموما وكذا استعراض المراحل التاريخية التي مرت بها الحركة الإصلاحية الجزائرية و البحث في أهم المجالات التي ركزت عليها جمعية العلماء المسلمين-كنموذج- لتحقق بها التغيير الاجتماعي .

هذا وقد اقتضت طبيعة البحث أن نقسمه إلى قسمين تضمن الأول منهما الإطار المنهجي للبحث، أما الثاني فقد تناول الإطار النظري والذي قسمناه إلى أربعة فصول

---

[1]- قرآن كريم. سورة الرعد. الآية. 11

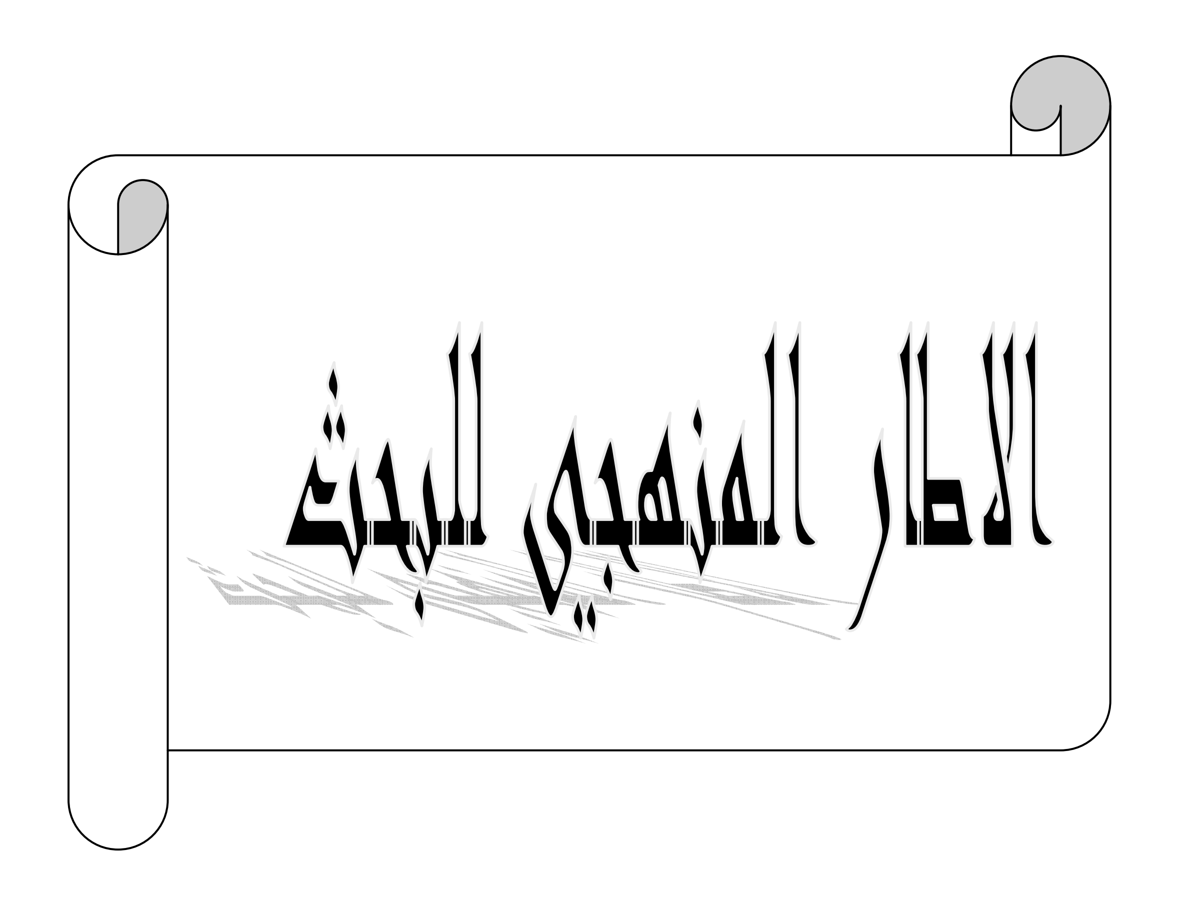
تضمن **الفصل الأول** منها مفاهيم تتعلق بالإصلاح وبالدين ووظائفه وهدفنا منه هو تحديد العلاقة الترابطية بين الإصلاح والدين وكذا تطرقنا في هذا الفصل إلى أهم الحركات الإصلاحية التي عرفها العالم وبالخصوص منها المتعلقة بالديانات السماوية الكبرى : اليهودية والمسيحية والإسلام.

أما **الفصل الثاني:** فقد تناولت فيه واقع المجتمع الجزائري قبل ظهور الحركة الإصلاحية لأحدد بدقة الظروف التي ولدت فيها فكرة الإصلاح الديني مركزة فيه على مختلف المجالات الاجتماعية الدينية والسياسية والثقافية والاجتماعية، مع العلم أنني قد حددت مجال بحثي على نموذج إصلاحي تمثل في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين .

الفصل الثالث: ركزت فيه على الجذور التاريخية للحركة الإصلاحية في الجزائر وعلى المراحل التي مرت عليها لتظهر على شكل حركة منظمة تسمى بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

الفصل الرابع: فقد تضمن أهم التغيرات التي حققتها الجمعية في المجالات الاجتماعية المختلفة. الاجتماعي، الديني، السياسي والثقافي. هذا وقد ختمت البحث بمجموعة من النتائج التي تعتبر كأجوبة للتساؤلات المطروحة. وان أصبنا فمن الله وان أخطانا فمن أنفسنا ومن الشيطان.

.


الاطار المنهجي للبحث

القسم الأول: الإطار المنهجي للبحث

1- طرح الإشكالية

2- أهمية البحث

3- دوافع اختيار الموضوع

4- أهداف البحث

5- تحديد المفاهيم

6- المنهج المتبع

7 - الدراسات السابقة

1- إشكالية البحث.

إن الإنسان يتصرف متكيفا مع تعاليم أي دعوة دينية يتقبلها ثم لا يلبث أن يحيد عنها أو عن بعض مبادئها وذلك لما يلحق هذه الدعوة من تشويهات وتحريفات تغير طبيعتها الأولى وبالتالي تغير نظرة المؤيدين والمعتنقين لها ولعل هذا ما يدفع بالكثير من المصلحين والمجددين للسعي إلى إصلاح الوضع بإعادة الصورة الحقيقية للدين وذلك بتنقيته مما علق به من شوائب وتبرئته من كل بدعة أو ضلاله ثم دعوة الجماهير إلى العودة للحظيرة الدينية من جديد

ويعد موضوع الإصلاح الديني من المواضيع الهامة التي تناولتها مختلف العلوم بالدراسة والتحليل سواء التاريخية منها أو الاجتماعية أو الدينية وهو أيضا موضع اهتمام علم الاجتماع الديني الذي يهتم بالظاهرة الدينية ووظائفها وتأثيراتها الاجتماعية المختلفة؛ ولان الإصلاح الديني كظاهرة دينية يرتبط ارتباطا مباشرا بوظيفة التغيير الاجتماعية فقد كان من ابرز اهتماماته وعدت من خلال هذا الحركات الإصلاحية مصدرا هاما من مصادر التغيير الاجتماعي التي تتخذ الدين كإيديولوجية وكموجه أساسي لسير عملها.

ولارتباط الحركات الإصلاحية الدينية في ظهورها بالأزمات الاجتماعية الحادة التي تغير المبادئ والقيم الاجتماعية الأصيلة فقد عرفت الجزائر شأنها شأن باقي دول العالم هذا النوع من الحركات الإصلاحية وهذا لما كانت الجزائر تتخبط فيه من سيطرة وعدوان، وقد ظهرت الحركة الإصلاحية في الجزائر بداية لتقف في وجه الفساد الذي أحدثه رجال الزوايا والطرق المنحرفة التي أحدثت تغييرا كبيرا في مفهوم الدين الإسلامي لدى الشعب الجزائري الذي تمكنت من فرض سيطرتها وسلطتها عليه بما نسبته إلى الدين من خرافات و بدع و شعوذات جعلت أفراد المجتمع فيها يقصدونها عند الحاجة ويتبركون برجالها ويعتقدون فيهم القداسة، ومما زاد من خطورة هذه الفئة هو اتحادها مع الاستعمار الفرنسي الذي استغلها في تخدير الشعور الوطني لدى الشعب الجزائري عن طريق تسخير الدين وتوظيف الإيمان بالقدر لتجعل الاستعمار أمرا واقعا بمشيئة الله الذي لا راد لقضائه ولتقطع بذلك كل محاولات المحاربة أو العدوان فتغرس فيهم روح الرضا بالقضاء والقدر لتحقق ولاء الجماهير للإدارة الاستعمارية ،ومن ثم فقد كان لظهور الحركة

الإصلاحية الإسلامية في الجزائر الدور الفعال في قلب المعطيات الدينية التقليدية في هذه البلاد رأسا على عقب وقد اثر هذا تأثيرا عميقا على الحياة الأخلاقية والسلوك الاجتماعي لجزء كبير من الشعب الجزائري فتميزت بذلك عن بقية الحركات الإصلاحية الإسلامية عموما في تمكنها من الإحاطة بالجوانب الاجتماعية المختلفة في عملها الإصلاحي والذي تمكنت به من تحقيق المعنى الحقيقي للإصلاح الديني في الإسلام الذي يشمل على كل جوانب الحياة الاجتماعية، فالدين لا ينفصل بأي شكل من الأشكال عن مجالات الحياة المختلفة فهو يعد كنسق اجتماعي يؤثر ويتأثر بمختلف الظواهر المحيطة به، وإلا فانه لن يحقق الوظائف المنوطة به وبالأخص منها وظيفة التغيير الاجتماعي التي تعد من ابرز وظائفه.

لقد ظهرت الحركة الإصلاحية الجزائرية إلى الوجود كحركة ذات رسالة ثقافية وعلمية اجتماعية تهدف إلى حماية التراث الوطني من الذوبان في الحضارة الغربية التي مثلها الاستعمار الفرنسي،وبعث الروح الوطنية في النفوس عن طريق تعليم الشباب وخلق الوعي الاجتماعي ومحاربة رجال الدين المزيفين الذين عملت فرنسا على استغلالهم لتثبيط عزائم الجزائريين ونشر إسلام مزيف يخدم مصلحة قوة الاحتلال ويساعد على تنفير الجزائريين عن دينهم الإسلامي، وتعتبر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الممثل الرسمي لها إذ تعد بمجهوداتها استمرارية لجهود سلفها من المصلحين الرواد الذين ارسوا اللبنات الأولى عن طريق إحياء تعاليم الدين الإسلامي وإيقاظ الحس الوطني وشحذ فعالية الفرد والجماعة ،ومن هؤلاء الرواد الشيخ صالح بن مهنا (ت1325هـ) والشيخ عبد القادر المجاوي (1848-1914م) والشيخ بن سماية(1866-1931م)، إذ لولا مجهودات كل هؤلاء وغيرهم بأدائهم المتفاني لما وجدت هذه الجمعية التي واصلت طريقهم وحققت أهدافهم في تكوين حركة إصلاحية منظمة تعمل على تغيير واقع المجتمع الجزائري المزري ،ولقد كانت الجمعية في ذلك مستوعبة إلى حد بعيد مفهوم الإصلاح وعلاقته بواقع الجزائر الخاضعة تحت قبضة الاستعمار الذي انتهك حرمتها وقبضة الجهل الذي سيطر على العقول وصبغ النفوس بصبغة القابلية للاستعمار والعبودية ،لذلك فقد جاءت إصلاحاتها متوافقة مع الجوانب التي تحتاج فيها إلى الإصلاح ولقد راعت في عملها المرحلية

والتدرج إذ أعطت لكل مرحلة حقها ولم تطلب منها مالا تحتمله ظروفها الاجتماعية وأحوالها النفسية وأوضاعها السياسية .

وللأهمية الكبرى التي تحتلها مرحلة الإصلاح الديني في التاريخ الجزائري فقد عدت من المواضيع الهامة التي تتطلب الدراسة المستفيضة والتحليلات العلمية العديدة وان كانت هناك من الدراسات التاريخية والأدبية التي تناولت بعض جوانبها بالدراسة وبالخصوص منها التي اهتمت ببعض أعلامها إلا أنها تبقى قليلة وغير كافية أمام الأهمية الكبرى التي مثلتها سواء من حيث اعتبارها كإنتاج فكري ديني أو سياسي أو اجتماعي أو أدبي ولعل هذا هو الدافع الأساسي الذي جعلنا نبحث في هذا المجال الذي أردنا أن نثبت من خلاله أن مرحلة الإصلاح الديني في الجزائر كانت من أهم المراحل التي تم فيها التغيير حيث استطاعت بها الجزائر أن تنتقل من حالة ضعف شديد في كل المجالات الاجتماعية إلى يقظة ووعي ثقافي وديني وسياسي تمكنت به أن تنقذ نفسها من سيطرة الجهل والظلم ، لذلك فإنّا نود التركيز على هذه الحركة المهمة وتدقيق النظر فيها لعلنا نتمكن من استخراج بعض القواعد أو النظريات الاجتماعية التي يسري وفقها الإصلاح الديني عموما وعملية التغيير الاجتماعي التي يحققها على وجه الخصوص والتي يمكن أخذها كمثال أوكقدوة للإصلاح في الحاضر .

ومن اجل أن يكون بحثنا هذا أكثر تركيزا وتحديدا كان لا بد من قصره على نموذج من عملية الإصلاح الديني والاجتماعي العام في الجزائر وكذا على فترة زمنية محددة وقد وقع اختيارنا على جمعية العلماء المسلمين لارتباطها المباشر بالواقع الاجتماعي الجزائري ولاعتبارها كممثل رسمي منظم لحركة الإصلاح الديني في الجزائر وقد حصرنا بحثنا هذا مابين 1931م إلى 1940م لاعتبارها الفترة التي تمت فيها الانجازات المهمة ،وبكل هذا نسعى إلى تسجيل المضمون الاجتماعي للإصلاح الديني في الجزائر من خلال أعمال جمعية العلماء المسلمين ما بين 1931م و1940م بالإجابة عن مجموعة من التساؤلات نطرحها لتكون موضوع بحث.

فما هي الأسس والمبادئ التي قامت عليها الحركة الإصلاحية في الجزائر من اجل أن تحقق التغيير الاجتماعي ؟ وما هي أهدافها ؟

ما هي الجهود الإصلاحية التي قامت بها جمعية العلماء المسلمين في المجتمع الجزائري ؟

- ما هي الجهود الإصلاحية التي قامت بها في المجال العقدي ؟ .
- ماهي الجهود الإصلاحية التي قامت بها في المجال الاجتماعي ؟
- ما هي الجهود الإصلاحية التي قامت بها في المجال الثقافي ؟
- ما هي الجهود الإصلاحية التي قامت بها في المجال السياسي ؟ .

2- أهمية الموضوع:

ولان هذه الأمة بحاجة إلى من يجدد لها دينها تجديدا مستمرا كانت أهمية الاطلاع على مناهج وأعمال الحركات الإصلاحية الماضية التي مثلت بجهودها الكبيرة قدوة أو نموذجا من نماذج النجاح ومنها حركة الإصلاح الديني في الجزائر التي تمثل في مجملها بأفكارها ثروة كبيرة في التراث الإنساني فهي المجهود الكفاحي الفكري والثقافي في الجزائر، ولاعتبار أن الحاضر غير مبتور الصلة عن الماضي بل يعتبر ثمرة من ثمراته وامتدادا واستمرارا نتناول هذه الأفكار التي نؤكد على ضرورة استصحابها وتقويمها عند التفكير بأي مشروع لمعالجة الأزمات اجتماعية المماثلة كما تظهر أهمية الموضوع بأهمية الأعمال الإصلاحية التي قامت بها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي تمكنت من تغيير الأوضاع الاجتماعية للمجتمع الجزائري .

3- دوافع اختيار الموضوع.

1- إن التطورات الحضارية المستمرة تؤثر في تفكير الأفراد وسلوكهم بالتغيير الذي قد يمس بكيفية تعاملهم مع الدين وهو الأمر الذي يجعل الحاجة مستمرة للرقابة والإصلاح ونفس الأمر يحصل في مجتمعنا بسبب التطورات المستمرة وهو الذي يجعلنا بحاجة إلى الاطلاع على تجارب المصلحين الأوائل لإصلاح الوضع

2- بالرجوع إلى اختصاص علم الاجتماع الديني الذي يتطلب دراسة الظواهر الدينية في المجتمعات وجدنا أن الإصلاح الديني كظاهرة بارزة في مجتمعات كثيرة منذ القدم وحتى في وقتنا الحاضر هذا الذي اظهر أهمية كبيرة في هذا الموضوع جعلنا نرغب في الاطلاع عليه من كل جوانبه واخذ منهجه لإصلاح المجتمعات الحاضرة

3- كون الدراسات السابقة التي اطلعنا عليها لم تتناول هذا الموضوع بالدراسة بشكل معمق وان كانت قد تطرقت إلى بعض جوانبه.

4- لقد كان الدافع لاختيار جمعية العلماء المسلمين للدراسة هو أنها كانت من أبرز الحركات الإصلاحية التي عرفتها الجزائر في تاريخها، بالإضافة إلى التصاقها الشديد بالواقع الاجتماعي للجزائريين وهي التي مثلته بكل آماله وطموحاته.

4- أهداف البحث:

- كهدف أساسي هو إبراز أن تراثنا الفكري غني بالمادة العلمية وصالح لان يكون مصدرا أساسي تستقى منه المعارف العلمية المختلفة وبالخصوص منها في علم الاجتماع الديني.
- الاطلاع على تجارب الماضين في العمل الإصلاحي الديني لفهم أهمية الدين ووظيفته في المجتمعات وخاصة في المجتمع الجزائري .
- معرفة المستوى الاجتماعي والأخلاقي والديني الذي كان عليه الشعب الجزائري في ظل الظروف الاجتماعية والسياسية والثقافية القاسية التي فرضت عليه ومعرفة الجهود التي بذلتها الحركة الإصلاحية الدينية عموما وجمعية العلماء خاصة من اجل تغيير أوضاع الجزائر. وإظهار مدى التواصل الفكري والثقافي بين بلدان العالم الإسلامي في ظل الدين الإسلامي.

5- تحديد مفاهيم البحث:

5-1- الإصلاح.

لفظ الإصلاح مشتق من الفعل صَلَحَ يصلُح صَلاحًا وصلُوحًا والصّلاح ضد الفساد"[1] وأصلح الشيء بعد فساده أي أقامه وقيل الصلاح هو سلوك طريق الهدى[2]"وإصلاح أمر من الأمورهو تحسينه تدريجيا للحصول على نتائج أفضل مثل الإصلاح الاجتماعي

1-ابن منظور – **لسان العرب**، مادة: ص ل ح.دار صادر –بيروت- الطبعة الأولى .1374هـ-1900م .ص516-517

2- منى حسن الدسوقي .**الشيخ مصطفى الغلاييني في مفهومه الاصطلاحي ، دراسة مقارنة بينه وبين الشيخ الأفغاني ومحمد عبده** .المكتبة العصرية .الطبعة الأولى.1419هـ-1999م.ص69

والسياسي وتقابله الثورة "[1] وقد جاء في تفسير ابن باديس قوله:" الإصلاح هو إرجاع الشيء إلى حالة الاعتدال إزاء ما طرأ عليه من فساد ،والإفساد هو إخراج الشيء عن حالة اعتداله بإحداث اختلال فيه فإصلاح البدن بمعالجته بالحمية والدواء وإصلاح النفس بمعالجتها بالتوبة الصادقة وإفساد البدن بتناول مايحدث به من ضرر وإفساد النفس بمقاربة المعاصي والذنوب وهكذا تعتبر النفوس بالأبدان في باب الصلاح والفساد في كثير من الأحوال غير أن الاعتدال بالنفوس أهم وألزم لان خطرها اكبر وأعظم"[2] .

وعلى العموم فالإصلاح هو الانتقال بالشيء من حالة إلى حالة أفضل أو إحداث تغيير في الشكل أو الحالة أو وقف خلل أو إدخال أسلوب عمل أفضل.

5-2- الإصلاح الديني:

ازدادت استعمالات مصطلح الإصلاح الديني في العقود الأخيرة وهذا لارتباطه بأهم المراحل التاريخية التي مرت عليها مجتمعات كثيرة ورغم الاتفاق العام على أهمية الإصلاح الديني إلا أن الاختلاف حول تعريفه يبقى قائما ويرجع هذا في الأساس إلى الاختلاف في طبيعة الأديان، إذ نجد أن المقصود بالإصلاح الديني في الديانة المسيحية ليس هو بنفس أبعاده بالنسبة للدين الإسلامي وكذلك بالنسبة للديانة اليهودية، ومن التعاريف التي نجدها في هذا المجال:

تعريف محمد البهى الذي يقول فيه:"نعني بالإصلاح الديني في مجال الإسلام محاولة رد الاعتبار للقيم الدينية ورفع ما أثير حولها من شبه وشكوك قصد التخفيف من وزنها في نفوس المسلمين ونعني به كذلك محاولة السير بالمبادئ الإسلامية من نقطة الركود التي وقفت عندها حياة المسلمين إلى حياة المسلمين المعاصرة حتى لا يقف مسلم اليوم موقف المتردد بين أمسه وحاضره عندما يصبح في غده "[3]

1- كمال عجالى . **الفكر الإصلاحي في الجزائر ، الشيخ الطيب العقبي بين الأصالة والتجديد** .شركة مزوار .الوادي.2005.ص117

2- عبد الحميد بن باديس . **مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير**. مطبوعات وزارة الشؤون الدينية. ط1. سنة 1402- 1982م. ص 107

3- محمد البهى .الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي . ص421. نقلا محمد زرمان .**فلسفة التجديد الإسلامي (نموذج الشيخ البشير الإبراهيمي)**. دار الصحوة، القاهرة.1419ه-1999م .ص 17

والإصلاح الديني هنا لا يعني تغيير القيم الدينية ورفض مبادئه وضوابطه التي جاء عليها أولا وإنما يعني إعادة تأسيس فهمنا للدين بعيدا عن الأحادية في التفكير والقشرية في الفهم والتعامل مع الاجتهادات الإنسانية في فهم الدين بعيدا عن التقديس الأعمى أو مفهوم الحقائق المطلقة، بل نعتبر أنها أفهام مرتبطة بزمان ومكان محددين وعلينا فهم هذه الاجتهادات واحترامها ولكن دون إلغاء عقولنا أو التعامل مع تلك الاجتهادات وكأنها نصوص خالدة لا تقبل المناقشة والجدل والحوار فبدون تحرير وعينا وفهمنا من عوائق الجمود والحرفية والتأخر لن نتمكن من الولوج في مشروع التقدم والتطور الإنساني (1).

الإصلاح الديني هو جملة الجهود الفكرية التي يبذلها المصلحين المسلمين لتغيير الأحوال الاجتماعية باللجوء إلى الأصول الدينية التي تساهم في تنوير العقل والقلب فتجعل الفرد قادرا على العطاء الحضاري و التكيف مع عصره، وقد اعتبر الإصلاح الديني من أهم الوسائل التي يتم بها التغيير الاجتماعي إذ لا يقتصر عمل الإصلاح على الدين فقط وإنما وباعتبار أن الدين يرتبط بمختلف المجالات الاجتماعية فان الإصلاح فيه يمس بالضرورة مختلف المجالات الأخرى، مع التأكيد على أن هناك اختلاف بين الإصلاح الديني المقصود في الفكر المسيحي واليهودي الذي يعني إقامة مراجعات كبرى للعقيدة وقراءة جديدة للكتاب المقدس،فالإصلاح فيهما يمس الدين في جوهره فيغير بعض المبادئ التي يقوم عليها وبهذا يختلف عما هو في الإسلام الذي يعني تنقية الدين من التشويهات التي ألحقت إليه وأفقدته فاعليته الاجتماعية، ويمكن من خلال هذا أن نصل إلى تعريف يتماشى مع طبيعة الموضوع فنقول أن الإصلاح الديني هو: إعادة النظر في المفهوم الاجتماعي للدين بتنقية مما الحق به من تشويهات وتحريفات ليتمكن من تحقيق وظائفه الاجتماعية وأبعاده الدنيوية التي توجه بها حركة الإنسان .

5-3 - الإصلاح الديني في المجتمع الجزائري .

لقد عرف المجتمع الجزائري شأنه شأن الكثير من المجتمعات سواء العربية منها أو الغربية الإصلاح الديني الذي ارتبط في الواقع بظروفه الاجتماعية الخاصة ، ويرجع تاريخ ظهور الإصلاح الديني فيه إلى زمن قديم جدا حيث كان كنتيجة حتمية لتأثر العلماء

1- محمد محفوظ . **الحرية والإصلاح في العالم العربي** .تادار العربية للعلوم ، بيروت . الطبعة الأولى. 1426- 2005.ص 37

الجزائريين بالحركات الإصلاحية التي ظهرت في المشرق والتي كانت تمثل امتدادا واستمرارا للإصلاح الديني الذي ظهر بداية على يد حجة الإسلام ابن تيمية ومن حذا حذوه من العلماء المصلحين من أمثال ابن القيم والكواكبي و محمد ابن عبد الوهاب والأفغاني و محمد عبده وغيرهم ، وقد عرفت الجزائر في تاريخها الكثير من المصلحين الذين حاولوا إعادة فعالية الدين الإسلامي في المجتمع الجزائري عن طريق محاربة أعدائه من رجال الطرق والاستعمار الذين كانوا وراء تغيير صورة الإسلام بالخرافات و البدع الكثيرة التي نسبوها إليه ،وكذا محاولة نشر مبادئه الصحيحة من جديد بين أفراد المجتمع الجزائري عن طريق حركة التعليم الواسعة التي سعوا بها وبجهودهم الفردية إلى القضاء على الجهل ونشرالتثقيف والمعرفة وترقية الوعي وإصلاح الفكر واللسان والعقيدة ومكافحة الخرافات والأباطيل والرجوع بالمواطنين إلى أصول الإسلام الصحيحة ، ومن أشهر هؤلاء المصلحين: صالح بن مهنا ، وابن سماية ،وعبد القادرالمجاوي ،ومولود بن موهوب وحمدان بن الونيسي ، وعبد الحميد بن باديس الذي يعتبر من ابرز المصلحين الدينيين والاجتماعيين في الجزائر الذين كان لهم الفضل في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين . أما إذا أتينا إلى وضع مفهوم إجرائي للإصلاح الديني في الجزائر فنقول انه جملة الجهود الفكرية التي بذلها المصلحين الجزائريين لتغييرالأحوال الاجتماعية للجزائر باللجوء إلى الأصول الدينية الإسلامية الصحيحة التي تساهم في تنوير العقل والقلب فتجعل الفرد واع بأوضاعه قادرا على تغييرها ليتمكن من تحقيق العطاء الحضاري و التكيف مع عصره.

5-4- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

تعتبر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الشكل المنظم لحركة الإصلاح الديني في الجزائر، وهي جمعية دينية علمية عملت للعروبة والإسلام ثلاثين سنة أعمالا عظيمة جليلة فأحيت العربية في الجزائر على صورة قل أن يوجد لها نظير في الأقطار العربية وأحيت الإسلام الصحيح بإحياء علومه فأنقذت بذلك امة كانت في طريق الكفر والانعدام ، تأسست عام1931م بنادي الترقي بالجزائر العاصمة بقيادة الامام عبد الحميد بن باديس وفريق من العلماء المصلحين منهم الشيخ البشير الإبراهيمي والطيب العقبي ومبارك الميلي والعربي التبسي وغيرهم من العلماء الذين عملوا بجهد جماعي على تأكيد ثلاثة مبادئ أساسية في

الجزائر وهي الإسلام دينا والعربية لغة والجزائر وطنا ، لقد كان تأسيس هذه الجمعية حدثا تاريخيا لتمكنها من وضع الحد الفاصل والحاسم بين ماضي الجزائر وهي تحت النير الاستعماري وبين حاضرها في ميدان النهضة الإسلامية العربية ولقد كان ذلك الحاضر الجديد هو الأساس الراسخ المتين الذي بني عليه المستقبل ، مستقبل الجزائر تحت راية الحرية والاستقلال .

6- المنهج المتبع:

البحث العلمي هو نشاط منظم وطريقة في التفكير أو أسلوب للنظر في الظواهر والكشف عن الحقائق ، يعتمدا على مناهج موضوعية تعمل على معرفة الارتباطات بين الحقائق لاستخلاص القوانين والمبادئ ، والمناهج العلمية هي مجموعة المبادئ أو الخطوات المنظمة التي نتبعها من اجل الوصول إلى النتيجة العلمية أو البرهنة عليها فبواسطتها نتمكن من اكتشاف مختلف المعارف العلمية ، وهي على أشكال مختلفة وأنواع متعددة من بينها المنهج الوصفي التحليلي الذي أجرينا دراستنا هذه وفقه وذلك لما يشتمل عليه من خطوات علمية ومنهجية تستجيب لطبيعة القضية المطروحة وهو المنهج الغالب في الأبحاث العلمية التي تبدأ بصفة الوصف؛ أي وصف حقل البحث وموضوع البحث بشكل شامل ثم تنتهي تحليلية بفهمها للظاهرة من خلال تحليل عناصرها بشكل منهجي . فبالمنهج الوصفي التحليلي نقوم بدراسة وتحليل وتفسير الظاهرة الاجتماعية (الإصلاح الديني في المجتمع الجزائري) من خلال تحديد خصائصها وأبعادها وطبيعة العلاقات القائمة بينها بهدف الوصول إلى وصف علمي متكامل لها .

7-الدراسات السابقة: .

الدراسة الأولى: البعد الاجتماعي في الفكر الدعوي الباديسي[1] .

يهدف الباحث من خلال هذه الدراسة إلى بيان أهمية البعد الاجتماعي في الحركة الدعوية والإصلاحية في فكر الامام ابن باديس من خلال إبراز المنهج الذي سلكه الامام و الوسائل والأساليب التي اتبعها لتحقيق التغيير الاجتماعي ،مع الوقوف عند أهم المنجزات

---

[1] – مخلوفي مصطفى. البعد الاجتماعي في الفكر الدعوي الباديسي . بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الدعوة والإعلام والاتصال. إشراف مولود سعادة. جامعة قسنطينة .

التي حققتها حركة الشيخ ابن باديس ومحاولة الرد على الشبهات التي أصابت التاريخ الجزائري عموما والحركة الإصلاحية على وجه الخصوص، بالإضافة إلى معرفة مدى اهتمام الحركة الإصلاحية بالبعد الاجتماعي وموقعها من الملاحظات السابقة وماهي محاولاتها في التمكين للفرد والمجتمع من تحقيق المكانة والدور الذي يجب أن يحتلاه في عالم الشهادة وما هي طبيعة الطريق والمنهج التغييري الذي اعتمدته هذه الحركة للوصول إلى أهدافها وما مدى تحقيقها لتلك الأهداف ،هذا وقد اعتمدت هذه الدراسة على المنهج التحليلي والاستنتاجي لان الغرض من البحث كان الوقوف عند آراء ومواقف وأقوال الامام ابن باديس في دعوته الإصلاحية ، وقد توصلت هذه الدراسة إلى كون التغيير الذاتي هو منطلق التغيير لدى حركة الامام ابن باديس والذي ينطلق في أساسه بتغيير النفس . كما توصلت إلى معرفة أصل أزمة المجتمع الجزائري وسبب ضعفه والتي ترجع في الأساس إلى عالمه الثقافي ؛لذلك فقد كان تركيز الامام منصبا بداية على تغيير هذا الجانب وأخيرا أن ابن باديس اعتمد في تغييره الاجتماعي منهاجا إصلاحيا يتميز بالواقعية والفاعلية وهذا ما أدى إلى إبطال الكثير من الادعاءات التي حاولت تشويه وتزييف التجربة الإصلاحية والتغييرية الباديسية. .

الدراسة الثانية :التجديد في الفكر العقدي الإسلامي المعاصر في الجزائر[1] .

- الشيخ مبارك الميلي نموذجا -

لقد قامت هذه الدراسة لتجيب على عدة تساؤلات مطروحة وهي:

ما مدى أصالة الحركة الإصلاحية في الجزائر ؟. وما هي منطلقاتها المرجعية ؟. وهل كانت حركة ذاتية نابعة من صميم البيئة الجزائرية بعيدة عن كل المؤثرات الخارجية أم كانت مستلهمة من جهات خارجية معينة استمدت منها المضامين والأساليب والطرق ؟. وماهي العلاقة التي تربط بين الحركة التجديدية بالجزائر وباقي الحركات الإصلاحية التي ظهرت في العالم الإسلامي ؟. وقد اتخذت هذه الدراسة من حياة المصلح مبارك الميلي نموذجا تعرف من خلاله المجهودات الإصلاحية التي قام بها رجال الإصلاح في المجال

---

[1] – فوزية لوصيف . **التجديد في الفكر العقدي الإسلامي في الجزائر (الشيخ مبارك الميلي نموذجا)** . مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة . إشراف الدكتور مولود سعادة . السنة 2003م- 2004م

العقدي بالاعتماد على كتاب الشرك ومظاهره لمؤلفه مبارك الميلي الذي عدّ كمرجع أساسي في هذا البحث. وللإجابة عن هذه التساؤلات فقد اتبعت الباحثة منهجا تحليليا يعمد إلى رسم صورة للفكر الإصلاحي ومنهم على الخصوص أقوال وآراء مبارك الميلي الواردة في كتابه رسالة الشرك ومظاهره ، كما تمت الاستعانة بالمنهج التاريخي أثناء البحث في الوقائع التاريخية ولقد توصلت هذه الدراسة: إلى أن البواعث الهامة التي أدت إلى ظهور الحركة الإصلاحية في الجزائر منها البواعث الداخلية التي تمثلت في أصالة الشخصية الجزائرية العربية والإسلامية والتي تعتبر أهم منبع للفكر التجديدي الجزائري، كما كان لجهود جمعية العلماء المسلمين السابقة لتأسيس الجمعية الدور الفعال لقيام الحركة الإصلاحية في الجزائر، أما الروافد الخارجية فكانت من مصدرين أساسيين : الأول يتمثل في المصدر التونسي الذي ملأ الجزائر بجوه الفكري والمصدر الثاني تمثل في النهضة المشرقية التي كان لها اثر بارز على النهضة الفكرية المعاصرة في الجزائر، هذا ولم يخلو الجو الفكري الجزائري من تحديات كانت له بمثابة معوقات وقفت في طريقه فحالت دون تحقيق الكثير من الأهداف. كما توصلت هذه الدراسة إلى وضع مفهوم لنوع التجديد العقدي الذي ظهر في الجزائر وهو الذي لا يعني إضافة شيء جديد للعقيدة أو التبديل فيها والتحوير بما يناسب كل زمان ومكان بل أصل التجديد فيها هو أن نرجع العقيدة إلى صورتها الأولى فتعود نقية صافية واضحة غير غامضة وغير مستشكلة والتجديد لا يتعلق بالحقائق الإيمانية التي لاتقبل التغيير بل تتعلق بالفكر العقدي الذي هو جهد بشري خاضع لسنة التبديل والتغيير والقدم والبلى والتجديد .

الدراسة الثالثة: منهجية التغيير عند عبد الحميد بن باديس[1].

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن المعالم الحقيقية للمنهج التغييري الذي نهجه ابن باديس انطلاقا من النظر في أقواله ومواقفه وأفعاله والاستعانة بما أطلق عليه من الأوصاف والأحكام؛أي إظهار طبيعة منهج ابن باديس وطريقته في البناء وما قدمه من أطروحة إسلامية في التغيير بالتركيز على الأسس التي تقوم عليها المدرسة الباديسية وإظهار

---

[1] – سامية جفال. **منهجية التغيير عند ابن باديس** . رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الدعوة والإعلام . إشراف محمد زرمان . قسم الدعوة والإعلام والاتصال . جامعة قسنطينة . 1422هـ–2001م

الصلات الوثيقة والترابط الشديد بين آليات هذا المنهج وقيمته داخل الحركة الإصلاحية، وقد اتبع الباحث في هذه الدراسة المنهج التاريخي والتحليلي الاجتماعي فكان متعدد الجوانب حيث عرض ما جرى من أحداث تاريخية ذات العلاقة بالموضوع وبّين آثار ابن باديس الإصلاحية في المجتمع الجزائري من خلال تلك المنهجية المدروسة ، ولقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج تحَدد فيها المنهج الذي اتبعه ابن باديس في حركته الإصلاحية وهي: أن ابن باديس قد ركز عمله التغييري بداية على تغيير فكر المسلم الجزائري وسلوكه لان الحضارة لا يمكن قيامها إلا إذا تم هذا التغيير ولان المشكلة التغييرية في المجتمع الجزائري تكمن في الإنسان نفسه وليس في الأطر العامة المحيطة به، كما اتجهت المنهجية الإصلاحية لابن باديس إلى العناية الشديدة بمضمون القومية الشاملة من دين ولغة ووطن وصياغة ذلك على النحو الذي يتم فيه بناء الشخصية الجزائرية المسلمة . كما توصلت الدراسة إلى أن المنهج الإصلاحي التربوي هو المنهج الغالب في عمل ابن باديس التغييري ولقد استند ابن باديس في مشروعه التغييري إلى عدة وسائل كالصحافة وبناء المدارس والمساجد والجمعيات والتنظيمات من اجل إيصال فكرة التربية بين طبقات الأمة وفي الدعوة وفي التغيير والإصلاح ،هذا وقد تميز منهج ابن باديس في التغيير بقراءته للماضي والغوص في التاريخ والنظر في تجارب السابقين واكتشاف أسباب الحضارة وسنن القوة والنهوض والوقوف على السنن الاجتماعية ورسم الخطط المستقبلية بينة الأهداف واضحة المعالم مع مراعاة مبدأ التدرج وفقه الواقع ووضوح الرؤية والهدف.

الدراسة الرابعة: جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في خدمة اللغة العربية في الجزائر ما بين 1931م-1954م[1]

لقد قصرت هذه الدراسة اهتماماتها على جانب واحد وهو من ابرز الجوانب التي ركزت عليها الحركة الإصلاحية على وجه العموم اهتماماتها و جمعية العلماء على وجه الخصوص وهي التي جعلت اللغة العربية من مبادئها الأساسية التي قامت من اجلها حركتها

[1] - مراد مزعاش . **جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في خدمة اللغة العربية في الجزائر** مابين: **1931م-1954م**. رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية ، إشراف سامي عبد الله الكناني . قسم اللغة العربية . كلية الآداب والعلوم الإنسانية . قسنطينة

الإصلاحية ،ولقد هدف الباحث من خلال كل هذا إلى معرفة الجهود التي قامت بها الجمعية من اجل النهوض باللغة العربية وتطويرها ، ثم معرفة الملابسات التي نشأت فيها الجمعية وجهودها وغاياتها ووسائلها في خدمة اللغة العربية ومراحل تطور ذلك.

ولقد اعتمد الباحث من اجل الوصول إلى كل هذا على المنهج التاريخي الذي توصل به إلى عدة نتائج من بينها:

- أن اللغة العربية لم تطرح إطلاقا قبل الاحتلال كقضية للدفاع عنها ولم تكن هناك في الجزائر لغة أخرى تنافسها بل كانت هي لغة التعامل والحوار لغة التعليم و الثقافة والأدب لغة التفكير ولغة الإدارة والمراسلة.
- عمل المستعمر على القضاء على اللغة العربية حتى لا تقف في طريقه بقوة روحها فتعرقل مخططاته، فعمل على تجهيل الشعب وتهديم المؤسسات التي تحتضن هذه اللغة ومن ثم طرحت قضية اللغة العربية لأول مرة في تاريخ الجزائر.
- كانت نقطة البداية في عمل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين هي اللغة العربية وهذا لمواجهة الاستعمار ومخططاته واسترجاع شخصية وهوية هذه الأمة لتعرف ذاتها ونفسها وتنطلق نحو المستقبل بلا خوف ولا وجل.
- كان لجمعية العلماء الفضل الكبير في إنقاذ اللغة العربية في الجزائر إذ لولا الجهود الكبيرة التي قامت بها لاضمحلت هذه اللغة وانقرضت في ارض الجزائر
- استطاعت الجمعية أن تجعل من العربية القضية الأولى لدى الجزائريين حيث أعطت لها مفهوما حضاريا.
- استطاعت جمعية العلماء أن تحدث نهضة ثقافية واسعة استطاعت أن تقف بها في وجه التيارات الفكرية والثقافية التغريبية الفرنسية.
- الواقع أن الجمعية لعبت دورا بالغ الأهمية في تاريخ الجزائر الحديث، فهي المنظمة الوحيدة التي يعود إليها الفضل في بقاء الإسلام والعربية بكل أبعادها الحضارية في الجزائر حتى اليوم

الدراسة الخامسة : رسالة المبارك الميلي وجهوده الإصلاحية في الجزائر[1]

- 1897م- 1945م-

قامت هذه الدراسة على تساؤلات عدة تمثلت فيما يلي:

- ماهي نقطة الأساس في الحركة الإصلاحية عند المبارك الميلي ؟
- وماذا قدم للنهضة الوطنية خلال الربع الثاني من القرن العشرين ؟
- وهل أن دراسة حياته ستكشف لنا عن جوانب خفية من الحركة الإسلامية في الجزائر؟ وهل المنهج الذي اتبعه مبارك الميلي في النهوض بالمجتمع الجزائري كان مستنبطا من واقع الحياة الجزائرية أم هو بضاعة مستوردة من خارج حدود الوطن الجزائري ؟ .

وليجيب الباحث عن كل هذه التساؤلات فقد اتبع المنهج التاريخي الوصفي الذي اتبعه في عرض المادة العلمية وتوزيعها وفقا لخطة الرسالة ، كما اتبع الباحث المنهج التحليلي الذي استخدمه في دراسة وتحليل مختلف القضايا الفكرية والعلمية والدينية انطلاقا من قضايا الإصلاح والنهضة ، كما اتبع المنهج المقارن الذي وظفه بصورة خاصة في المقارنة بين جهود المترجم له في هذا البحث وجهود مصلحين آخرين حسب مقتضيات البحث وضروراتها العلمية وقد اعتمد لتحقيق كل هذا على كتابات مبارك الميلي المنشورة في الصحف المختلفة التي كانت تصدرها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وقد قسمت هذه الدراسة إلى قسمين نظريين تضمن الأول منهما الحديث عن مبارك الميلي وعصره أما القسم الثاني فقد تناول وسائل الإصلاح عند الميلي من خلال آثاره الفكرية ولقد توصل من خلال كل هذا إلى مجموعة من النتائج من أهمها :

تعتبر أفكار الميلي الإطار العام والتأسيسي في كثير من جوانب الحركة الإصلاحية الجزائرية.

يعتبر المبارك الميلي من الفاعلين في تنقية الموروث الحضاري الإسلامي وذلك يعود لليقين في أن العمل هو الكفيل لإثبات ذلك ولقد تميزت جهود مبارك الميلي وصحبه في

[1] - على بن الطاهر . **رسالة مبارك الميلي وجهوده في الحركة الإصلاحية في الجزائر**. إشراف عبد الكريم بوصفصاف . رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير . قسم الدعوة والإعلام ، جامعة قسنطينة .

إيمانهم بأنهم يزرعون بذورا من نفس الأرض عكس خصومهم الذين دخلوا وخرجوا بأيد فارغة.

لقد التزم مبارك الميلي في نهجه الإصلاحي منذ البداية النظرة المستقبلية ، ولم يكن عمله رفقة زملائه رؤية ماضوية .

أن المكانة التي تبوأتها الحركة الإصلاحية في القاعدة الواسعة للشعب الجزائري لم تمنعها من التعاون مع بقية الفصائل الأخرى في تنمية المردود الإصلاحي وتوظيفه في خدمة القضايا الوطنية ولو من رؤى متباينة .

إن جهود مبارك الميلي التي ساهم بها من خلال كتاباته ومؤلفاته ومكانته في الجمعية قد وفرت للجمعية في ظروف لاحقة النواة الصلبة لاتخاذ المواقف المناسبة .

الدراسة السادسة: قضايا الحركة الإصلاحية عند رابح زناتي ومحمد الأمين العمودي خلال الثلاثينات[1]

يهدف الباحث من خلال دراسته هذه إلى معرفة منظور رابح زناتي للحركة الإصلاحية الجزائرية وقضاياها من داخل التجربة الاندماجية (الجزائر فرنسية) ومنظور محمد العمودي للإصلاح الإسلامي والوطني من داخل التجربة الإصلاحية، وقد عرض في بحثه هذا بعض المفاهيم الفكرية لدى كل من زناتي المطروحة في جريدة صوت الأهالي ، مثل الاندماج ، الإسلام ، فرنسا ، ثم عرض انطباعاته حول حركة الإصلاح الجزائرية ، وفي الجهة المقابلة لهذا عرض أيضا بعض مواقف الأمين العمودي من بعض المسائل السياسية منها والاجتماعية مثل التجنيس ، مسالة الطرقية وأحداث 05 أوت 1934م والمؤتمر الإسلامي وغيرها ، ولقد اتبع في بحثه هذا المنهج التاريخي الذي يبحث به في فكر الرجلين ومواقفهما المختلفة من بعض المسائل التاريخية ، فتوصل إلى أن العمودي وباعتباره عضو أصيل في الحركة الإصلاحية فقد صدرت مواقفه من واقع الجزائريين المسلمين واهتماماتهم، فقد كانت الحركة الإصلاحية التعبير السليم لتطلعات الأهالي المسلمين باعتبارها التنظيم الكفيل الذي يستطيع أن يرتقي بالأهالي من وضع ما دون المواطنة إلى مواطنين مسلمين.

---

[1] -نور الدين تنيو . **قضايا الحركة الإصلاحية عند رابح الزناتي ومحمد الأمين العمودي خلال الثلاثينات** . إشراف احمد صاري.بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير . قسم التاريخ. 1996م – 1997م . جامعة قسنطينة .

- واعتبر كل من زناتي والعمودي كمدشنيين للطّرح الفكري للقضايا الواقعة في المجتمع الجزائري لمرحلة الثلاثينات وهذا من خلال الحوارات التي كانت تجرى بينهما على صفحات صوت الأهالي حول مسائل مختلفة ،منها مسالة التجنيس والتفرنج التي كانت تعتبر من المسائل الجوهرية التي يتحدد بها كيان المجتمع الجزائري .

- كانت مقالات زناتي كلها موجهة إلى النخبة من المثقفين بالفرنسية جزائريين كانوا أو فرنسيين ولم تكن تراوده اهتمامات مخاطبة أو التوجه إلى العوام أو توعية العامة رغم أن الصحيفة كانت بعنوان صوت الأهالي . بل تبنى المشروع الاندماجي كملاذ للخلاص منهم. أما العمودي فبالرغم من انه لم يقدم تحليلات عميقة للأوضاع في الجزائر إلا أن اهتمامه بالأهالي كان واضحا إما من خلال طرحه لأوضاعهم الاجتماعية أو من خلال عرضه لمطالبهم .

الدراسة السابعة:

الحركات الإصلاحية في إفريقيا جنوب الصحراء

إبان القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي[1].

تناول الباحث في دراسته هذه عدة جوانب أساسية استهلها بتحديد الإطار الجغرافي للموضوع وتطرق إلى تاريخ انتشار الإسلام في القارة الإفريقية والطرق التي سلكها في شرق القارة وشمالها وغربها وكيفية توغله في أعماقها والوسائل المستعملة لنشره ، كما عرض أسباب ظهور الحركات الإصلاحية فيها وبين الدور الذي لعبه العلماء والدعاة المصلحين في الدعوة إلى الإسلام وتعليم اللغة العربية ومقاومة الاستعمار في القارة ،وقد حدد الباحث في هذه الدراسة حديثا خاصا عن أشهر الدعاة المصلحين في جنوب إفريقيا، منهم المصلح **عثمان دان فون** حيث تطرق إلى حياة الشيخ وجهوده في تصحيح الإسلام ومحاربة الوثنية وإعلانه الجهاد والمراحل ، كما تطرقت الدراسة إلى حركات إصلاحية أخرى كان ظهورها على الخصوص في السودان الأوسط ومن المصلحين الذين تولوا

[1] - احمد بوعتروس . **الحركات الإصلاحية في إفريقيا جنوب الصحراء إبان القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي.** بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير . إشراف عبد الكريم بوصفصاف . قسم التاريخ . جامعة قسنطينة

الإصلاح فيها **محمد الأمين الكانمي** و**أحمدوا لوبو الماسيني** ، وتطرقت إلى الجهود التي قام بها **محمد بن على السنوسي الجزائري المستغانمي** في التربية والتعليم والتوجيه ، وعرضت جهود المصلح **محمد احمد المهدي السوداني** وغيرها من الحركات الدعوية الإصلاحية التي عرفتها إفريقيا جنوب الصحراء، سواء منها التي اهتمت بالدعوة والنشر الأولي للدين الإسلامي أو التي تولت الإصلاح والتجديد في الدين الإسلامي بعد ما لحقه من تشويهات في هذه المناطق ،ولقد توصلت هذه الدراسة إلى عدة نتائج من أهمها :

كان لظهور الدين الإسلامي الدور الفعال في التوحيد بين أفارقة شمالي القارة وجنوبها ، ولقد كان الفضل الأول في نشر الدين الإسلامي في هذه المناطق هم الدعاة والمصلحين الدينين الذين حملوا على عاتقهم مسؤولية تبليغ الرسالة العالمية .

أن الأفارقة الذين اعتنقوا الإسلام لم يقفوا عند حد الإيمان به فقط بل كان له بالغ الأثر في نفوسهم فتحولوا إلى دعاة ومعلمين ومصلحين حملوا رسالة نشره بين ذويهم وخصوصا منهم أولئك الذين تمكنوا من تحصيل زاد علمي وافر وأصبحوا علماء وفقهاء دعاة.

تمكن رجال الدعوة الإسلامية من إنشاء دول ومماليك رغم أنهم رجال دين ، فاثبتوا بذلك أن الإسلام دين ودولة عكس ما يعتقده الكثير من المثقفين فالإسلام والسياسة يمتزجان مع جميع مناحي حياة المسلم .

رغم الدور الكبير الذي قدمه الإسلام والزعماء والدعاة المسلمين في مجال المقاومة والتضحية والجهاد فان معظم هذه القيادات والمقاومات قد طمس تاريخها وشوه ، وإذا أراد الأفارقة والمسلمين عموما إزاحة الغموض والانهزامية التي لحقت الأمة عموما فلا بد من كشف اللثام عن الدعوات والحركات الإصلاحية التي قادها الدعاة المسلمين لتنقية العقيدة مما علق بها وإعادة فاعليتها الاجتماعية .

تعليق عام على الدراسات السابقة :

من خلال عرضنا لهذه الدراسات السابقة يمكن لنا أن نستخرج الفوارق بينها وبين دراستنا هذه ،فنجد أولا أنها قد اجتمعت حول موضوع واحد وهو الإصلاح الديني ؛ إلا أنها اختلفت فيما بينها من حيث كيفية تناولها لهذا الموضوع وكذا من حيث الجوانب التي ركزت عليها، فالدراسة الأولى ركزت على أعمال احد أعلام الحركة الإصلاحية وهو ابن باديس بإبرازها للبعد الاجتماعي الدعوي في حركته وكذا بالنسبة للدراسة الثالثة التي تبحث

في منهجية التغيير التي اتبعها ابن باديس ونفس الأمر بالنسبة للدراسات التي بحثث في أعمال المصلح المبارك الميلي كنموذج تعرف من خلال أعماله الجهود التي بذلها علماء الحركة الإصلاحية من اجل تغيير أوضاع المجتمع الجزائري وكذا معرفة مناهجهم وتقييمها ويختلف الأمر بالنسبة للدراسة الثانية التي اهتمت بأحد أهم الجوانب التي بنت عليها الحركة الإصلاحية دعوتها وهو المجال العقدي الذي يعد الأساس الذي تكونت من اجل إصلاحه الحركة الإصلاحية حيث تطرقت إلى جهود العلماء الجزائريين الإصلاحية في هذا المجال ولقد خصت في ذلك أعمال مبارك الميلي بتحليلها لمؤلفه "رسالة الشرك ومظاهره" لاعتباره من أهم المراجع العقدية لدى جمعية العلماء المسلمين ، أما دراستنا فقد تناولت المجال العقدي من ضمن مجموعة من المجالات الأخرى السياسية والثقافية والاجتماعية . أما الدراسة الرابعة فقد تناولت مجهودات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في خدمة اللغة العربية وفيها يظهر الاختلاف واضحا بين دراستنا وهذه الدراسة التي اقتصرت على جانب دقيق جدا من بين الجوانب التي اهتمت بها الحركة الإصلاحية. وكذلك بالنسبة للدراسة السادسة التي جاءت على شكل مقارنة بين مواقف مختلفة لأحد المصلحين الجزائريين من مشاريع الاستعمار الفرنسي مع مواقف غيره من أتباع احد الأحزاب الأخرى، كما أن الدراسة الأخيرة قد تناولت الإصلاح لبلد غير الجزائر ، ومن كل هذا يمكن القول أن هذه الدراسات المعروضة كل منها قد تناول جانب محددا من الإصلاح دون جانب آخر وبالتالي تختلف عن دراستنا التي تناولت الإصلاح الديني في الجزائر وبالتحديد التركيز على أعمال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وتهدف إلى معرفة الجهود التي بذلتها جمعية العلماء لتغير أوضاع المجتمع الجزائري .


الاطار النظري

الفصل الأول:

المبحث الأول: مفهوم الدين ووظائفه.

اولا : مفهوم الدين .

1- مفهوم الدين في اللغة .

1-1- مفهوم الدين في اللغة اللاتينية .

1-2 - مفهوم الدين في اللغة العربية .

2- مفهوم الدين في اصطلاح العلماء.

2-1 - مفهوم الدين لدى علماء الغرب.

2-2- مفهوم الدين لدى العلماء المسلمين .

ثانيا : وظائف الدين :

المبحث الثاني: مفاهيم الإصلاح الديني.

أولا: الإصلاح والثورة

ثانيا: الإصلاح والتجديد

المبحث الثالث: نماذج من الإصلاح الديني في العالم

أولا : الإصلاح الديني لدى المسيحيين .

ثانيا : الإصلاح الديني لدى اليهود .

ثالثا : الإصلاح الديني لدى المسلمين

الفصل الأول:

ترتبط الحركات الإصلاحية الدينية ارتباطا مباشرا بالدين فهو الموجه الأساسي لحركة التغيير التي تسعى للقيام بها ومن ثم يمثل الدين دورا مهما جدا في التغيير وذلك بما يتضمنه من أفكار تساعد الحركة الإصلاحية على صوغ الرموز التي تقوم عليها لتوفر الفهم والأجوبة والتبصر في مشاكل الناس وتوفر الإلهام الديني الذي يعد كدافع وكعزيمة لحل المشاكل الاجتماعية .

بهذه العلاقة الترابطية التي نلاحظها بين الدين والإصلاح الديني تأتي ضرورة البحث في مفهوم الدين ووظائفه، وكذا معرفة بعض المصطلحات التي اتْبِعت بمفهوم الإصلاح الديني.وكإشارة إلى أن الإصلاح الديني يعد حركة عالمية نتطرق إلى نماذج من الإصلاح الديني في العالم وفي أديان مختلفة.

المبحث الأول: الدين ووظائفه الاجتماعية

أولا : مفهوم الدين .

1 – مفهوم الدين في اللغة . الدلالة اللفظية

1-1 –مفهوم الدين في اللغة اللاتينية

اعتمد فريق من علماء الأديان في تعريفه للدين على الدلالة اللفظية للأصل اللاتيني للاصطلاح الأوروبي religion واختلف هذا الفريق في هذا الصدد إلى رأيين ، فذهب البعض وعلى رأسهم " جييو" Guyau إلى أن هذا المصطلح مشتق من الفعل اللاتيني religionبمعنى جمع أو ربط ، وقد اخذ بهذا التعريف العلامة دى لا جراسري de la grasserie فذهب إلى أن الدين هو ارتباط جماعة إنسانية بإله أو آلهة ؛ بمعنى أن كل ديانة تجمع بين معتنقي الديانة الأحياء منهم والأموات وآلهتهم في مجتمع واحد يعتبر جزءا لا ينفصل عن الكون الطبيعي والوجود الحيوي. .

أما الفريق الآخر وعلى رأسهم كل من جيفونز jevono وروجيه باستيد bastid فيعتقدان أن كلمة الدين ترجع أصلا إلى الفعل اللاتيني religion الذي يعني العبادة المصحوبة بالرهبة والخشية والاحترام . على أن هذا المدلول لا يكاد ينطبق إلا على العاطفة الدينية الراقية التي تظهر في بعض الديانات المعروفة باسم الديانات السماوية[1].

1- 2 – مفهوم الدين في اللغة العربية .

إذا رجعنا إلى القواميس اللغوية نجد أن الدين فيها ذكر بمعاني كثيرة مختلفة، فقد جاء في **لسان العرب المحيط** : الدين بمعنى الجزاء والمكافأة قال : دنته بفعله دينا ، جزيته ودانه دينا : أي جازاه ومنه قوله تعالى {إنا لمدينون } أي مجزيون ومحاسبون [..]الدين الطاعة، يقال (وقد دنته ودنت له أي أطعته) والدين لله إنما هو طاعته والتعبد له، ودانه دينا أي أذله واستعبده[2] وجاء في **مجمل اللغة:** الدين العادة والشأن، والدين الطاعة، والدين الحكم والجزاء في قوله تعالى "ملك يوم الدين"[3] بينما ذهب الدكتور عبد الله دراز في كتابه **الدين** إلى أن هذه الكلمة تختلف في معناها باختلاف الاشتقاق.

> فإذا فلنا{ دانه دينا }عنينا بذلك انه ملكه، وحكمه وساسه، ودبره وقهره وحاسبه، وقضى في شانه، وجازاه وكافاه، فالدين في هذا الاستعمال يدور على معنى الملك والتصرف بما هو من شان الملوك من السياسة والتدبير والحكم والقهر والمحاسب.
> وإذا قلنا { دان له } أردنا انه أطاعه، وخضع له فالدين هنا الخضوع، والطاعة، والعبادة والورع، وكلمة الدين لله يصح منها المعنيين:الحكم لله والخضوع لله.
> . وذا قلنا { دان بالشيء } كان معناه انه اتخذه دينا ومذهبا،أي اعتقده والمذهب والطريقة التي تسير عليها المرء نظريا أو عمليا.[4]

والملاحظ على هذه التعاريف أنها وبالرغم من الاختلافات التي ظهرت فيها إلا أنها تتفق على مفهوم مشترك يتمثل في كون الدين علاقة بين طرفين بحيث يكون هذان

---

[1] – احمد الخشاب. **الاجتماع الديني، مفاهيمه النظرية وتطبيقاته العملية.** مكتبة القاهرة الحديثة . ط3. 1980م . ص 73.

[2]–ابن منظور. **لسان العرب المحيط.** قدم له العلامة الشيخ عبد الله العلا يلي . أعاد بناءه على الحرف الأول من الكلمة يوسف خياط. المجلد الثاني. دار الجيل , بيروت . دار لسان العرب . سنة 1408–1988. ص. 1044

3– أبي الحسن احمد بن فارس بن زكرياء . **معجم مجمل اللغة** . الجزء الأول. دراسة وتحقيق زهير عبد المحسن سلطان . مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية .ص. 342

4– عبد الله دراز . **الدين، بحوث ممهدة في دراسة الأديان.** دار القلم . سنة 1400هــ–1980م.ص.31.

الطرفان احدهما أعظم من الآخر فتستلزم العلاقة بينهما أن تكون علاقة سلطة للأعظم وخضوع وتذلل وانقياد للأدنى ، كما يحمل الدين في مدلوله معنى الطريقة أو المنهاج والعقيدة والملة التي يكون فيها لزوم الانقياد. .

2: مفهوم الدين في اصطلاح العلماء.

2-1- مفهوم الدين لدى علماء الغرب .

هناك تعاريف متعددة قام بها كثير من المفكرين الغربيين لتوضيح مدلول كلمة دين والملاحظ على هذه التعاريف بصفة عامة أنها جاءت نتيجة التأثر بالآراء الفلسفية والمذهبية والمعتقدات الشخصية التي تنطلق كلها من نظرتهم إلى الكنيسة الكاثوليكية وتاريخها في العصور الوسطى وموقفها من الملوك والحكام والإقطاع والرق والحروب والحجر على العلم والاكتشافات.وقد تعددت تعريفاتهم واختلفت من عالم لآخر وفي هذا المبحث نورد بعض تعريفاتهم مركزين على اتجاه كل واحد منهم. .

1-1- مفهوم الدين لدى الفلاسفة. .

يعرف **سيسيرون** الدين: بأنه الرباط الذي يصل الإنسان بالله.

أما **كانت** فيقول: الدين هو الشعور بواجباتنا من حيث كونها قائمة على أوامر إلهية

ويعرف **شاتل** لدين: الدين هو مجموعة واجبات المخلوق نحو الخالق،واجبات الإنسان نحو الله وواجباته نحو الجماعة وواجباته نحو نفسه

ويقول **روبرت سبنسر:** الإيمان بقوة لا يمكن تصور نهايتها الزمنية والمكانية[1] .

1-2-مفهوم الدين لدى الانثروبولوجيين .

يعرف **تايلور** الدين بقوله :الدين هو الإيمان بكائنات روحية .

ويقول **ماكس ميلر:** الدين هو محاولة تصور ما لا يمكن تصوره،والتعبير عنه،وهو التطلع إلى اللاّنهائي، هو حب الله ، أما **إميل برنوف :** الدين هو العبادة ، والعبادة عمل مزدوج، فهي عمل عقلي به يعترفا الإنسان بقوة سامية عمل قلبي أو انعطاف محبة يتوجه به إلى رحمة تلك القوة، ويقول **جويوه:** الديانة هي تصور المجموعة العالمية بصورة الجماعة الإنسانية، والشعور الديني هو الشعور بتبعيتنا

[1])-دراز . مرجع سابق . ص 32

لمشيئات أخرى يركزها الإنسان البدائي في الكون[1] .

1- 3- مفهوم الدين لدى الاجتماعيين:

" يعرف **سلفان بيريسيه:** الدين هو الجانب المثالي في الحياة الإنسانية ،يقول **سالمون ريناك** : الدين هو مجموع التورعات التي تقف حاجزا أمام الحرية المطلقة لتصرفاته.

ويعرف **دوركايم** الدين في كتابه **الصور الأولية للحياة الدينية :** الدين مجموعة متساندة من لاعتقادات والأعمال المتعلقة بالأشياء المقدسة **(أي المعزولة والمحرمة)"** [2]

لقد تضمنت هذه التعاريف نقائص كثيرة ترجع في الأساس إلى النظرة التخصصية التي انطلق منها كل باحث، فلدى الفلاسفة مثلا نجد أنهم عبّروا عن فكرة الدين بأرقى صورة عرفتها الفلسفة وذلك في تعريف سبنسر الذي يقول فيه : "إن العنصر الأصيل في الدين هو الإيمان بقوة لا يمكن تصور نهايتها الزمنية والمكانية" ففي هذا التعريف حصر سبنسر الدين فيما يعتقده الفلاسفة وغيرهم من العلماء الذيـــن تأثروا بفلسفتهم وهي فكرة **اللانهائي** التي تخرج بقية العقائد الأخرى السماوية أوغيرها التي لا تقوم على هذا الأساس،كما نجد أن ماكس ميلر كان اشد تضييقا في تعريفه حين قال"أن الدين هو محاولة تصور ما لا يمكن تصوره" فهذه العبارة لا تنطبق إلا على الأديان التي تفصل بين العقيدة والعقل فصلا تاما والمقصود بها هنا الديانة المسيحية ، ونجد هذا الغلو أيضا لدى علماء الاجتماع أمثال دوركايم وسالمون ريناك فهؤلاء لا يكتفون بحذف فكرة الإله الخالق واللانهائي الذي لا يحيط به التصور بل يذهبون إلى أبعد من ذلك بإبعادهم لفكرة الالوهية بكل معانيها من التعريف محتجين بأن في الشرق أديان مثل البوذية تقوم على أساس أخلاقي بحت خال من تاليه أي كائن[3] ، كل هذا يجعلنا نعتبر أن الدين من المصطلحات التي لم يستطع الفكر الغربي أو الفكر الإنساني بصفة عامة الوصول إلى مفهومها بشكل دقيق إلى حد الآن للاعتبارات المذكورة سابقا. كما يلاحظ على هذه التعاريف أنها لم تكن

---

[1]- المرجع نفسه . ص. 32

[2]- دراز . مرجع سابق. ص. 32

[3]- المرجع نفسه . ص. 37

نتيجة دراسة علمية استقرائية تقوم على أساس المنهج الاجتماعي المقارن فالواقع أن أصحاب هذه التعريفات إنما استمدوها من تحليلهم لدياناتهم

2-2- مفهوم الدين لدى العلماء المسلمين.

من أشهر التعاريف التي وردت عن الدين لدى المسلمين التعريف الذي يرى فيه واضعه أن الدين هو: "وضع الهي سائغ لذوي العقول السليمة باختيارهم إلى الصلاح في الحال والفلاح في المآل"[1] ، فيشير هذا التعريف إلى أن الدين هو من وضع الهي رباني خارج عن فعل الإنسان وإرادته ويرشد إلى الحق في الاعتقادات والى الخير في السلوك والمعاملات .

ويذهب أبو الأعلى المودودي: إلى أن لكل امة منهج في الحياة ينبثق عن دينها وإذا كان منهج الحياة لهذه الجماعة أو تلك من صنع الله سبحانه وتعالى أي صادر عن عقيدة ربانية فهذه الجماعة في دين الله ، أما إذا كان المنهج الذي يصرف حياة هذه الجماعة من صنع الملك أو الأمير أو القبيلة أو الشعب؛ أي صادر عن مذهب أو تصور أو فلسفة بشرية فهذه الجماعة في دين الأمير أو دين القبيلة أو دين الشعب وليست في دين الله لأنها لا تتبع منهج الله المنبثق أساسا عن الله دون سواه[2] ، ثم يعرف الدين بأنه : "نظام شامل يذعن فيه المرء لسلطة عليا ، ثم يقبل طاعتها وإتباعها والتقيد في حياته بحدودها وقواعدها وقوانينها ويرجوا في طاعتها العزّة والترقي في الدّرجات وحسن الجزاء ويخشى في عصيانها الذل والخزي وسوء العاقبة"[3]

لقد حصر هذين التعريفين مسمى الدين في نطاق الأديان المستندة إلى الوحي السماوي وأخرجا بقية العبادات الوثنية كالبوذية والهندوسية وغيرها من الديانات رغم أن القران الكريم قد ذكرها من ضمن الديانات عموما وذلك في قوله تعالى:" **وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَام دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** "[4]

---

[1]- دراز . مرجع سابق. ص. 32

[2]- نبيل محمد توفيق السمالوطي . **الدين والبناء الاجتماعي**.الجزء الثاني. دار الشروق . جدة. ط1. 1401هـ-1981م .ص21

[3] - مراد زعيمي . **علم الاجتماع رؤية نقدية** . مؤسسة الزهراء للفنون المطبعية . ص 37

[4] - **القران** الكريم. **سورة آل عمران**. آية 85

وفي قوله تعالى "**لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ** "[1] ، فهذه الآيات الكريمة تدل على أن الدين ليس مقصورا على الأديان السماوية فحسب بل أن مفهومه أعم وأوسع من ذلك .

وما يمكن أن نلاحظه على هذه التعاريف على وجه العموم هو أن كل باحث فيها قد انطلق في تعريفه للدين من عقيدته الخاصة وكذا ارتبط بتخصصه العلمي ليبقى من ثم مصطلح الدين شأنه شأن العديد من المصطلحات التي لا يوجد اتفاق حول تعريفها سواء عند علماء الاجتماع أو عند غيرهم ،وإذا كان هدفنا الأساسي من هذا البحث هو الوصول إلى تعريف شامل لكل الأديان بكل أنواعها نختار منها تعريف عبد الله دراز الذي حاول من خلال تحليله وشرحه ونقده للتعاريف السابقة أن يستخرج تعريفا يتجنب فيه كل النقائص والأخطاء التي وقع فيها العلماء الذين ذكرناهم سابقا فيقول: "أن الدين هو الاعتقاد بوجود ذات أو ذوات غيبية علوية لها شعور واختيار ولها تصرف وتدبير للشؤون التي تعني الإنسان ، اعتقاد من شانه أن يبعث على مناجاة تلك الذات السامية في رغبة ورهبة، جديرة بالطاعة والعبادة "[2] .

ويبقى الدين من هذا كحقيقة مجمع عليها من قبل الكثير من العلماء الاجتماعيين وعلماء الانثروبولوجيا وكذا علماء تاريخ الأديان وهم الذين أكدوا على انه ليس هناك جماعة إنسانية ظهرت وعاشت ومضت دون أن تتخذ لنفسها عقيدة معينة بغض النظر عن طبيعة هذه العقيدة ، كما اجمعوا على أن الدين هو منهج حياة لا بد من توفره في حياة كل فرد وجماعة وذلك لما يحققه من علاقات تفاعلية متبادلة مع النظم الاجتماعية الأخرى التي تبرزالأهمية الكبيرة للدين في المجتمع وتظهره كضرورة اجتماعية حتمية في حياة

---

1)-قرآن كريم . **سورة الكافرون**. آية6 .

2)- دراز . مرجع سابق .ص 37

الأفراد أو الجماعات "لأن الإنسان بفطرته لا يمكن أن يستقر في هذا الكون الهائل ذرة تائهة مفلتة ضائعة فلا بد من رباط معين لهذا الكون يضمن له الاستقرار فيه ويعرفه مكانه في هذا الكون الذي يستقر فيه فلا بد له إذن من عقيدة تفسر له ما حوله فهي ضرورة فطرية شعورية لا علاقة لها بملابسات العصر والبيئة "[1] وهذا يؤكد أن سلوك الفرد في هذا المجتمع يقوم على أساس اعتقاده الذي يمثل له منهجا يسير به كل حياته حتى في سلوكه الخاص واليومي؛ فهو منطلق ما يعتقد وكذلك فان العقيدة هي أساس النظام الاجتماعي السائد في المجتمع "لان هناك تلازما وثيقا بين طبيعة التصور الاعتقادي وطبيعة النظام الاجتماعي تلازما لا ينفصل ولا يتعلق بملابسات العصر والبيئة [..] بل إن هناك ما هو أكثر من التلازم [..] فالنظام الاجتماعي هو فرع في التفسير الشامل لهذا الوجود ولمركز الإنسان فيه ووظيفته وغاية وجوده الإنساني وكل نظام اجتماعي لا يقوم على أساس هذا التفسير هو نظام مصطنع لا يعيش وإذا عاش فترة شقي به لإنسان [..] فهي ضرورة تنظيمية كما هي ضرورة شعورية"[2] ، كل هذه الشارات تثبت الأهمية الكبيرة للدين في المجتمع وكذا فاعليته ، ولمعرفة السبب الذي جعل الدين ينال كل هده المكانة والأهمية وينصّب على رأس كل النظم الاجتماعية الكثيرة في المجتمع نرى أنه من الضروري التطرق إلى وظائفه الاجتماعية. .

ثانيا: وظائف الدين الاجتماعية.

إن الإنسان بعقله القاصر وغريزة الأنانية الموجودة فيه طبيعيا لا يمكن له أن يسير حياته وحياة الآخرين دون أن يتعرض في تخطيطه للخطأ لذلك فوجود عامل الدين في المجتمع وفر عليه هذه الوظيفة فأمسى كأحسن نظام تقوم عليه حياة الأفراد في المجتمعات فارتبط صلاح النظام الاجتماعي عموما بصلاح العقيدة .ومن ثم فقد اكتسب الدين مكانة هامة في المجتمعات الإنسانية قديما وحديثا وذلك من خلال الوظائف العديدة التي يقوم بها حيث لقي اهتماما كبيرا من طرف العلماء والباحثين بمختلف تخصصاتهم وانتماءاتهم

---

[1]- سيد قطب . **خصائص التصور الإسلامي**. دار الشروق . ص. 27

[2]– المرجع نفسه. ص 27

وخاصة منهم علماء الدين وعلماء الاجتماع والانثروبولوجيا الذين جعلوا موضوع الدين من أهم مواضيع أبحاثهم ودراساتهم ، ويظهر هذا الاهتمام أكثر في نظريات علم الاجتماع وعلى رأسها النظرية الوظيفية التي أعطت قيمة وظيفية كبيرة للدين وهي التي ترجع سبب اهتمامها الكبير بالدين ووظائفه إلى السمة المركزية التي يحتلها من بين النظم الأخرى في المجتمع وترى أن اكتساب الدين لهذه السمة راجع في الأساس إلى الوظائف التي يحققها في المجتمع ويتميز بها عن غيره من النظم الكثيرة التي تكون البناء الاجتماعي وكذا إلى التأثيرات الفعالة التي يحققها على النظم الأخرى[1] ، وربما هذا ما جعل الكثير من العلماء يكادون يجمعون على أن للدين بصرف النظر عن حقيقته قيمة وظيفية كبيرة مع الإشارة إلى أن هذه الوظائف مرتبطة أولا وأخيرا بطبيعة الدين وطبيعة المجتمع وهذا ما أشار إليه الدكتور محمد احمد بيومي في قوله:" إن الوظائف الاجتماعية للدين يجب ألا تناقش في فراغ تاريخي ؛ بمعنى إن الشكل والوظيفة الاجتماعية للدين مرتبطان بفهم شكل هذا المجتمع وتطوره التاريخي فدراسة الدين من خلال المحتوى التاريخي للمجتمع يساعدنا على رؤية وظائف الدين إما على أنها عوامل مساعدة لتماسك المجتمع أوانها عوامل مثيرة للصراع وذلك تحت تأثير الدين كاتجاه محافظ أو اتجاه ثوري"[2]ويمكن تلخيص هذه الوظائف فيما يلي:

1- الضبط الاجتماعي. .

يعتبر الدين من أهم الضوابط التي تعتمد عليها المجتمعات لتحقيق النظام العام إذ به يكون الإرشاد لسلوك طريق الصلاح والخير والانضباط وذلك من خلال ما يسقطه على النظم والقيم والمعايير التي يقوم عليها المجتمع من قداسة تلزم الفرد باحترامها وعدم تجاوزها فيضمن بذلك أهداف المجموعة متجاوزا رغبات الفرد وتحل عن طريقه المشاكل الاجتماعية والنفسية للأفراد التي تنجرّ عن الانحرافات والتمرد الذي يعرفه أفراد المجتمع

---

[1]-سامية مصطفى الخشاب. **دراسات في الاجتماع الديني، الكتاب الأول، علم الاجتماع الديني.** الطبعة الأولى. دار المعارف . 1988م . ص . 89

[2]- محمد احمد بيومي .**علم الاجتماع الديني** . تقديم محمد عاطف غيث دار المعرفة الجامعية . السنة 2008. **ص**214

وتظهر وظيفة الدين في الضبط الاجتماعي من خلال عمل مؤسساته الدينية وسلطاته التي تعمل دور الرقابة الاجتماعية المحققة للضبط الاجتماعي[1] .

ولقد تحدث دوركايم عن هذه الوظيفة المميزة للدين من خلال بحثه للشعوب البدائية فقال بأن " كل ديانة إنما ترتكز على عدد من السلوكيات وعدد آخر من السلوكيات المحرمة وإن نظام التحريم الذي نشأ في الديانة التوتمية يعتبر الأساس في الضبط الاجتماعي فهو نوع من التحريم الاجتماعي الذي يستند إلى أساس ديني "[2] وبهذا فقد أكد وظيفة الضبط الاجتماعي التي يقوم بها الدين وهي وظيفة ايجابية ؛ إلا انه من جهة أخرى قلل من أهميته لما أشار إلى إمكانية إيجاد بديل عنه يقوم بكل وظائفه الاجتماعية ويشير كلامه هذا إلى أن هناك إمكانية أن يحتل العلم المعاصر مكان الدين ويقوم بنفس وظائفه وباعتبار أن دراسة دوركايم قد خصت الديانات البدائية والشعوب القديمة بالبحث فان نتائجها لا يمكن أن تعمم بل تبقى محصورة على هذه الشعوب لان هذه الوظائف تكون على حسب طبيعة الأديان .

كما أشار راد كليف براون إلى هذه الوظيفة متأثرا بدوركايم ودراساته عن دور المعتقدات الدينية في المجتمعات الاسترالية إلا انه خالفه في نظرته للدين لما نزع عنه صفة القداسة ونظر إليه بأنه "مجموعة من الشعائر التي تمنح التعبير المنظم عن بعض المشاعر والعواطف البشرية وذلك للإبقاء عليها حية ونشطة ، ذلك لان قوة سيطرة هذه العواطف على سلوك الأفراد يجعل من الممكن وجود استمرار الحياة الاجتماعية المنظمة [..] وبذلك فان وظيفتها الرئيسية هي ضبط السلوك والحفاظ على النظام بتحسين المشاعر البشرية"[3]، وتظهر هذه الوظيفة الدينية بوضوح في الدين الإسلامي "الذي يعد بإجماع كل الدارسين المحايدين الموضوعيين في مجال الأديان والمقارنة والدراسات الانثروبولوجية من العرب والغرب انه دين متكامل المنهج ينظم حياة الناس وفق تداعيات الخير لدي كل

---

[1]- عبد الباقي الهر ماسي ، وآخرون . " علم الاجتماع الديني، المجال –المكاسب – التساؤلات ". **الدين في المجتمع العربي**. مركز الدراسات العربية. بيروت. الطبعة الأولى. 1990.ص 19

[2]- **سامية** الخشاب. مرجع سابق . ص54. 55

[3]- علي ليلى . **البنائية الوظيفية في علم الاجتماع والانثروبولوجيا ، المفاهيم والقضايا** .دار المعارف . الطبعة الأولى. سنة 1982. ص193

إنسان وتقليل نزعات الشر وحل الصراعات التي تنشا داخل النفس الإنسانية"[1] ؛ لان الدين الإسلامي من أكثر الأديان ارتباطا بالواقع وبالمجتمع من خلال المبادئ التي يأمر بها " فهو يكفل مهابة النظام الاجتماعي في النفوس ويمنع انتهاك حرماته[..] فيكون الدين في هذا كرقيب ذاتي داخلي يجعل المؤمن يستشعر دائما مراقبة الله تعالى له الذي يعلم السر وما تخفي الصدور ، فيكوّن هذا العامل أعظم سلطان يكفل حفظ النظام والأحكام والحقوق" [2] ويقول الدكتور عبد الله دراز " ليس على وجه الأرض قوة تكافئ قوة التدين أو تدانيها في كفالة احترام القانون وضمان تماسك المجتمع واستقرار نظامه والتئام أسباب الراحة والطمأنينة فيه "[3]

هذه هي وظيفة الضبط التي يحققها الدين ولكن هذا لا يكون إلا إذا تمسك إتباعه به وطبقوا أحكامه ومن ثم تقوّم سلوكياتهم وتبنى أسس قيمية تقوم على الضبط وتعميق الروابط الاجتماعية بين أفراد المجتمع الواحد.

ثانيا: الدين يؤدي وظائف انتمائية مهمة

بالدين يدرك الإنسان حقيقته وطبيعته وكذا وظيفته وانتمائه العرقي والديني ففيه الجواب عن الأسئلة الكثيرة التي يطرحها الفرد على نفسه ليعرف ما يتعلق بماضيه أو ماضي الإنسانية اجمع وكذا مايتعلق بمصيره في المستقبل ويربطه بنفسه و يمنحه الشعور الامتناهي" عندما يعلمه بأن له جذورا عميقة ضاربة في التاريخ البعيد فيحس بالأزلية ويمنحه من جهة أخرى جملة من الآفاق المستقبلية التي توفر له اللامحدودية سواء في طموحاته كفرد أو في تطلعاته كانسان"[4]، وبالدين يعرف الفرد ذاتيته وموقعه وشخصه من بين كل من حوله فيجعله يتصرف وفقه بعصبية في مواقف تختلف عن ذاتيته وانتمائه فيكون سلوكه على وفق اعتقاده "ومثاله امتناع المسلم عن شرب الخمر في المجالس

---

[1]- **الدين الإسلامي.. ودوره في الضبط الاجتماعي السلوكي.**

http://www.yabanat.com/vb/newreply.php?do=newreply&noquote=1&p=

[2]-محمد الزحيلي . **وظيفة الدين في الحياة وحاجة الناس إليه** . دار القلم , دمشق . الطبعة الثانية السنة 1407- 1987م. ص90-91.

[3]- عبد الله دراز . مرجع سابق. ص 101

[4]- عبد الباقي الهرماسي ، وآخرون . مرجع سابق. ص19

الدولية التي يعرض فيها الخمر وذلك نظرا لإحساسه بذاتيته كمسلم وانتمائه للدين الإسلامي الذي يحرم شرب الخمر "[1]. وفي القران الكريم ما يحقق هذه الوظيفة وذلك في السور والآيات التي وردت فيها قصة خلق ادم عليه السلام– كأول مخلوق على وجه الأرض – وكذا في الأحاديث النبوية التي تبرز عمق الجذور التاريخية لأصل الإنسان فتربطه بتاريخ عميق جدا لا يمكن تصور بدايته مع بيان وظيفة الإنسان على وجه الأرض " **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**"[2]

كل هذه المميزات التي تتحقق بالدين تزرع في نفس الإنسان الراحة والطمأنينة والاستقرار وقوة الإرادة لما يعلم أن ماضيه وحاضره ومستقبله وكل حياته مرتبطة بدينه فمن دون الدين ومن دون إيجاد مجيب مقنع ومأمون يعيش الإنسان في قلق واضطراب وحيرة لجهله بحاله وبنفسه بماضيه ومستقبله وبالهدف من وجوده ، كل هذا القلق والاضطراب لا يزول إلا عن طريق الدين والعالم الحاضر شاهد على نتائج البعد عن الدين، والأمثلة على ذلك كثيرة نذكر منها الانتحار.

ثالثا : الدين يذكر بآفاق الحياة بعد الموت.

هذه الوظيفة من شأنها أن توفر للفرد المساواة والمصالحة فتجعله قادرا على تحمل الخيبة والأسى والحيرة التي يجدها في الدنيا ، فالدين بتأكيده على تجاوز الوضع الراهن لوجود حياة أخرى هي أهم من الحياة الدنيا يوفر للإنسان وضعا يتسم بالانفتاح فيجعله يقيم مصالحة بين الواقع بين الوجود والوجوب بين المعاش والمأمول، وبعلمه أن الموت حتمي لا مجال للهروب منه تجعله يلجا إلى الاعتقادات والشعائر ليتخذها كوسيلة مواجهة والمواجهة بواسطة الدين(العقائد والشعائر) ليست بإلغاء وإنما تساعد على رفع الأسى والخوف والحيرة وتحل محلها الراحة والاطمئنان والأمل وتربط الأفراد بآفاق الحياة بعد الموت بالتأكيد على أن الدنيا ما هي إلا مرحلة مؤقتة تستوجب الانتقال الحتمي إلى الدار الآخر بالموت وفيها يكون الفصل بين الأخيار والأشرار.[3] .

[1]- سامية الخشاب. مرجع سابق. ص87

[2]- – قران كريم . سورة. آية

[3]- الهرماسى ,وآخرون . المرجع السابق. ص19

رابعا: الدين يوفر القوانين الأخلاقية التي تفصل بكل وضوح بين الخير والشر في كل تجارب الحياة الإنسانية.

بهذه الوظيفة يهدف الدين إلى إقامة المجتمع الفاضل الذي يقوم على الأخلاق والفضيلة والتكافل والتعاون والتراحم والمساواة ولا يمكن أن يرتسم هذا الهدف في المجتمع إلا إذا تحلى أفرادها بهذه الأخلاق التي تعمل على تنظيم العلاقات الاجتماعية المختلفة بين الأفراد فيمتنع من خلالها الفساد الاجتماعي من الانتشار ويضمن المجتمع بقاءه مستمرا في التطور والتحضر[1]، وتعد الأديان هي المصدر الوحيد للفضائل والأخلاق فهي كما قال مالك بن نبي" منحة من السماء إلى الأرض عندما تولد الحضارات، مهمتها ربط الأفراد بعضهم ببعض"[2] والأخلاق ضرورة حتمية لبناء أي حضارة راقية فهي التي تحقق السعادة للأفراد في مجتمعاتهم ، ويمكن أن نعتبر أن قيمة الأديان تعرف من خلال ما تدعوا إليه من الأخلاق كما أن قيمة مجتمع من بين المجتمعات الأخرى تميز من خلال قدر التزام أفرادها بالأخلاق الفاضلة،وهذا التمايز يرجع في الأساس إلى درجة اهتمام الدين بقيم وأخلاقيات الحياة اليومية للأفراد والمجتمعات ، فإذا بحثنا عن مدى تأثير الدين في انساق القيم الاجتماعية والأخلاقية نجد أن من المجتمعات ما ترى أن القيم الأخلاقية نظم منفصلة عن الدين كباقي النظم الأخرى " فمثلا في المثولوجيا اليونانية تظهر الدين على انه لا يساند الأخلاق التقليدية للمجتمع وفي هذه الحالة تربط الأخلاق بالعادات والتقاليد أكثر من ربطها بالدين "[3] في حين نجد مجتمعات أخرى تعتبر الدين والأخلاق هما شيء واحد، والدين الإسلامي مبني على هذا الأساس الأخير فالقيم الأخلاقية هي الأساس الأول الذي قامت عليه الأمة الإسلامية وقد ظهر هذا في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق " الذي حصر فيه الرسالة الإسلامية كلها في الأخلاق ليدل على الارتباط المباشر بين الدين والأخلاق .

---

[1] – الهرماسي ، وآخرون . مرجع سابق . ص . 19

[2] – مالك بن نبي , **شروط النهضة**،ترجمة عمر كامل مسقاوي ،عبد الصبور شاهين .إشراف ندوة مالك بن نبي . دار الفكر الجزائر/ سوريا. الطبعة الرابعة. 1408هـ–1987م. ص

[3]– سامية الخشاب. مرجع سابق. ص.95.

خامسا: الربط بين قلوب أتباع الدين الواحد برباط المحبة والاحترام و التراحم بحيث لا يعدله رباط آخر من جنس أو لغة.

لقد ابرز دوركايم من خلال دراسته الوظيفية للدين هذه الوظيفة وجعلها على رأس الوظائف الأخرى حيث يرى أن الدين يعمل على"ربط الأفراد بمجتمعهم بقوة عن طريق **الفهم** أي فهم الواقع والعلاقات الاجتماعية ، **والاتصال** بمعنى اتصال الأفراد بعضهم ببعض على أساس من المفاهيم المشتركة **والتحديد** أي تنظيم الأفكار والعلاقات الاجتماعية عن طريق هذه الأشياء يتقبل الأفراد الدين على انه شيء ملزم مطلق "[1] وقد شبه دوركايم الدين **بالغراء** في ربطه للأفراد بعضهم ببعض وفي تماسكهم فيما بينهم رغم ما يوجد بينهم من اختلاف في الاهتمامات"[2] وتتحقق هذه الوظيفة عن طريق غرس الشعور بالولاء والانتماء وغرس روح المشاركة والمسؤولية فتكون وظيفة الدين من خلال كل هذا "وظيفة إدماج سواء على مستوى الحياة الاجتماعية أو على مستوى الحياة الفردية فهو إذن وسيلة التلاحم والتناسق الذي يستدعيه التضامن الاجتماعي"[3]

الدين يربط بين أفراد المجتمع فيجعلهم متماسكين موحدين متراصين يشكلون قوة عظيمة تقف في وجه كل من يريد أن يشتت وحدتهم أو ينشر الفتنة بينهم أو أن يمس بأي مشترك بينهم ، وفي هذا المعنى يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " مثل المسلمين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضوا تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر" ، فهذا الحديث يبرز وظيفة الدين في تحقيق التلاحم والتداخل والترابط الشديد بين أفراد المجتمع الذين يدينون بدين واحد ، حيث يساهم في تقوية شبكة العلاقات بينهم.

سادسا: التغيير الاجتماعي.

ترتبط هذه الوظيفة الأخيرة ارتباطا وثيقا بتحقق الوظائف الأخرى فإذا تمكن الدين من تحقيق الوظائف السابقة الذكر فانه يتمكن من تحقيق التغيير الاجتماعي، فيكون بذلك إضافة إلى كونه عامل من عوامل تحقيق التماسك والترابط وتحقيق الأمن والاستقرار

1- المرجع نفسه . ص.53

2- سامية الخشاب. مرجع سابق. ص. 89

3- صالح البكاري . **أبعاد الدين الاجتماعية**. إشراف عبد الوهاب بوحديبة . الدار العربية للكتاب. 1985 . ص 14

عامل من عوامل التغيير الاجتماعي وقد اختلف العلماء والفلاسفة في أي العوامل أولى وأقوى في إحداث التغيير الاجتماعي من بين العوامل العديدة التي عددوها لذلك ، حيث ذهب **كارنولد توينبي** إلى اعتبار **التحدي والاستجابة** العامل الحاسم في إحداث التغيير الاجتماعي ، في حين ذهب **كارل ماركس** إلى اعتبار **الاقتصاد** العامل الأساسي المسيطر على حركة المجتمعات التاريخية[1] ، أما مالك بن نبي فيرى أن معرفة السبب الرئيسي للتغيير الاجتماعي إنما يكون عن طريق استقراء الوقائع التاريخية ومما تبين له من خلال أبحاثه أن الفكرة الدينية هي المحرك الفاعل لأي حركة تغييريه اجتماعية حضارية في كل المجتمعات قديما وحديثا فيقول :" أن المرء كلما أوغل في الماضي التاريخي للإنسان في الأحقاب الزاهرة لحضارته أو في المراحل البدائية لتطوره الاجتماعي فانه سيجد سطورا من الفكرة الدينية مما يؤكد الأثر الكوني للدين في انه القاعدة في جميع التغييرات الاجتماعية من الحضارات السابقة والحالية ، كما حلل سقوط المجتمعات وتدهورها بغياب الوظيفة الاجتماعية للدين "[2]

أشار راد كليف براون إلى هذه الوظيفة الدينية "وأكد على أن تغير البناء الاجتماعي كان نتيجة لتغير النسق الديني بما يضم من جزاءات كانت ذات فاعلية في التغير، إلا أنه يعتبر الدين من إحدى المسببات في التغيير الاجتماعي وليس الأساس ،فهناك مسببات أخرى اجتماعية وثقافية سياسية تساهم هي الأخرى في التغيير و يرى أن التغير لا يسبب خلل في البناء إنما يكون من اجل البحث عن الاتساق والتكامل والتوازن وهو مؤقت"[3]

التغيير الاجتماعي عن طريق الدين لا يتم إلا إذا أثرت الأفكار الدينية في الأفراد وغيرت سلوكهم، فهذا يعد كأساس أولي ابتدائي لكل تغيير وذلك لكون المجتمع هو مجموعة من الأفراد، فإذا تغيرت أفكارهم تغير المجتمع بطبيعة حتمية فالدين ليس جهازا يعمل من تلقاء نفسه بصرف النظر عن نفوس الناس الذين يحملونه، الدين يعمل ككل شيء في حياة البشر من خلال النفوس التي تحمله بقدر إقبالها عليه أو إدبارها عنه بقدر

---

[1]- نورة خالد السعد . **التغيير الاجتماعي في فكر مالك بن نبي، دراسة في بناء النظرية الاجتماعية.** الدار السعودية للنشر والتوزيع. ط1 . سنة 1418- 1997م. ص . 117

[2]- خالد السعد. مرجع سابق. ص .118

[3]- ليلة. مرجع سابق. ص 195

التزامها بمقتضياتها أو عدم التزامها به وهذا ما أكده مالك بن نبي في قوله: " أن الدين لا يمكنه أن يحقق تفاعلا اجتماعيا في غياب التغيير الذاتي للإنسان و التغيير الداخلي له إذ أن أول شيء في هذا الطريق هو تكوين نظام الانعكاسات الذي يغير سلوك الفرد وهذا التغيير النفسي هو شرط في كل تغيير اجتماعي"[1] ، مع الإشارة إلى أن تأثير الدين في المجتمع بالتغيير راجع في الأساس إلى ارتباطه الشديد والمباشر بشؤون الحياة اليومية للأفراد وبالنظم التي يقوم عليها المجتمع مما يجعله يؤثر على القيم و الأخلاق والعادات والتقاليد والآداب العامة،وكلما اقترب الدين من أعماق الناس و علاقاتهم الاجتماعية ارتبط أكثربخصوصيات الزمان و المكان ، فترتبط الظاهرة الدينية بكيانات خاصة وبأطر خاصة: بالعائلة وبالمجموعة المحلية وباللغة وبالفئة القومية فيصبح بعد الرمز بعدا خاصا

هذا الارتباط الوثيق بين الدين والمجتمع يجعل بينهما تأثيرات وتفاعلات متبادلة فالمجتمع يتأثر بكل المبادئ الدينية وكذا الدين يتأثر بما هو واقع في المجتمع ، وفي هذه الفكرة يقول الفيلسوف موس "أن التغييرات الدينية لا يمكن تفسيرها إلا إذا قبلنا أن التغييرات الاجتماعية تحدث جملة من التعديلات في أفكار المؤمنين ورغباتهم إلى درجة أنها تمس مختلف أجزاء أنساقهم الدينية ووضعية الأفراد داخل المجتمع والشعور والأحاسيس لهؤلاء الأفراد وان كل مظاهر الحياة الاجتماعية من كثافة سكانية واختلاط أجناس وطبقات وأمم واكتشافات علمية وتقنية [..] كل ذلك كان له تأثير بالغ في الشعور الديني لدى الأفراد و بالتالي يغير الظاهرة الدينية"[2] ، فهذه المقولة تؤكد العلاقة القوية التي تربط النظم والأنساق الاجتماعية بالظواهر الدينية كما تشير إلى التأثيرات المتبادلة بينها.

المبحث الثاني: مفاهيم الإصلاح الديني .

ازداد الاهتمام في العقود الأخيرة بدراسة الإصلاح الديني سواء بهذا المصطلح في حد ذاته أم بمصطلحات أخرى تأخذ معناه ،ويرجع هذا الاهتمام في الأساس إلى كون مرحلة الإصلاح تعد من أهم المراحل التي مرت بها المجتمعات في تاريخها سواء المجتمعات الغربية منها أوالعربية ، فمرحلة النهضة الإصلاحية مثلت خير المراحل وذلك

[1]- المرجع نفسه .ص. 197

[2]- الهرماسي ، وآخرون . مرجع سابق. ص 20

من خلال ما حققته من نجاحات في مختلف المجالات ،وإذا كان الإصلاح الديني هو إعادة النظر في المفهوم الاجتماعي للدين بتنقية مما الحق به من تشويهات وتحريفات ليتمكن من تحقيق وظائفه الاجتماعية وأبعاده الدنيوية التي توجه بها حركة الإنسان، فإنّا نجد أن هناك بعض الملابسات التي تحيط حول مفهومه فتخلطه بمفاهيم أخرى تشابهه أو تختلف عنه ومن هذه المفاهيم:الثورة والتجديد . ولإزالة هذا اللبس لابد من التفريق بينها بالبحث في أوجه الاختلاف والتشابه بينها.

أولا: الإصلاح والثورة.

قبل أن نشير إلى أوجه الاختلاف بين الإصلاح الديني والثورة نشير أولا إلى الجامع بينهما وهو أن كل من عملية الإصلاح والثورة يعتبران من الوسائل الأساسية في التغيير الاجتماعي ويجتمعان على هدف واحد وهو السعي للانتقال من حالة إلى حالة أفضل منها، ومع كل هذا فانا نجد أن هناك فروق جوهرية بينهما تظهر من خلال البحث في مفهوم الثورة ، وما يجب أن نشير إليه هنا هو أن مصطلح الثورة يعتبر من إحدى المصطلحات والقضايا والمباحث والتطبيقات في العلوم الاجتماعية و السياسية التي تتعد فيها التعريفات التي نجد منها التعريفات التالية :

الثورة هي "التغيير الجذري المفاجئ في الأوضاع السياسية والاجتماعية، بوسائل تخرج عن النظام المألوف ولا تخلو عادة من العنف"[1] .

أو هي" العلم الذي يوضع في الممارسة والتطبيق من اجل تغيير نظم ومجتمعات الجور والضعف والفساد تغييرا جذريا وشاملا، والانتقال بهما من مرحلة تطورية معينة إلى أخرى اقل قيودا وأكثر حرية وابعد في التقدم."[2]

ركز التعريف الأول على الجانب العميق في الثورة وهو التغيير الذي يتميز بالعمق والجذرية التي تشمل مختلف جوانب الحياة ،وكذا الصفة الفجائية التي تكون عليها الثورة

1- محمد عمارة ."الإسلام وضرورة التغيير". الكتاب التاسع والعشرون. **مجلة العربي**.دار كتاب العربي. الطبعة الأولى. 1997.ص.11.

2- المرجع نفسه .ص.11.

لان قيامها لا يستلزم تخطيطات طويلة المدى إنما قيامها مركز أكثر على طبيعة الأزمة وصفتها التي تحدد طبيعة رد الفعل والتي لا تخلو عادة من العنف بمختلف أنواعه ، أما التعريف الثاني فقد ركز على الجانب الايجابي الذي تحققه الثورة في المجتمع الذي تقوم فيه وذلك في تمكنها من تغيير الظروف الاجتماعية نحو الأفضل ، وفي هذا الأمر يختلف الغرب والمسلمين في تفريقهم بين الثورة والإصلاح، فالثورة في العلوم الاجتماعي الغربية هي غير الإصلاح لا لتميز وسائلها عادة بالعنف فقط وإنما مفهوم الإصلاح في تلك العلوم لا يعني التغيير الجذري والشامل الذي تعنيه الثورة " بل يعني: الترقيع والتغيير الجزئي والسطحي فهو غير شامل وغير جذري"[1] ومن هذا يكون معنى الإصلاح عند الغرب هو "رتق ما هو موجود بالفعل بغية تصحيحه أو تحسينه أو منع انهياره ، انه مجرد تعديل في التفاصيل أو قضاء على خطا من الأخطاء أو تحسين في النظام السياسي والاجتماعي القائم دون مساس بجذوره أو أصوله؛ أي انه تعديل غير جذري في شكل الحكم أو العلاقات الاجتماعية "[2] ،أما في الاصطلاح العربي والإسلامي فان المغايرة بين الثورة والإصلاح في هذا المقام غير قائمة، فالإصلاح هو الآخر تغيير شامل وجذري وعميق كالثورة تماما، فرسالة الأنبياء والرسل هي تغيير جذري وشامل للحياة والأحياء فهي متضمنة معنى الثورة في العمق والشمول لكن بدايتها بذات الإنسان ونفسه جعلها تكون إصلاحا بريئا من العنف والهياج ، فتميز من ثم عن الثورة في الأدوات التي يتم بها التغيير ، إذ في الثورة عنف وهياج لا يوجدان في أدوات الإصلاح كما أن في الإصلاح تدرج لا ترضى عن وتيرته الثورات[3] وقد أشار المودودي إلى هذا الفرق إذ يرى" أن الإصلاح والثورة يقصد من ورائهما جميعا إصلاح حالة فاسدة ، ولكنه يكون هناك فرق جوهري بين محركاتها ومناهج عملها فالإصلاح يكون ابتداؤه من التروي والتفكير ، وذلك أن المرء يدرس الأوضاع القائمة بقلب هادئ وبروية وإمعان نظر وبفكر في أسباب الفساد ويقيس حدوده ويبحث عن تدابير إزالته ، وإذا تصدت لمحوه فلا تستخدم قوة الهدم

1- عمارة. مرجع سابق. 1997م . ص. 11

2- محمد احمد الزغبي . **التغيير الاجتماعي بين علم الاجتماع البرجوازي وعلم الاجتماع الاشتراكي** .دار الطليعة للطباعة والنشر . الطبعة الثالثة. 1982.ص.116

3- محمد عمارة . مرجع سابق. 1997 . ص12

والتخريب إلا إلى الحد الأدنى الذي لا بد منه "[1] .وأما عن رأيه في الثورة فتاتي بمعني الإفساد وبالتالي فهي بعكس الإصلاح إذ من خلالها يقوم بتغيير فساد قائم بفساد آخر، فيقول في هذا " أما الثورة بخلاف ذلك فيكون ابتداؤها من السخط والغضب واضطراب الحقد والإلحاح على النقمة ، فيؤتي بفساد آخر في رد فساد أول ويقاوم التطرف الذي أدى إلى ذلك الفساد بتطرف آخر يأتي فيقضي على الحسنات أيضا مع السيئات"[2] .

فنجد أن تفريقه بين الإصلاح و الثورة يقوم على معيارين : المعيار الأول وهو: معيار الهدوء و العنف اللذان يتميز بهما كل من الإصلاح والثورة على التوالي ، والمعيار الثاني هو: معيار الايجابية والسلبية، حيث نظر إلى الإصلاح بايجابية وذلك لاعتماده على التفكير والتروي ،ونظر إلى الثورة بسلبية وذلك لما يكون فيها من العنف أولا ثم الإفساد ثانيا فجعلها وجه من أوجه الفساد .

وبهذا نصل إلى أن الثورة والإصلاح يتفقان على هدف واحد وهو التغيير في الحياة الإنسانية في كل ميادينها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية. بالقضاء على الفساد الذي يحل بها . ولكن الطريقة أو المنهج الذي يتبعه كل من الإصلاح والثورة مختلفان بين الهدوء والعنف بين التدرج في التغيير والمبادرة السريعة فيه، فالإصلاح هنا يكون بمعني التغيير الهادئ المتدرج عبر مراحل متتالية وذلك لان التغيير بالإصلاح لا يمكن أن يقاس في زمن محدد بذاته إنما هو قائم على تراكم سلسلة من الإضافات والتعديلات المتعاقبة على طول تاريخ هذا المجتمع أو ذاك ، وهذا على خلاف التغييرات التي تقوم بها الثورة والتي تأخذ من خلاله معنى التغيير السريع والعنيف والمحدد بمدة محدودة مرتبطة بفترة محددة في تاريخ المجتمع الذي قامت فيه.

ثانيا : الإصلاح والتجديد.

كثيرا ما يتردد مصطلح التجديد في الأبحاث العلمية الفكرية الحديثة حيث يقصد به في الغالب الإصلاح الديني، فهل هذا يدل على أن الإصلاح والتجديد هما اسمان لشيء واحد أم أن هناك اختلاف بينهما.؟ ومن اجل الإجابة عن هذه التساؤلات كان لزاما أن

1- أبو الأعلى المودودي . **نحن والحضارة الغربية**. دار الشهاب .الجزائر . 1988 .ص194

2- المرجع نفسه . ص 194

نبحث في مفهوم التجديد من اجل معرفة وجه ذلك الجمع من خلال النظر في مجموعة من التعاريف منها .

تعريف ابن عاشور الذي يقول فيه: " تجديد الشيء هو إرجاعه إلى حالة الجدة أي الحالة الأولى التي كان الشيء عليها من الاستقامة وقوة أمره ، وذلك في الشيء يوصف بالجديد إذا كان متماسكة أجزاؤه ، واضحا رواءه مترقرقا ماؤه، ويقابل الجديد الرثيث والثالثة انحلال أجزاء الشيء وإشرافه على الانحراف "[1]

والتجديد في الدين "لا يعني تغيير أسسه أو التصرف في أحكامه، وتجديد شيء ما لا يعني إزالته واستحداث شيء آخر مكانه، بل تجديده يعني إعادته اقرب ما يكون إلى صورته الأولى يوم ظهر لأول مرة ، والمحافظة كل المحافظة على جوهره وخصائصه ومعالمه وعدم المساس بها " [2]

والتجديد في الفكر الإسلامي معناه إعادة الدين إلى أصله كما نشأ أول مرة عن طريق تنقيته من الأدران والأباطيل التي قد تعلق به بسبب أهواء البشرعلى مر العصور، وإعادة الدين إلى أصله ليس الابتعاد عن عصره الذي يعيش فيه وإنما معناه الحكم على العصر الحديث طبقا لشريعة الله بعد تنقيتها من الأدران والأوهام والأباطيل التي يحاول الضالون إلحاقها بالشريعة ، والتجديد في الدين الإسلامي يشمل التجديد في جوانب متعددة منه منها الجانب الفكري والجانب الفقهي و الجانب الروحي ، ولكنها لا تتجاوز بأي حال من الأحوال دائرة القطعيات التي فصل فيها الإسلام[3] إنما يكون فقط فيما أجاز فيه الشارع إجراء التغيير فيه، أي فيما كان من الفروع في الشريعة التي من خلالها ومن خلال الإصلاح فيها أو بالأحرى التجديد فيها تتحقق صفة الصلاحية لكل زمان ومكان .

ولا يمكن أن نعتبر التجديد نقيض لاكتمال الدين وثباته، لان التجديد يعد السبيل لامتداد تأثيرات الدين الكامل وثوابته وأصوله إلى الميادين الجديدة والأمور المستجدة وهو الضمان لبقاء الرسالة صالحة دائمة لكل زمان ومكان، ولولا مده الفروع الجديدة إلى الجديد والمحدثات وإقامته الخيوط الجديدة بين الأصول الثابتة وبين الجديد الذي يطرحه

1- كمال عجالي . مرجع سابق. ص35

2-يوسف القرضاري . **أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة** .(د ط).(ب ت). ص100

3- محمد زرمان . مرجع سابق. ص19

تطور الحياة ولولا تجديده الدائم الذي يجلو الوجه الحقيقي النقي لأصول الدين وثوابته لنسخت وطمست هذه الأصول، إما بتجاوز الحياة الممتدة لظل الفروع الأولى والقديمة فيعرى هذا الامتداد الجديد من ظلال الإسلام، أو بتشويه البدع عندما تتراكم لجوهر هذه الأصول[1]

ويبدوا من كل هذا أن هناك تشابها كبيرا بين الإصلاح والتجديد إذ أن عملية الإصلاح والتجديد تنطلق من الدين وتهدف إلى تغيير حالة الأمة من وضعها المرضي الذي تشوبه الانحرافات والبدع والتخلف والجهل والانحطاط إلى وضع يكون فيها المؤمن سليم في عقيدته ملتزم في العمل بأحكامها ومنه يثبت أن التجديد هو: "أحد أساسيات الإصلاح الديني، ويتحدد التجديد في ثلاث محاور لا يستغني عنها أي مصلح في خوض غمار معترك حركته الإصلاحية ألا وهي: فهم له، عمل به، والمحافظة عليه"[2]

المبحث الثالث: نماذج من الحركات الإصلاحية الدينية في العالم

أولا : الإصلاح الديني لدى المسيحيين

ظهر الإصلاح الديني في أوربا الغربية في القرن السادس عشر على شكل حركة إصلاحية في الكنيسة الكاثوليكية ثم تحولت إلى حركة عقائدية عرفت بالبروتستانتية ،ولقد كان ظهورها بسبب انحراف رجال الدين وابتعادهم عن تأدية رسالتهم المتمثلة في الإصلاح والوعظ والإرشاد وتنظيم المجتمعات وانقلابهم إلى الاهتمام بمباهج الدنيا والالتهاء بجمع الأموال عن طريق بيع مناصب الكنيسة التي كانت تؤخذ عادة عن طريق الرشوة ،إذ لم يكن مألوفا في هذا العصر أن يرقى ذوو الكفاءات المعدمون في مناصب الكنيسة بل كان كل منصب تقريبا يتطلب رشوة ،وبالتالي كان رجال الدين يعينون لثروتهم وصلاتهم السياسية أولكفايتهم الإدارية وليس لتدينهم وتقواهم [3] ،كما كان لهم مورد آخر لجمع المال وهي الضرائب التي كانت تفرضها على المسيحيين بحجة سد نفقات الكنيسة أو أن تعمل بها في إصلاح حال المسيحيين ،ولكن في الغالب لا تنفق لهذا بل يتقاسمها

1- محمد عمارة. **مستقبلنا بين التجديد الإسلامي والحداثة الغربية.** مكتبة الشروق الدولية. ط2 . سنة 1427هـ- 2007م. ص 15

2- سعاد سطحي . "التأصيل الديني لمصطلحي الإصلاح والتجديد". **مجلة الدراسات العقدية ومقارنة الأديان.** العدد الثالث . الجزء الثالث.إصدار مخبر البحث في الدراسات العقدية ومقارنة الأديان. 1427-2006 .ص19

3 -ول . ديورانت . **قصة الحضارة (ملخص)** .إعداد سهيل محمد ديب. الجزء الثالث. مؤسسة الرسالة . ص.18

رجال الدين فيما بينهم وينفقونها إسرافا وبدارا ببناء القصور الفخمة والانغماس في ملذات الدنيا ، ولأجل هذه الغاية أيضا جاءت بتجارة صكوك الغفران التي فتحت بها بابا واسعا أمام انتشار الفساد الأخلاقي [1]وهو الجانب الذي يمكن أن نعتبره السبب المباشر لظهور حركة الإصلاح الديني في أوربا .   .

ومن خلال ما كانت تجنيه الكنيسة من أموال فقد "اتهمت بحبها للمال وان لها أكثر مما يليق بها ، وقد قدر مؤرخ كاثوليكي نصيب الكنيسة في هذه الفترة بثلث أموال ألمانيا وخمس أموال فرنسا ، إلا أن الكنيسة كانت تعتبر نفسها في هذا، العامل الأساسي في المحافظة على الأخلاق والنظام الاجتماعي والتربية والأدب والعلم والفن وكانت الدولة تعتمد عليها في القيام بهذه المهام [2] ،بالإضافة إلى كل هذه المفاسد فقد كانت الكنيسة شديدة في حكمها حيث اتخذت العنف وسيلة للسيطرة على المسيحيين وإخضاعهم وإجبارهم على إتباع أوامرها، وأنشأت لهذا الغرض محاكم التفتيش التي كان لها تاريخ حافل بالجرائم والاعتداءات فكانت تعذب وتحرق كل من تراه في نظرها كافرا يخالف أوامرها ومن هؤلاء **الراهب يوحنا هوس** في بوهيميا الذي لقي حتفه على يدها لما دعى إلى إصلاح حال الكنيسة ، وكذا عملت الكنيسة على إغلاق باب كل ما هو جديد من العلم فكان لها مساهمة في جمود الأفكار الدينية وانغلاقها على التطورات التي كانت تظهر في أوربا من خلال الثورة الصناعية ، كما كان من تسلطها أن احتجزت لنفسها الحق في فهم الكتاب المقدس وتفسيره من دون كافة الناس وحرمت ترجمته فكانت تتصرف فيه كيفما تشاء [3] .

كل هذه الأسباب كانت كداع قوي لظهور حركات الإصلاح الديني في أوربا ، التي كانت إرهاصاتها تنمو مع الأزمة الأخلاقية يوما بعد يوم ، ولقد تولد الشعور بضرورة إصلاح حال الكنيسة منذ منتصف القرن الخامس عشر بصفة خاصة ؛ أي منذ تولي نيقولا الخامس البابوية واستمر ذلك الشعور ينموا حتى قيام حركة الإصلاح الديني على يد

---

[1]–محمد أبو زهرة . **محاضرات في النصرانية**. تقديم عمار طالبي . تصدير الشيخ محمد الغزالي . شـركة الشـهاب . ص240 . 241 .

[2]– ول . ديورانت.مرجع سابق. ص . 184

[3]– أبو زهرة. المرجع السابق. ص. 241

مارتن لوثر"[1]، ومما ساعدها على الظهور أكثر النهضة الأوربية التي أحدثت تغييرات كبيرة في المجتمع الأوربي وغيرت معها عقلية الأفراد حيث انتقلت بهم من التفكير الضيق إلى التفكير المستنير رافضة معتقدات العصور الوسطى التي تجعل من البابا روح الله في الأرض، وتجعل من رجل الدين يد الرحمة الربانية وتجعل من الراهب الشخصية المثالية في المجتمع [2]. ورفضها هذا كان من خلال ما رأته من فساد أخلاق هؤلاء فرأت عدم استحقاقهم لهذا التقديس ورفضت كذلك الأفكار التي كانت سائدة في تلك العصور لما رأت فيها من الجمود والانغلاق المانع من التطور الفكري والعلمي ومما اثر فيها أيضا ما صاحب هذه النهضة من نمو الروح القومية التي تبحث عن الاستقلال التام عن التدخل الكنسي الذي تراه غريبا عنها خاصة في بريطانيا ، فوجدت في الإصلاح الديني وسيلة لتحقيق ذلك ،وكذا الاهتمام بالعلم والمعرفة في هذه العصور مكن الكثير من الاطلاع على الكتاب المقدس الذي احتكرته الكنيسة في التفسير واستخراج الأفكار ، فعرف هؤلاء المثقفين الجدد الكثير من الأمور التي أخفتها الكنيسة عنهم أو غيرتها أو خالفتها، فكان هذا كداع لرفع الثقة عن رجال الكنيسة ورفع الهيبة والوقوف في وجه هؤلاء بالقوة [3].

عرفت أوربا في تاريخها العديد من المصلحين الدينيين، كان ظهورهم في أزمنة متقاربة في اغلبها." كما كان ظهورهم في بلدان مختلفة من أوربا: شمال أوربا ، انجلترا و فرنسا ومن هؤلاء المصلحين نجد **أرزم** الذي ظهر في الأرض المنخفضة **وتوماس مونز** بانجلترا **وزونجلي** و**كالفن** ، ومن أشهر هؤلاء على الإطلاق **مارتن لوثر** الذي كانت حركته من أقوى الحركات" لسعة دائرتها وسرعة انتشارها ولسعة الإقليم الذي نشأت فيه ولرعاية بعض الأمراء لها باعتناقهم لمبادئها"[4] فكانت الأكثر ظهورا وانتشارا.

1- حركة مارتن لوثر الإصلاحية. .

بدأت هذه الحركة الأخيرة يوم أن علق مارتن لوثر على باب كنيسة قصر **وتنبورغ** لائحة تتضمن خمس وتسعين قضية وذلك في 31 أكتوبر 1517م مباشرة بعد عودته من

---

1 –عبد العزيز سليمان نوار, محمود محمد محمد جمال الدين, **التاريخ الأوربي الحديث, من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى**. دار الفكر العربي (ب ط) .1419-1999م.ص 118

2– نوار , جمال الدين . مرجع سابق. ص 117

3 – المرجع نفسه . ص.117 .

4– سعدون محمود الساموك . **مقارنة الأديان**. دار وائل للنشر . الطبعة الأولى . 2004 .ص 23

روما التي تفاجأ فيها لِما رآه من مفاسد في الكنيسة وفي أعمال أصحابها الذين كان يعد لهم قداسة كبيرة ، فكان بيع **تنزل** لصكوك الغفران في **سكسونيا** مناسبة لإخراج غيظه والإفصاح عن نيته بعد ما رآه ، فكانت ردة فعله عنيفة جدا من خلال ما طرحه من قضايا كانت كنقطة نهاية لرحلة طويلة للكنيسة الكاثوليكية [1]. ومما جاء في هذه القضايا إعلانه عن عقيدة التبرير بالإيمان . فالا يمان في رأيه هو الذي يرجع الناس إلى فضل محبة الإله، لذلك قال " السلام بالأيمان وحده والعمل الصحيح هو الذي يستند على الكتاب المقدس لا على الأعمال التي يطلبها رجال الدين في روما من مسيحيي أوربا "[2] ومن ثم جاء إبطاله لصكوك الغفران فيقول: " إن الكتاب المقدس وحده هو القانون الذي يجب الاعتماد عليه في تفسير العقائد وفي المسائل المختلف فيها"[3] وأنكر أن المجامع الكنسية منزهة عن الخطأ وأبدى رغبته بالزواج ودعا إلى زواج الرهبان ، حيث كان يرى أن الامتناع عن الزواج هو سبب الفساد الأخلاقي.

لم تكن من نية لوثر من خلال هذا أن ينفصل عن روما ولا أن يهدم حكمها ولا محاربة سلطانها "ولكنه كان يريد إصلاح حال رجال الكنيسة وحملهم على الجادة وإعطائهم من الحق ما أعطاهم إياه الكتاب المقدس ووصايا رسلهم " [4] لكن الإدارة البابوية أجبرته أن يعمل عكس ذلك من خلال استدعائه للمثول أمام محكمتها (محاكم التفتيش) للتراجع عما جاء في القضايا وطلب الغفران، فيمتنع عن ذلك ولا يهتم بتهديداتها فكان شديد التمسك برأيه، مؤكدا أن سلطة الكتاب المقدس هي أعلى من سلطة البابا العاشر ونتيجة إصراره هذا يعلن البابا ليو طرد لوثر وعده مارقا وفصله عن الكنيسة، كما قام الإمبراطور شارل الخامس بالتوقيع على وثيقة تعلن خروج لوثر عن القانون وتبيح لأي شخص قتله ولكن أمير سكسونيا وهو فريدريك الحكيم بسط له الحماية فاستمر لوثر في قيادته لحركته حتى توفي عام 1046م ،ورغم كل المحولات لإيقاف حركة لوثر

---

[1]- **الموسوعة العربية الميسرة** . المجلد الأول, ا–ب. الجمعية المصرية . دار الجيل . الطبعة الثانية .2001. ص230

[2]- الساموك. مرجع السابق. ص 84

[3]- مؤسسة الأعمال الموسوعية. **الموسوعة العربية العالمية.** الجزء الثاني. الطبعة الثانية.1419ه–1999م. ص.251

[4]- أبو زهرة. مرجع سابق. ص 251

من طرف الكنيسة والحكام إلا أنها عرفت انتشارا واسعا ونالت بعدها اعترافا من الإمبراطورية عام 1555م وتوسعت في أنحاء كثيرة من أوربا لتصبح كمذهب في المسيحية يسمى بالبروتستانتية [1] .

2- مبادئ الحركة الإصلاحية

قامت الحركة الإصلاحية في أوربا على مبادئ عدة وهي كالتالي :

1- أن يكون الكتاب المقدس هو المصدر لكل المنازعات والتشريعات في الكنيسة، وكذا من حق كل مسيحي أن يقرأه ويفسره ، وكذا يجوز أن يترجم إلى اللغات التي يفهم بها عند الناس وهذا ما تفردت به الكنيسة الكاثوليكية وحرمته على غيرها فكان سبب غلوها.

2 - ليس للكنيسة أن تغفر الذنوب، بالتأكيد على بطلان صكوك الغفران، وان الغفران يتم بالإيمان فقط.

3- لم يعد العشاء الرباني سرا مقدسا بل عادة تذكر الناس بالسيد المسيح.

4 -لم يعد للتماثيل أهمية مقدسة، ولذلك لم يعد السجود لها أمرا ضروريا.

5- إلغاء الرهبنة وإباحة الزواج لرجال الكنيسة.

6- إلغاء رئاسة الكنائس. فلكل كنيسة بروتستانتية رئاستها الخاصة ولرئيسها الحق في الإرشاد والتوجيه دون غيرها [2]

7-" قللت كثيرا من أهمية الطقوس الشكلية، بحيث أصبح الدين عندها علاقة بين المخلوق والخالق أكثر منها علاقة بالخالق عن طريق المخلوق." [3]

3- نتائج الحركة الإصلاحية التغيرية .

خففت الحركة الإصلاحية من سلطة الكنيسة دينيا و ساهمت في نشر مفاهيم أخلاقية جديدة ساعدت على ترسيخ قيم تتناسب مع متطلبات الأوضاع الاقتصادية والفكرية وأضفت عليها قدسية دينية ساعدت في مراحل لاحقة على صعود الرأسمالية وازدهارها[4]

---

[1]- عبد الوهاب الكيالي . **موسوعة السياسة** . الجزء الأول.المؤسسة العربية الدراسات و النشر . الطبعة الثالثة. 1990.ص206

[2] الساموك . مرجع سابق. ص81 .

[3] الكيالي . مرجع سابق. ص 207

[4] - المرجع نفسه . ص206

. وقد أشار ماكس فيبر إلى النتائج التي حققتها الحركة الإصلاحية من خلال دراسته للأخلاق البروتستانتية التي كان هدفه منها هو البحث عن ما مدى تأثير التصورات الدينية في العالم والوجود في السلوك الاقتصادي لكافة المجتمعات ، حيث برهن فيها أن الرأسمالية باعتبارها ابرز ظاهرة اقتصادية في عصره هي من نتاج الروح الديني البروتستانتي بأخلاقه وقيمه ومعتقداته وبخاصة عند أتباع الطائفة الكالفينية ، ذلك أن هذه الطائفة من البروتستانتية تعمل على تشجيع الادخار والاستثمار فضلا عن تقديس أتباعها للعمل واحترام أرباب المهن ، بالإضافة إلى فرضها للواجبات وللقواعد التي تنظم السلوك الاقتصادي ونبذها للتواكل وبجوار ذلك فهي تفرض الحركة والنشاط من أجل العمل والكسب ولا ريب أن فيبر بدراسته هذه أكد احترامه لأهمية الدين كقوة تكاملية في المجتمع كما أكد أهمية المعتقدات والممارسات الدينية في مسائل التغيير الاجتماعي، مشيرا إلى وظيفة الدين المعيارية ودوره في الاستقرار الاجتماعي [1].

كما كان من نتائج هذه الحركة الإصلاحية ظهور إصلاح مضاد من الكنيسة الكاثوليكية الذي أدى إلى عدة حروب أهلية وأخرى دولية دامت مدة طويلة و كانت كحاجز أمام انتشار البروتستانتية في كافة أنحاء أوربا ، وانقسمت على أثر هذا أوربا إلى قسم شمالي يتمذهب بالمذهب البروتستانتي وقسم في الجنوب يتمذهب بالمذهب الكاثوليكي. (2)

ثانيا : الإصلاح الديني لدى اليهود.

لقد كان للنهضة العلمية التي عرفتها أوربا تأثيرا كبيرا عليها إذ أحدثت في تاريخها الاجتماعي والسياسي والاقتصادي تغييرات كبيرة وذلك من خلال الوعي الذي صاحبها فكان من نتائجها " رقي العلم والثقافة وظهور القوميات المستقلة وتألق نظريات الحرية الفردية وحقوق الإنسان"[3] ، وكذا ساهمت في تطور الحركة التجارية وانتشارها بين الشرق والغرب، وممن تأثر بهذه النهضة العلمية كذلك المجتمع اليهودي وهو المجتمع الذي في واقعه كان يعيش في عزلة شبه تامة عن المجتمع المحيط به، إذ كانت الحياة

---

1 –زيدان عبد الباقي . **علم الاجتماع الديني** . القاهرة. دار غريب للنشر (ب ط) . (ب ت) . ص. 104

2 –الكيالي . مرجع سابق. ص.207

3 – حسن ظاظا . **الفكر الديني اليهودي، أطواره ومذاهبه.** دار القلم، دمشق. بيروت. ط4 . 1420–1999م . ص264

عندهم محصورة في "الجيتو" الذي يعني العزلة عن كافة المجتمعات الغربية من حوله وكنتيجة لتأثرهم بالنهضة العلمية المحيطة بهم ظهرت حركات معارضة للحياة الاجتماعية التي كانوا يعيشونها والتي رأوا فيها التخلف والانعزالية عن الحضارة وتطوراتها وكذا معارضة للعقيدة التي كانوا يدينون بها لما رأوا فيها من اختلاف مع التطورات العصرية المختلفة ورأوا أن عقيدتهم تدعوا إلى الجمود والتحجر على وضعية الضعف التي كانوا عليها ومن خلا ل هذا جاءت رغبتهم في الإصلاح و التغيير.

هذه الرؤية كانت في واقع الأمر كنتيجة لتأثرهم بالحركة الإصلاحية البروتستانتية التي وجهت نظرتهم إلى ضرورة الإصلاح في الدين ليواكب التطورات العصرية فكانت كسبب مباشر لظهور حركتهم الصلاحية.

1- نشأة الحركة الإصلاحية اليهودية.

الحركة الإصلاحية اليهودية حركة حديثة ظهرت في منتصف القرن التاسع عشر في ألمانيا وانتشرت منها إلى بقية أنحاء العالم خصوصا في الولايات المتحدة الأمريكية، وظهورها يعود إلى أزمة اليهودية الحاخامية أو التلمودة التي ارتبطت بوضع اليهود في أوربا قبل الثورة الصناعية ،إذ فشلت اليهودية كنسق ديني في التكيف مع الأوضاع الجديدة التي نشأت في المجتمع الغربي ابتداء من الثورة التجارية واستمرت حتى الثورة الصناعية التي واجهت بعدها أزمة حادة مع تصاعد معدلات العلمنة التي أدت إلى سقوط الجيتو ،وقد ساهمت حركة الإعتاق السياسي إلى تصعيد هذه الأزمة لما عرضت الدولة القومية الحديثة أفكارها التحررية على اليهود شريطة أن يكون انتمائهم الكامل لها وحدها وان يندمجوا في المجتمع سياسيا واقتصاديا وثقافيا [(1)] ، وقد تمثل هذا الإعتاق في مبدأ المساواة الذي جاء بعد الثورة الفرنسية وذلك عندما " قررت الجمعية الوطنية الفرنسية في 27 سبتمبر 1791م اعتبار اليهود المقيمين في فرنسا مواطنين لهم كل حقوق المواطن وعليهم جميع واجباته "[(2)] .

---

[1]-عبد الوهاب المسيري . **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، الموسوعة الموجزة في جزأين. المجلد الثاني. الطبعة الثالثة. دار الشروق. 2006. ص 146

[2]-إسماعيل راجي الفاروقي . **الملل المعاصرة في الدين اليهودي** . ط2. مكتبة وهبة, القاهرة, دار التضامن للطباعة. 1408-1988م . ص- 38

لقد استجاب اليهود إلى نداء الدولة القومية الحديثة ومـن ثـم ظهـرت الحركـة الإصلاحية وغيرها من الحركات التنويرية كدليل على هذه الاستجابة وتحرر اليهود مـن خلال ذلك المبدأ بشكل مفاجئ من عبودية القرون الوسطى دون أن يبذل لذلك أدنى جهد ، ومن ثم وجد اليهود حريتهم وراحوا ينصّبون أنفسهم في شتى المجالات وعملوا علـى الأخذ من تلك العلوم الحديثة بهدف أن يدخلوا مع الإنسانية المتقدمة من أبـواب المعرفـة نحو وعي أكثر رصانة وأصّح تكوينا من تلك الانعزالية التي كانوا فيها . وتحقق غـايتهم هذه كان بتكوينهم للحركة الإصلاحية التي انبثقت من حركـة **الهسكلاه** " وهـي حركـة عقلانية مستنيرة ظهرت في منتصف القرن الثامن عشر (حوالي عام 1750) ، التي قامت لتكون في وجه شعبة من اليهود التقليدية المتصوفة **الحسيديم** الذين وصلوا باليهودية إلـى أقصى درجات الدروشة والتعلق بالبدع والخرافات وادعاء فعل الخـوارق والمعجـزات وعلم الغيب ونحو ذلك من مظاهر الدجل التي تلازم انحطاط الفكـر الـديني فـي كـل الأديان"[1]

ويعدّ **موسى مندلسون** * فيلسوف التنوير ورائد حركة الإصلاحيين اليهوديـة حيـث عمل على تحطيم الجيتو العقلي الداخلي الذي أنشأه اليهود داخل أنفسـهم بالموازنـة مـع الجيتو الخارجي الذي كانوا يعيشون فيه، هذا من خلال ما أشاعه من العلوم العصرية بين اليهود المنعزلين والمتغربين في محيطهم المحدود ، كما جمع بين علوم الـدين اليهـودي وفلسفته ومعارف القرن الثامن عشر ،وقد كان شعاره في هذا "الاستجابة لعادات وأعراف المجتمع العصرية مع المحافظة والإخلاص لدين الإباء "[2]وبذل لأجل تحقيق أهدافه جهدا كبيرا ليبين العلاقة بين الدين والعقل لينتهي إلى تقديم العقل على الدين ثم يصيغ العقيدة اليهودية من جديد رافضا الاعتراف بأي ركن من أركانها الثابتة والمتوارثة مما لا يمكن للعقل البشري بنوره الفطري أن يهتدي إليه أو يثبت صحته من خطأه، وقد ترك بفلسـفته هذه أثرا عميقا في الفكر اليهودي حيث يعتبر كثير مـن العلمـاء أنّ مـذهب اليهوديـة

---

[1]-حسن ظاظا . مرجع سابق.ص264

* - (1729- 1786) فيلسوف يهودي الماني

[2]- يهودية **إصلاحية** من ويكيبيديا، الموسوعة الحرة[2]http://ar.wikipedia.org/wik .

الإصلاحية كان نتاجا مباشرا لحركة التنوير اليهودية عامة ولفكر مندلسون علـى وجـه الخصوص [1] .

ومن الأعمال الفعلية التي قام بها في سبيل تحقيق هدفه بجعل اليهود مقبـولين مـن قبل الأجانب غير اليهود أن قام بترجمة التلمود للألمانية كي يتسنى لليهود الذين تعلمـوا الألمانية ولم يتعلموا العبرية التعرف على تراثهم وقانون حياتهم مـن جهـة وللألمـان التعرف على الدين اليهودي واحترامه، كما قام بتأسيس مجلة **المجمع** لنقل الثقافة الألمانية إلى اليهود باللغة العبرية وكذلك أسس **المدرسة اليهودية الحرة** وأقام للتـدريس فيهـا فـي مواضيع عصرية تلمودية وكان دائما يرى نفسه سفيرا غير رسمي بين اليهود إلى الأمـة الألمانية [2].

2- مبادئ الحركة الإصلاحية اليهودية

أما عن المبادئ التي نادى بها موسى مندلسون والتي كانت كأساس لهـذا المـذهب الإصلاحي فتتمثل فيما يلي:

1 - أن اليهـود يجـب أن ينـدمجوا فـي إنسـانية العصـر وان يخرجـوا مـن القوقعة العنصرية التي حبسوا أنفسهم فيها طيلة قرون طويلة.

2 - أن اليهوديـة ديـن فقـط وليسـت جنسـية وانـه مـن الخطـأ أن أقـول : يهودي انجليزي أو يهودي..روسي .. والأصح أن أقول انجليزي متـدين باليهوديـة وروسي متدين بها .

3- أن المساواة في الحقوق المدنية بين اليهودية وغيرهم غير ممكنة إلا إذا اعتبر اليهود أنفسهم مواطنين في البلاد التي يعيشون فيها.

4- لا يمكن ذلك إلا إذا تحدث اليهود بلغات أوطانهم وتعلموا في مدارسها وحاربوا في جيوشها وخرجوا من الجيتو وأقاموا مع غيرهم من الناس . [3]

---

[1] - المسيري. مرجع سابق, (1976م). ص.80

[2] - يهودية إصلاحية . http://ar.wikipedia.org/wik

[3] - المرجع نفسه

كان لمندلسون أتباع كثيرون عملوا على تطبيق المبادئ التي جاءت بها حركته الإصلاحية و كانوا حريصين اشد الحرص عليها على الرغم من بعض الاختلافات التي أظهرها فريق منهم ، فإذا كان مندلسون في مبادئه الإصلاحية يركز على إصلاح الفرد اليهودي ليصلُح لهم بذلك الدين ويكونوا اقدر على فهمه وتطبيقه وهذا من خلال الأعمال التي قام بها من ترجمة وتدريس للُّغات ، فان أتباعه قد ذهبوا إلى إصلاح الدين في حد ذاته وأول أتباع مندلسون الذين طالبوا بالتغريب أو فرنجة الطقوس اليهودية **داوود فرديلاندر** (1756-1734) الذي قال:" أصبحت صلوات اليهود على مرور الزمن أسوا فأسوا فالأفكار التعبدية اليهودية أصبحت ملتبسة على الناس بما اعتراها من التصوف المناهضة لروح الدين اليهودي الحقيقية.وكذلك لغة الصلوات أصبحت مؤذية للأذن وحافلة بالأخطاء اللغوية "[1] .ومن الذين نادوا بمثل هذه التغييرات أيضا الشاعر الذائع الصيت **نفتالي هرتس ويسلي** وزعيم الحركة الإصلاحية **أبراهام جايجر** وكذا اليهودي الايطالي **إسحاق صمويل ريجيو** والذي كان اشد الإصلاحيين اقتناعا بالمبادئ التي جاء بها موسى مندلسن وكان يقول: " كيف نطلب شيئا لا نستطيع لو أننا نلناه أن نستعمله ؟ وكيف نبرر أنفسنا أمام الأمم إذا كنا نثبت بسلوكنا كل يوم أن استمرارنا في التدين يتعارض مع التمتع بالحرية والمساواة "[2] هؤلاء وغيرهم الذين كانوا وراء إصدار الدوريات وإنشاء المدارس الخاصة للتعليم وفق المبادئ الجديدة بالجمع بين العلوم الدينية والعلوم الحديثة.وكذا اهتموا بعقد المؤتمرات المتتالية التي تتم فيها عرض الأفكار الجديدة التي تتضمن التغييرات التي ستتم في الدين وكان من أوائل هذه المؤتمرات: المؤتمر المنعقد في برنشويخ وآخر في فرانكفورت وثالث في برسلوا ما بين1844م-1846م [3]

و من أهم التغييرات التي قام بها الإصلاحيين اليهود في العقيدة اليهودية ما يلي:

1- إنقاص الأدعية والصلوات إلى الحد الأدنى ، مع إباحة تلاوتها بلغات البلاد القومية حيث يعيش هؤلاء اليهود .

2- إدخال الآلات الموسيقية وفرق الإنشاد الجماعي (الكورس) من الجنسين في المعبد والترنم بالحان حديثة مؤلفة ومكتوبة (على النوتة)خصيصا

---

[1] - راجي الفاروقي . مرجع سابق. ص. 43

[2] - حسن ظاظا . المرجع السابق. ص. 26

[3] - المرجع السابق . http://ar.wikipedia.org/wik

لطقوسهم.وانتهى ذلك التطوير بإدخال الأرغن في المعبد اليهودي تقليدا للكنائس والكاتدرائيات .

3- أنكروا في اعتقادهم أن يكون (الخلاص) معناه إقامة دولة فلسطين وهم بذلك كانوا وما يزالون من الفرق غير الصهيونية فعندهم أن الخلاص يكون في الدنيا بالحصول على المساواة في الحقوق المدنية ولا ضرورة إطلاقا لربط ذلك بفلسطين أو بغيرها من البلاد .

4- ولأنهم صرفوا النظر عن من معابدهم في أي مكان يطلق عليه اسم(الهيكل) [1].

3- **نتائج الحركة الإصلاحية .**

لقد حققت حركة اليهود الإصلاحية في بدايتها نجاحا كبيرا وذلك من خلال ما قامت به من تغييرات في العقيدة اليهودية التي غيّرت بها تاريخ المجتمع اليهودي ، إلا أن هذا العمل لم يكن سهلا إذ واجهت عدة صعوبات وضغوطات ومعارضات جعلت عملها أمرا عسيرا وجعلت من أهدافها أمرا صعب التحقيق، لم تظهر هذه المعارضات في بداية الأمر وذلك لان الحركة كانت ذات طابع شكلي وجمالي فقط ،كما قام بها أعضاء ليسوا من المؤسسة الدينية ومن ثم فلم تكن ردة الفعل حادة عند التقليديين ولكن لما بدأت التغيرات تكتسب طابعاً عقائدياً واتجهت نحو إصلاح العقيدة نفسها تغيِّرت ردة الفعل[2] إذ لقي أصحاب هذه الحركة معارضات ومعوقات ومصاعب شديدة خاصة في شرق أوروبا .

وبالرغم من نجاح حركة الاستنارة اليهودية في غرب أوروبا إلا أنها جوبهت بمقاومة عنيفة في شرق أوروبا بسبب ظهور القوميات وسرعة تطور الرأسمالية المحلية وهو الأمر الذي لم يتح التكيف لليهود المرتبطين بأشكال إنتاجية إقطاعية فيها، هذا بالإضافة إلى وجود طوائف يهودية أكثر تخلفا من طوائف أوروبا الغربية مثل الحسيدية والربانيم التي عارضت الإصلاحيين في مذهبهم خوفا من انتهاء أسطورة الأمة اليهودية وأسطورة شعب الله المختار [3]وما يبرر تخوفهم هذا هو أنّ الكثير من اليهوديين المعتنقين للمذهب الإصلاحي أدى بهم الأمر إلى اعتناق المسيحية طمعا في الحصول على المساواة والاندماج في المجتمع الغربي،هذا الذي زاد من خوف الحركات التقليدية على المجتمع

---

[1] - حسن ظاظا . المرجع السابق. ص.266.ص. 267

[2] - المسيري . مرجع سابق.(2006).ص،ص 222،223

[3] - **http://ar.wikipedia.org/wik** . مرجع سابق

اليهودي من الفناء فكانت المعارضة لهذه الحركة   .

وتعد معاداة الحركة الإصلاحية للحركة الصهيونية وأفكارها من أهم الأسباب التي أضعفتها وأعاقت عملها وهذا للمكانة التي تحتلها في الغرب والولايات المتحدة الأمريكية خاصة إذ تعد جزء لا يتجزأ من مصالحها الاقتصادية والحضارية ، ومن ثم لم يكن من الممكن للحركة الإصلاحية أن تستمر في مقاومة الواقع الإمبريالي في الغرب الممالئ للصهيونية [1] ، وهو الأمر الذي جعلها تتراجع عن بعض الأمور التي رفضتها في بداية الأمر مثل: فكرة الأرض المقدسة التي هي أساس قيام الحركة الصهيونية. واكتفت عموما ببعض التعديلات التي توافق بها الحركة الصهيونية ولا تخالفها. ومن ثم عاد الإصلاحيين إلى الفكرة القومية اليهودية الصهيونية وهذا من خلال المؤتمر الذي قام في كولومبيوس عام 1937والذي يقوم على شعار "إن فلسطين ارض مقدسة بذكرياتنا وأمالنا"[2]

أمام هذه الظروف يمكن أن نقول أن الحركة الإصلاحية فشلت في مشروعها، وأخذت مكانها الحركة الصهيونية التي ادعت أنها تحمل الحل الأمثل لكل المشاكل التي يعانيها اليهوديين ، وذلك بإنشاء وطن لهم في فلسطين يعيشون فيه مسايرين للتقدم العلمي دون أن يضطروا إلى تغيير لغتهم أو تقاليدهم أو شريعتهم ،أي أنها تزعم إرضاء كل اليهوديين بمختلف حركاتهم الأرثوذكس والإصلاحيين [3].   .

. والملاحظ في هذا المبحث أن وظيفة الدين في الضبط والتغيير قد ظهرت واضحة جلية، فقد كان الدين قبل ظهور الحركة الإصلاحية يعتبر العامل الضابط الأول في المجتمع اليهودي الذي كان يعيش في عزلة بفرض ديانته التي رضي بها، ثم وبظهور الحركات الإصلاحية ظهر دور الدين أكثر من خلال ما طرا في المجتمع من تغييرات ، هذه التغييرات التي كان الدين هو الموجه أساسي فيها سواء بالتغيير في بعض مبادئه وبالتالي يغير ما حوله في المجتمع أو من خلال تغيير المجتمع بناءا على ما يفرضه الدين وبه تحول المجتمع اليهودي من مجتمع ضعيف منغلق على نفسه بعيد عن الحضارة والنهضة القائمة في أوربا إلى مجتمع متفتح على كل المجتمعات في العالم، وتحول كذلك

---

[1] - المسيري.مرجع سابق .(2006) .ص 150
[2] - المسيري . مرجع سابق . (2006) . 151
[3] - ظاظا. مرجع سابق . ص269

إلى مجتمع متحكم في زمام الأمور إذ أصبح هو القائد من خلال الحركة التجارية التي أكسبته مكانة اقتصادية عالية ، فهذا هو دور الدين وعمل الحركات الإصلاحية.

ثالثا: الإصلاح الديني لدى المسلمين.

كثيرا ما يشكل الدين في مرحلته التأسيسية ثورة إذ يهدم نظاما قديما ويقيم مكانه نظاما جديدا وهذا هو حال جميع الأديان الكبرى التي ظهرت في العالم وبالخصوص الدين الإسلامي الذي شكل في بدايته ثورة حولت الجزيرة العربية من مجتمع قبلي إلى امة متوسعة ذات عقيدة جديدة أقيمت على أساسها إمبراطورية واسعة غيرت مجرى التاريخ الإنساني [1]، وذلك لان الدين الإسلامي في ظهوره ارتبط بحالة الفساد والانحطاط الخلقي والاجتماعي الذي عمّ المجتمع العربي في الجزيرة العربية والذي لم يكن من الممكن له الخروج من تلك الحالة المتأزمة إلا بظهور دين جديد يغير ويبدل الأحوال إلى ما هو خير وأصلح ،فكان هذا هو دور الدين الإسلامي ودور النبي محمد صلى الله عليه وسلم والذي منه كانت الانطلاقة بدعوة التغيير والإصلاح. وبفضل قيادة النبي صلى الله عليه وسلم توحدت جميع القبائل العربية التي كانت متناثرة في تلك الصحراء الواسعة واستطاع الإسلام أن يقف في وجه الإمبراطوريتين البيزنطية والفارسية بحضارتيهما المعروفة في تلك الفترة ، وامتد بذلك الإسلام ليصيغ نظاما جديدا قائما على أحكام القران الكريم والسنة النبوية الشريفة اللذان استطاع بهما العالم الإسلامي أن يبني حضارة راقية وعظيمة في شتى المجالات من علم وفن وعمارة وتجارة وصناعة حتى كان يرحل إليها من كافة أنحاء العالم للأخذ عنها والاقتباس منها،كان كل هذا في الواقع لما تمسك أفراد تلك الأمة في تلك الفترة بالمبادئ التي تقوم عليها عقيدتهم وطبقوا الأحكام التي تقوم عليها شريعتهم الإسلامية ،ولكن ببعدهم عن مبادئ دينهم الذي كان سبب قوتهم أدى بهم إلى الدخول في أزمات متتالية لفترة طويلة أحدثت فيهم وفي العالم الإسلامي تغييرات كبيرة وحسب الأبحاث العديدة التي قام بها العلماء في تاريخ العالم الإسلامي وتاريخ الأزمة

---

[1]–حليم بركات . **المجتمع العربي المعاصر** ، **بحث استطلاعي اجتماعي** . مركز دراسات الوحدة العربية . بيروت. الطبعة الثالثة.سنة 1986م.ص. 266

الاجتماعية العامة التي حلت به فأن جذورها عميقة وعريقة تعود إلى قضية تحول الخلافة إلى ملك عضوض [1] ؛ أي إلى قيام الدولة الأموية .

وتعد النكبات التي عرفها العالم الإسلامي كسقوط الدولة العثمانية (1683) وقبل ذلك سقوط بغداد رمز الخلافة والحضارة عام (1258) وأخيرا سقوط دولة الموحدين كآثار وهزات ارتدادية للصدمة الكبرى التي تعرض لها العالم الإسلامي بعد نهاية فترة الخلافة الأولى ، على الرغم مما شهده العصر العباسي المتقدم من نهضة علمية وفكرية أعادت للحضارة الإسلامية بعض مجدها خلال القرنيين (13م – 14م) ،ومن هذا يمكن القول أن مشكلة العالم الإسلامي هنا داخلية أكثر من كونها خارجية فيبقى الاستعمار والذي يعتبر السبب الخارجي تحصيل قائم على السبب الأول ، لان انحطاط العالم الإسلامي كان سابق لظهور الاستعمار [2]، بل يمكن أن نقول أن انحطاطهم كان كسبب مباشر لتمكن الاستعمار منه ذلك الانحطاط الذي اكسبهم صفة القابلية للاستعمار وفي هذا يصف العالم الغربي **لوثيروب.ستودارد** حالة العالم الإسلامي الاجتماعية بعد سقوط دولة الخلافة في القرن الثامن عشر فيقول:

> كان العالم الإسلامي في القرن الثامن عشر قد بلغ من التضعضع أعظم مبلغ ،ومن التدني والانحطاط أعظم دركة ، فاربد جوه ، وطبعت الظلمة كل صقع من أصقاعه ، وانتشر فيه فساد الأخلاق والآداب ، وتلاشى ما كان باقيا من آثار التهذيب العربي واستغرقت الأمم الإسلامية في أتباع الأهواء والشهوات، وماتت الفضيلة في الناس ، وساد الجهل وانطفأت قبسات الجهل الضئيلة ، وانقلبت الحكومات الإسلامية إلى مطايا استبداد وفوضى واغتيال، فليس يرى في العالم الإسلامي في ذلك العهد سوى المستبدين الغاشمين، كسلطان تركيا وأواخر ملوك المغول في الهند يحكمون حكما واهنا . أما الدين فقد غشيته غاشية سوداء فلبست الوحدانية التي علمها صاحب الرسالة من الخرافات، وقشور الصوفية، وكثر كثير الأدعياء والجهلاء الذين يخرجون من مكان إلى مكان يحملون في أعناقهم التمائم والتعاويذ والسبحات ويوهمون الناس بالباطل والشبهات[3].

كل هذه الظروف جعلت العالم الإسلامي يفقد صورته الأولى ويصبح من الدول الضعيفة التي ليس لها حول ولا قوة، وفي مقابل هذه الهزات والصدمات في العالم

---

[1] –عبد الحميد سليمان.**أزمة العقل المسلم** .المعهد العالمي للفكر الإسلامي .الطبعة الأولى .ص،ص27 ،28

[2] – علي بودربالة . **منهج التغيير الاجتماعي في الفكر الإسلامي** .دار قرطبة . الطبعة الأولى. السنة 1426–2005م ص.ص .12. 10

[3] –محمد طهاري . **مفهوم الإصلاح بين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده** . المؤسسة الوطنية للكتاب ، الدار التونسية. ص 25

الإسلامي قابلها في الغرب حضارة راقية قوية تتطور في كل يوم أكثر فأكثر فيما كان العالم الإسلامي يسري إلى جهة الهبوط والتراجع فوجد الغرب من ثم الباب مفتوحا للاستيلاء والاستعمار فدخل هذه الدول الإسلامية واحتل اكبر مراكز حضارتها (فلسطين، بغداد، ومصر.) ، ولأن الدين الإسلامي يتصل بالواقع اتصالا عضويا كان من الطبيعي أن تنشأ إلى جانب ثقافة وحركات الاستسلام ثقافات وحركات تشجع على التمرد والعصيان وهو ما حدث خاصة منذ بدء انهيار الحكم العثماني ودخول الغزاة الغربيين إلى العالم الإسلامي [1] فمر من خلال هذا بمرحلة انتقالية واجه خلالها تحديات مصيرية نشأت في إطارها حركات الإصلاح الديني مستنكرة للواقع الذي بلغه العالم الإسلامي ساعية من خلال عملها إلى التغيير.

هذه الحركات الإصلاحية هي في واقع الأمر مجموعة من الأفكار والمناهج والأهداف التي تتخذ الدين الإسلامي كمرجعية أساسية لها ، وإذا كنا قد نفينا في بداية الأمر أن يكون الاستعمار هو العامل الأول والأساسي في انحطاط الأمة فانا يمكن أن نعتبره هنا في هذا المقام العامل الأساس لإيقاظ هذه الأمة من سباتها وحفظ أملاكها وتراثها وهذا بناءا على ما يراه مالك بن نبي في أن أوربا باستعمارها قدمت للعالم الإسلامي عملا نافعا في قوله:

> لقد منح نشاط الأوربي إنسان ما بعد الموحدين إلهاما جديدا لقيمته الاجتماعية حين نسف وضعه الاجتماعي الذي كان يعيش فيه راضيا بالدون ، وحين سلبه وسائله التي يتبطل بها هادئ البال حالما ، فإنسان أوربا قد قام – دونما قصد – بدور (الديناميت) الذي نسف معسكر الصمت والتأمل والأحلام، وبذلك شعر إنسان ما بعد الموحدين.[...] بهزة انتقض بعدها مستيقظا، ليجد نفسه أمام ضرورتين ملحتين [...] بأن يحافظ على الحد الأدنى من كرامته، [..] وهو ملزم أيضا بان يضمن لنفسه الحد الأدنى من الحياة في مجتمع قاس. [...] لقد وجد المسلم أن عليه إن يبحث عن أسلوب في المعيشة يتفق وشرائط الحياة الجديدة، في المجالين الخلقي والاجتماعي[2].

من هنا يمكن أن نعتبر أن الأزمات التي أصابت العالم الإسلامي كان العامل الأساس فيها هو الابتعاد عن الدين أو بالأحرى فقدان الدين لفعاليته الاجتماعية في العالم الإسلامي لأنه لو كان الدين يتحرك في ضمير المجتمع لما كان الواقع على ما هو عليه من

1–حليم بركات . مرجع سابق.ص266

2– مالك بن نبي . **وجهة العالم الإسلامي** .ترجمة عبد الصبور شاهين . بإشراف ندوة مالك بن نبي . دار الفكر، الجزائر . دار الفكر، دمشق. الطبعة الخامسة. 1406– 1986م .ص48

الضياع والتمزق والتخلف والتنافر ،ومن ثم قامت الحركات الإصلاحية مدركة أن جذور الإشكالية في سقوط حضارة الأمة تكمن في ذهاب الروح الحقيقية للـدين فـي أروقـة التاريخ وعقده ومن ثم مسخه وتشويهه وتحويله لا تحوّله إلى كيان آخر يمارس على انه الدين الإسلامي ، ففارق كبير بين الإسلام في تفجره الأول كرسالة روحية كبرى متعالية وبين الاتجاهات الإيديولوجية التي تشكلت فيما بعد ، وحاولت احتكار الرسالة لمصـلحتها من اجل ترسيخ هيمنتها وسيطرتها [1] ، كما أدركت أن قيام حركتها لا يكـون إلا عـن طريق إحياء الدين وتجديده بتجديد فعاليته في أفراده ولا قيام لحركتها إلا بهـذا الأخيـر "ففي مجتمع كالمجتمع العربي بني بشكل كامل على الدين .. يظل هذا العامل محركا أولا فيه لذلك لا يمكن تفسير حركته بمقولة الطبقية أو الوعي الطبقي أو بمقولة الاقتصاد"[2] .

أما عمّن تولى هذه الحركات بالقيادة فهم كثيرون وانتشارهم قد غطى أنحـاء العـالم العربي والإسلامي وقد اختلف كل واحد منهم عن الآخر في الأساليب التي اتبعها في هذا الإصلاح ، كل حسب بيئته أو ما يراه من الأولويات أو من خلال طبيعة التحديات التـي واجهته فلعب كل واحد منهم دورا مميزا في الدفاع عن مبادئ الإسلام وناضل ضد البدع والخرافات ،ورغم الاختلافات المنهجية التي كانت بينهم إلا أن غايتهم كانت واحدة وهي النهوض بالعالم الإسلامي وإنقاذه من التخلف والضعف الذي وصل إليه ومحاولة إعـادة مجده وسلطته التي كان عليها قديما وكذا الوقوف في وجه التحديات المفروضة عليه.

لقد ارتبطت هـذه الحركـات الإصـلاحية الدينيـة فـي منطلقهـا بالإمـام **ابـن تيمية**(661ه_728ه، 1263-1328) الذي كان له دور كبير في الدفاع عن الإسـلام ، حيـث كان في زمانه يدعو إلى التجديد الروحي والاجتماعي من خلال الرجوع للأصول الدينية الصحيحة (الكتاب والسنة) وكذا نبذ الخرافات والبدع التي ألحقـت بالـدين فأفسـدت صورته الطاهرة النقية وكذا ركزت دعوته على فتح باب الاجتهاد واسعا وحارب الجمود والتقليد والتعصب ،فكان من خلال هذا من ابرز الذين سعوا إلى إبداع مشـروع فكـري

1- عبد الرزاق الجبران. **علي شريعتي وتجديد التفكير الديني ، بين العودة إلى الذات وبناء الإيديولوجية** .دار الأمير . الطبعة الأولى. 1422هـ-2002م . ص31

2- بودربالة . مرجع سابق . ص44

لتجديد الدين الإسلامي كي تتجدد به دنيا المسلمين [1] ومن خلال الأسس والتعاليم التـــي قامت عليها دعوته تولدت حركات إصلاحية أخرى أخذت نفس التعاليم والمبادئ لتعمـــل على تحقيقها على ارض الواقع ، ولقد لقيت خير تعبير عنها وتجسيد لها الـــدعوة التـــي قامت خلال القرن الثاني عشر الهجري والثامن عشر الميلادي والتي كانت تـــدعوا إلـــى النهوض بالإسلام وإصلاح أحوال المسلمين بتطهير الإسلام وتخليصه مما علق بـــه مـــن أدران الوثنية وغيرها من مظاهر الشرك، وصاحب هذه الدعوة هو الشيخ **محمد بـــن عبـــد الوهاب** (1703-1792) [2]الذي كان أكثر تركيزه منصبا على إصلاح العقيـــدة والـــدفاع عنها وتنقيتها من الظواهر والمفاهيم والسلوكيات التي تناقض مبدأ التوحيـــد لاعتبـــاره أن "صلاح العقيدة هو صلاح كل شيء، وفسادها هو فساد كل شيء ومن ثم لم يلتفت كثيـــرا إلى المدنية الحديثة وأثرها أو موقف المسلمين منها"[3]، ولقد انتشرت دعوته هذه انتشـــارا واسعا في كافة أنحاء العالم الإسلامي مخلفة آثارا في أقطار إسلامية مجـــاورة وبعيـــدة ، وتركت أتباعا في كل مكان ينسجون على منوالها ليواصلوا الحركة الإصلاحية في العالم الإسلامي ومنها تكونت الحركة السلفية التي مثلها محمد بن علي السنوســـي فـــي شـــمال أفريقيا وحركة المهدية في السودان التي تزعمها محمد بن أحمد العبد الله وغيـــره ،وفـــي النصف الأول من القرن التاسع عشر ظهر كل من رفاعة الطهطاوي في مصر والـــوزير خير الدين التونسي في تونس وآخرون ممن كانوا يعملون على إصلاح أحوال المســـلمين عن طريق التركيز على الإصلاح السياسي عبر تبني السياسية الحديثـــة وبـــالعودة إلـــى التجارب الأوروبية في مجال النظم الإدارية والتنظيمية [4].

ثم تأتي من بعدها الحركات الإصلاحية الحديثة التي تبلورت مبادئها في نهاية القرن التاسع عشر مع مصلحين بارزين وتعد هذه المرحلة الأخيرة من ابرز مراحل الإصلاح

---

[1]–محمد عمارة .**مستقبلنا بين التجديد الإسلامي والحداثة الغربية** .القاهرة .مكتبة الشروق الدولية. ط 2 . 1427 – 2007.ص16

[2]–جمال المرزوقي. **دراسات نقدية في الفكر الإسلامي المعاصر** .دار الأفاق العربية . ط1.سنة. 1421 هـ– 2001م . ص27

[3]– المرجع نفسه . ص 19.

[4]–**رضوان زياد . هل يمكن تجديد الخطاب الديني عبر الخروج من العربية الفكرية المركزية؟**
7 http://www.hewaraat.com/forum/newreply.php?do=newreply&p=22

الإسلامي الحديث والمعاصر وأكثرها أهمية ، وذلك من خلال المنهج الذي اتبعته والتي حاولت من خلاله أن تجمع بين الأصالة والمعاصرة، أي أن تجمع بين منهج الحركة السلفية الوهابية والمركز على إصلاح العقيدة والرجوع إلى الأصول الأولى للدين، ومنهج **الطهطاوي** الليبرالي الذي كان تركيزه على كيفية صياغة العلوم الغربية الأوربية ومناهجها في فائدة العالم الإسلامي قصد إصلاح أحوال المسلمين بها،فكانت من ثم المبادئ التي سار عليها ابن عبد الوهاب والسنوسي(المذهب السلفي) من إحدى منطلقاتهم مع إضافات أخرى اقتضاها العصر الذي وُجدوا فيه ورأوها ضرورية في الإصلاح وهو الجانب الذي ركز عليه الطهطاوي وأمثاله من المصلحين الذين اتبعوا نهجه، ويعرف هذا الاتجاه الأخير بتيار الجامعة الإسلامية الذي تزعمه السيد **جمال الدين الأفغاني**(1838– 1897) ومثل فيه الشيخ **محمد عبده** طوراً أساسياً بالتركيز على الإصلاح الديني، كما مثل فيه الشيخ **عبد الرحمن الكواكبي** طورا أخر بتركيزه على الإصلاح السياسي بالإضافة إلى دور الشيخ **محمد رشيد رضا.**

ويمكن أن نعتبر أن هذه الحركة الأخيرة." وان لم تكن وليدة الوهابية، فان الوهابية مهدت لها وشجعت النفوس عليها، كما أنها إن لم تكن في تفاصيلها شبيهة بالوهابية، فإنها لم تخرج عن المبادئ العامة لها "[1].

1–حركة جمال الدين الأفغاني

اشترك جمال الدين الأفغاني في تأسيس هذه الحركة مع تلميذه وصاحبه محمد عبده (1849ه – 1905م) فكانا يسعيان من خلال الحركة – التي بدأها في واقع الأمر الأفغاني وتابعها من بعده تلميذه محمد عبده – إلى نهضة الشرق وإيقاظه من سباته وإصلاح العقول والنفوس وكذا إصلاح الحكومة ، إلا أن الوسائل المأخوذة اختلفت بينهما" إذ كان جمال الدين الأفغاني يرى انه بدلا من أن ينصرف إلى العوامل الداخلية التي أدت إلى الفساد الاجتماعي في العالم الإسلامي يستطيع أن يقضي عليها بالقضاء على ما يحيط به من نظم وقوانين "[2]، فكان تركيزه على العمل السياسي أكثر، وانطلق في مشروعه هذا من خلال تأكيده على ضرورة الإصلاح الديني الإسلامي أولا إذ كان يرى أن الوصول

---

[1]–جمال المرزوق. مرجع سابق. ص 35.

[2]-مالك بن نبي. (1986م) . مرجع سابق. ص52

بالعالم الإسلامي إلى التمدن والتحضر لا يكون إلا بالحركة الدينية ، فيقول في هذا" انه لا بد من حركة دينية، لأننا إذا نظرنا في سبب انقلاب حالة عالم أوربا من الخشونة إلى المدنية نراه الحركة الدينية [...] إن حركتنا الدينية هي اهتمامنا بقلع ما رسخ من عقول العوام والخواص من فهم بعض العقائد الدينية والنصوص الشرعية، في غير وجهها المناسب"[1].

كما كان يدرك أن سبب ضعف المسلمين هو الجهل ، لذا فقد نادى إلى نشر العلم والفهم باعتبار أن الجهل هو مفتاح كل شر وضعف ومفتاح كل استبداد واستعمار ، كما شدد على ضرورة فتح باب الاجتهاد واسعا أمام كل من توفرت فيه شروط الاجتهاد ويقول أيضا مؤكدا وظيفة الدين وضرورته في إصلاح المجتمع:

أن الدين هو قوام الأمم، وبه فلاحها، وفيه سر سعادتها، وعليه مدارها.. وهو السبب المفرد لسعادة الإنسان .. وإنا معشر المسلمين، إذا لم يؤسس نهوضنا على قواعد ديننا فلا خير لنا فيه .. ولقد كان الخلل الذي اعترى حياتنا، من طرح أصول هذا الدين، ونبذها ظهريا.. والعلاج يكون برجوع الأمة إلى قواعد دينها ، والأخذ بإحكامه على ما كان في بدايته .. ولا سبيل إلى اليأس والقنوط، فان جراثيم الدين متأصلة في النفوس.. والقلوب مطمئنة إليه، وفي زواياها نور خفي من محبته، فلا يحتاج القائم بإحياء الأمة إلا إلى نفخة واحدة يسري نفسها في جميع الأرواح لأقرب وقت.. فإذا قاموا، وجعلوا أصول دينهم الحق نصب أعينهم، فلا يعجزهم أن يبلغوا منتهى الكمال الإنساني. ومن طلب إصلاح الأمة بوسيلة سوى هذه ، فقد ركب بها شططا .. ولن يزيدها إلا نحسا ، ولن يكسبها إلا تعسا[2]

مع هذا كله فانه كان يرى أيضا أن نجاح الحركة الدينية لا تكون إلا إذا سار الإصلاح الديني جنبا إلى جنب مع الإصلاح السياسي ، فكان يعمل على إزالة الاستعمار في العالم الإسلامي الذي يراه سبب كل المصائب ، ولقد اثر بحركته هذه تأثيرا كبيرا في تحريك الشعوب الإسلامية عامة ، والشرقية بصفة خاصة وقد اجمع المؤرخون انه كان سببا مهما من أسباب حركة الجهاد في العالم الإسلامي التي بدأت في نهاية القرن التاسع عشر ، واستكملت أسبابها في عقود القرن العشرين وأدى إلى تحرر الكثير من البلاد

---

[1] طهاري . مرجع سابق. ص 20

[2] -عمارة . مرجع سابق.سنة1327ه-2007م.ص12

الإسلامية من نير الاستعمار [1]وذلك من خلال الأعمال الإصلاحية التي كان يقوم بها هو وتلميذه محمد عبده ، ومن اخص هذه الأعمال التي كان لها تأثير كبيرا علـــى الشـــعوب العربية والإسلامية خاصة **الجامعة العربية** وما حققته من مؤثرات نهضـــوية علـــى كافـــة الشعوب المقهورة والمستعمرة وبالأخص منها الإسلامية ، وكذا إصدارها **لمجلـــة العـــروة الوثقى** التي تعتبر كمجلة دعوية تهدف إلى الإصلاح الديني والاجتماعي ،والتي استطاعت أن تؤثر بها من جهة نشر الوعي بضرورة النهضة الإسلامية عن طريق الإصلاح الديني " فاعتبرت هذه الحركة من خلال أعمالها كمدرسة من ابرز وأوســـع وأعمـــق مـــدارس الإحياء والتجديد في النهضة الإسلامية الحديثة ،ومن ثم تبلور من تراث هذه المدرسة مـــا يمكن أن نسميه معالم أساسية لمشروع نهضوي إسلامي يجمع بين الأصالة والمعاصرة[2].

2- حركة محمد عبده.

اشرنا سابقا إلى أن محمد عبده قد اختلف في منهجه الإصلاحي عن أستاذه الأفغاني فذلك لان تركيزه الأكبر كان على الإصلاح الداخلي وان كان قد مارس السياسة من قبـــل مع أستاذه الأفغاني لكنه لم يدم عليه، فكان يرى أن إصلاح حـــال المســـلمين وإصـــلاح مجتمعاتهم يكون بإصلاح الأنفس أولا، وقد استقى فكرته هذه من كتاب الله تعـــالى: " إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ "[3]، فكان منهجه هو التدرج فـــي الإصـــلاح وسلوك طريق التربية البطيء بدلا من طريق الثورة السريع، كما يرى أن التدرج فـــي الإصلاح هو الطريق الأقوم والأضمن في تحقيق الغاية، وان التربية المستندة إلى الـــدين بعد تجديده هي السبيل الوحيد لبلوغ غاية الشرق للتحرر الفكري والتحرر السياسي [4]

بهذا المنهج استطاع محمد عبده أن ينشر أفكاره في كافة أنحاء العـــالم الإســـلامي، التي سارت في الغالب على نهجه السلمي،لتركز أولا على تطهير الفكـــر والـــنفس مـــن الشوائب عن طريق العلم والمعرفة ، ثم تأتي مرحلة تحريرها من قيد الاستعمار لتكـــون

---

[1]-عبد الحميد محسن .**جمال الدين الأفغاني المصلح المفترى عليه** . مؤسسة الرسالة. ط2. 1406ه-1985م. ص48

[2]-القرآن الكريم. سورة الرعد. الآية . 11

3- منى حسن الدسوقي .**الشيخ مصطفى الغلاييني من مفاهيمه الإصلاحية ، دراسة مقارنة بينه وبـــين .الشـــيخين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده** .المكتبة العصرية . الطبعة الأولى. 1419-1999م. ص88

[4]- معن بشور ، نواف سلام ،وآخرون . **الواقع العربي وتحديات قرن جديد** . المؤسسة العربية. الطبعة الأولى. 1999.ص 219

أكثر نجاحا، ومن ثم فقد كانت حركته كإحدى المـؤثرات المباشـرة لظهـور الحركـة الإسلامية في العصر الحديث و التي واصلت الطريق الـذي بـدأه المصـلحين الأوائـل وسارت على خطاهم ساعية لتحقيق الهدف المنشود، وهو تحرير العالم الإسـلامي مـن طغيان التخلف وطغيان الاستعمار فظهرت من بعده أعمال رشيد رضا الإصـلاحية ثـم **حركة الإخوان المسلمين.**

هذه من أهم الحركات التي عرفها المجتمع الإسلامي ، وذِكرها هنا ليس على سبيل الحصر إنما على سبيل التمثيل فقط، كون العالم الإسلامي عرف مصلحين كثر لا يمكننـا في هذا المبحث أن نحيط بهم أجمعين ، وكذلك فان اختيارنا لهذه الحركات بالـذات هـو قربها من موضوعنا الذي نحن بصدد دراسته، فهذه الحركات كانت من إحدى المـؤثرات المهمة في ظهور حركة الإصلاح الديني في المجتمع الجزائري.

ويتبين من كل ما سبق أن الحركة الإصلاحية الإسلامية لم تختلف عن غيرها مـن الحركات الإصلاحية في الأمم و الشعوب الأخرى، فهي تبدأ بالدعوة إلـى العـودة إلـى الأصول الدينية التي تعتبر كأفكار مرجعية مؤطرة للحركة تستند إليها في نقد الحاضـر المتمثل في الواقع الذي تعيشه الأمة وترغب في تغييره ونقد الماضي القريب ، والانطلاق نحو المستقبل [1] .

كما اعتمدت الحركات الإصلاحية في العالم الإسلامي على قـدوة نموذجيـة علـى مستوى السلوك الفردي تتجسد فيه المرجعية الفكرية ، وتتمثل هنا في شخصية الرسـول صلى الله عليه وسلم التي تمثل الشخصية الكاريزمية كما يسميها ماكس فيبر والتي تعـد عاملا أساسيا في الحركات الاجتماعية التغيرية. وما ميز الحركة الإسـلامية عـن بقيـة الحركات الغربية هو – النموذج الاجتماعي الذي تنسج عليه نماذج اجتماعية حديثة، وهو هنا المجتمع الإسلامي في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين [2] .

بالإضافة إلى هذا فقد وظفت الحركة الإصلاحية الدين في عملها بالنظر إلى وظائفه الاجتماعية وأبعاده الدنيوية التي أظهرت من خلالها أن الدين يعتبر كمؤشر مساعد لتوجيه

---

[1]– الطيب برغوث.**حركة تجديد الأمة على خط الفعالية الاجتماعية** .الجزائر.دار قرطبة . الطبعة الأولى.1425ه–2004م.ص4

[2]– الدسوقي. المرجع السابق. ص. 73

حركات التغيير في المجتمع ، منه تؤخذ المبادئ والأفكار التي تعتبـر كموجـه أساسـي للحركة وهو أيضا موجه أساسي للحضارة، هذا ما انتهى إليه كثيرا من علماء التـاريخ، وعلماء الانثروبولوجيا وكذا علماء الاجتماع "وذلك في تأكيدهم للترافق الحضاري مـع الوعي الديني وانتهائهم إلى أن خلو هذا الوجود بمقوماتـه القيميـة، يحـتم الانحـلال والانحلال الحضاري ، سيما مع مسخ وجوده ، بحيث يغدوا عدمه خير من وجوده ، بمـا يفضيه إلى وجه مستغل ومخدر من وجوه التاريخ "[1].

لذلك فقد كان منطلق هؤلاء دينيا وبالدين كان قيام حركاتهم لما راو أن أسباب ضعف الأمة الإسلامية هو بسبب بعدها عن الدين ، وبعدها كان بسبب بعد الدين عن الواقع من جراء ما لحق به من شوائب وخرافات جعلته يفقد صورته النقية المرتبطة ارتباطا مباشرا بالواقع وتغيراته، كما أذهبت عنه صفته المميزة له وهي كونه صالح لكل زمان ومكان وهذا كله كان كنتيجة حتمية لغلق باب الاجتهاد وفتح باب التقليد الذي أعطى للدين صفة الجمود، لذلك نجد أن كل الحركات الإصلاحية من بدايتها كان من أهم المبادئ التي نادت بها هي فتح باب لاجتهاد واسعا أمام كل من توفرت فيه شروط الاجتهاد في كل زمان وفي كل مكان من الأمة الإسلامية، وعلى هذا الأساس استند جمال الدين الأفغاني في صرخته في ديار المسلمين لمراجعة الدين قائلا: "إننا في العالم الإسلامي ينبغي أن نعيد النظر في كل شيء وان نعيد فهم ما فهمناه من جديد، فليس من المعقول أن تكون أحوال العالم الإسلامي بهذا القدر من التدهور ،ثم يمكن أن تكون أفكاره سليمة وغير متدهورة ، وغير مقبولة أيضا"[2] .

[1] –الجبران . مرجع سابق. ص.32.

[2] – الجبران . مرجع سابق . ص. 29

الفصل الثاني: واقع المجتمع الجزائري قبل ظهور حركة الإصلاح الديني

المبحث الأول: الأوضاع السياسية للجزائر قبل ظهور حركة الإصلاح الديني.

أولا: سياسة الدمج والفرنسة.

ثانيا : قانون الأهالي (الاندجينا)

ثالثا : فرض الخدمة العسكرية على الشباب الجزائري .

رابعا: سيطرة المستوطنين.

خامسا : ظهور الأحزاب السياسية

المبحث الثاني: الأوضاع الدينية للجزائري قبل ظهور حركة الإصلاح الديني.

أولا : القضاء على المساجد .

ثانيا :مصادرة أملاك الأوقاف والاستيلاء عليها .

ثالثا: محاصرة القضاء الإسلامي.

رابعا : العمل على تنصير الجزائريين .

خامسا: الطرق الصوفية وتأثيرها السلبي على المجتمع الجزائري .

المبحث الثاني: الأوضاع الثقافية للجزائري قبل ظهور حركة الإصلاح الديني .

أولا : حالة التعليم في الجزائر .

ثانيا : حالة الصحافة في الجزائر .

المبحث الرابع : الأوضاع الاجتماعية للجزائري قبل ظهور حركة الإصلاح الديني

.

الفصل الثاني: واقع المجتمع الجزائري قبل ظهور حركة الإصلاح الديني.

إن طبيعة بحثنا هذا تقتضي منا أن نعود قليلا إلى الوراء لمعرفة الظروف التي كان عليها المجتمع الجزائري قبل ظهور حركة الإصلاح الديني، هذه الظروف التي يمكن أن نعتبرها كمؤثرات أولى للتغيرات التي حدثت في المجتمع ، أو أنها كدافع أول لظهور حركة الإصلاح الديني وانه من الواضح أن ظهور الحركات الإصلاحية في الوطن العربي وفي العالم الإسلامي على العموم قد ارتبط إلى حد بعيد بوجود الاستعمار الذي يمثل أزمة اجتماعية أدت ،وما يلاحظ هنا انه كلما اشتد توغل وسيطرة هذا الاستعمار على المنطقة كلما زادت حدة نشاط الحركات الإصلاحية فيها وهذه القاعدة تنطبق أيضا على المجتمع الجزائري فظهور الحركة الإصلاحية فيها كان متزامنا مع ظهور الحركة الاستعمارية وكانت شدتها تضاهي شدة الاستعمار فيها أيضا،ولمعرفة التأثيرات المتبادلة بين الفعل الاستعماري وحركة الإصلاح ونتائجها على المجتمع الجزائري لا بد أن نتطرق إلى أهم الأحداث التي مر بها المجتمع الجزائري قبل ظهور الحركة الإصلاحية للتمكن من معرفة الوضع بدقة وكذا معرفة دور الحركة الإصلاحية فيها واهم التغييرات التي قامت بها.

المبحث الأول: الأوضاع السياسية في المجتمع الجزائري قبل ظهور حركة الإصلاح الديني.

أن ما ميز المجتمع الجزائري في هذه الفترة هو السيطرة الاستعمارية التي كانت بدايتها وحسب ما أرخ لها في 5 جويلية 1830 م وهو تاريخ التوقيع على اتفاقية التسليم المعروفة باتفاقية الجزائر،وقد أطلق بعض المؤرخين على هذه الاتفاقية باتفاقية الهدنة مع

أنها في الواقع ليست أكثر من اتفاقية تسليم عسكري بين غالب ومغلوب [1]وان أهم شيء جاء في هذه الاتفاقية هو البند الخامس الذي ينص على ما يلي:" الشعائر الدينية المحمدية تكون حرة ولا يقع أي مساس بحرية السكان من مختلف الطبقات، ولا بدينهم ولا بأملاكهم ولا بتجارتهم ولا بصناعتهم وتحترم نساؤهم ، والقائد العام يتعهد بذلك عهد الشرف"[2]، كما نصت البنود الأخرى على حفظ حقوق وحرية الداي وجنوده ، و نص البند الثالث على احترام التقاليد الجزائرية ، وانه لن يؤذن للجنود الفرنسيين بدخول المساجد الجزائرية .وما لوحظ على هذه الاتفاقية عامة أنها لم تنص على تحويل السيادة الوطنية من قبل الدولة العثمانية صاحبة السلطة القانونية على الجزائر، ولا حتى التنازل عنها وإنما كانت فقط اتفاقية تسليم عسكري مقابل وعد فرنسي رسمي بعدم المساس بحرية السكان والحفاظ على تقاليدهم الدينية والاجتماعية [3]

لقد كان الفرنسيون عشية اليوم الذي نزلوا فيه إلى البر الجزائري يؤكدون على أهدافهم ونياتهم بأنهم ما جاؤوا إلا لنشر الحضارة في الجزائر والقضاء على طغيان الداي كما جاء ذلك على لسان الكثير من مفكريهم وعلمائهم الذين كانوا أيضا يؤكدون على هذه الغاية من الاحتلال ومن مفكريهم المشهورين الذين أكدوا أو أشاروا إلى هذه الغاية فريدريك انجلز الذي كان يعتبر أن غاية الاحتلال ما هي إلا " التعجيل بتطوير الشعوب المتخلفة "[4] وهذا من خلال ما كتب في سنة 1848 عندما كان مراسلا لجريدة النجم الشمالي في باريس عن استسلام الأمير عبد القادر وإحكام السيطرة الفرنسية على الجزائر فقال " أن احتلال الجزائر هو حادثة مهمة وسعيدة لتقدم الحضارة... ربما نتأسف لكون حرية بدو الصحراء قد قضي عليها ،ولكن يجب ألا ننسى أن هؤلاء البدويين أنفسهم كانوا

1- احمد الخطيب. **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر.** المؤسسة الوطنية للكتاب . الجزائر . سنة 1985. ص16

2-أبو القاسم سعد الله . **الحركة الوطنية الجزائرية (1900-1930)** . ج2 . دار الغرب الإسلامي . الجزائر . ط4 . سنة 1992م. ص14

3- الخطيب. مرجع سابق. ص16

4- صالح فيلالى، وآخرون . **الأزمة الجزائرية، الخلفيات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية.**مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت. ط 2 . 1999. ص 18

امة لصوص... برجوازيا عصريا بحضارة وصناعة ونظام وكنوز أفضل بكثير من سيد إقطاعي أو غاز سارق ينتمي إلى مجتمع متوحش"[1]

وظهر هذا أيضا في تصريحات قادتهم ومسؤوليهم من خلال منشوراتهم وبياناتهم ومنها نجد البيان الذي جاء على لسان احد قادتهم والذي يقول فيه:

أما انتم يا شعب المغاربة اعلموا وتأكدوا يقينا إني لست آتيا لأجل محاربتكم فعليكم أن لا تزالوا امنين مطمئنين في أماكنكم وتعملوا أشغالكم ، وكل ما لكم من الصنائع والحرف براحة ثم إني أحقق لكم انه ليس فينا من يريد بضركم لا في مالكم ولا في عيالكم ، ومما اضمن لكم أن بلادكم وأراضيكم وبساتينكم وحوانيتكم وكل ما هو لكم صغيرا كان أو كبيرا فيبقى على ما هو عليه ولا يتعرض لشيء من ذلك جميعه احد من قومنا ، بل يكون في أيديكم دائما ، فامنوا بصدق كلامي ، ثم إننا نضمن لكم أيضا ونعدكم وعد حقيقيا مؤكدا غير متغير ولا متأول ، إن جوامعكم ومساجدكم لا تزال معهودة معمورة على ما هو الآن عليه وأكثر ، وانه لا يتعرض لكم احد في أمور دينكم وعبادتكم . فان حضورنا عندكم ليس هو لأجل محاربتكم وإنما قصدنا محاربة باشتكم الذي بدا واظهر علينا العدوان والبغضاء [2]

في هذا البيان نجد تأكيدا على ما جاء في الاتفاقية الأولى وكذا إظهار النية المزيفة التي اخفوا بها النوايا الحقيقية الاستعمارية التي ظهرت فيما بعد في أقوالهم صراحة، وأكثر من ذلك في أفعالهم التي ضربوا بها تلك الاتفاقية عرض الحائط،ومن أشهر الأقوال التي جاءت في هذا الجانب والتي أظهرت العلاقة القوية بين الاستعمار والكنيسة فجعلته تابعا للحملة الصليبية التي عرفها العالم العربي والإسلامي قول احد قادتهم" نحن الافرنسيس مقيمون في ديارنا بالجزائر ، فقد أصبحنا سادة هذه البلاد بالقوة التي تفرض وجود طرفين غالب ومغلوب ، وقد أمكن تنظيم البلاد عندما تم قهر المغلوبين ، وتفوق الإنسان المتحضر على الإنسان المتخلف ، فنحن إذن أصحاب البلاد الشرعيين " [3]

وأيضا قولهم " لقد فتحتم من جديد معنا باب المسيحية في إفريقيا ، ورجاؤنا أن تزدهر فيها عما قريب الحضارة التي كانت انطفأت فيها " [4]،وجاء في تصريح آخر " إن

1- المرجع نفسه . ص. 18

2- أبو القاسم سعد الله .**أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر.** الجزء الرابع. دار الغرب الإسلامي . الطبعة الأولى. سنة 1996. ص-ص196_199 .

3- عبد الرشيد زروقة . **جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر** ، (1913- 1940) . دار الشهاب، الجزائر. ط1 . سنة 1420هـ- 1999. ص. 15

4- مازن صلاح مطبقاني . **عبد الحميد بن باديس،العالم الرباني والزعيم السياسي** .دار القلم ، دمشق . ط2. سنة 1420 هـ- 1999م.ص.15.

الجزائر مملكة مسيحية ولن تكون تونس والمغرب مثلها قبل زمن طويل"[1] ففي هذه العبارات الأخيرة إيهام بان الجزائر قبل أن تكون مسلمة كانت مسيحية وما يدعم هذا المفهوم قول احد القساوسة " أن الحجارة الصامتة في قرطاجنة وتيمقاد وجميلة وتيبازة تستغيث بنا اليوم ، ورغم الموت الذي يهددها ، فإنها تصلي للإله بصمتها ذلك قائلة إلى متى يا رب ؟ وما وجودنا نحن المبشرون هنا على هذه الأرض إلا لنجعل من هذه الصلاة عملا مرئيا." [2]. وتظهر النظرة الصليبية في قول السيد بيدوا:"إنني لن اترك الهلال ينتصر على الصليب "[3] وكأنه يريد أن يقول يجب أن نوقف الإسلام عند حده.

فهذه الأقوال كلها دليل واضح على النوايا الحقيقية التي أرادها الاستعمار من دخوله إلى الجزائر. وليحقق الاستعمار الفرنسي أهدافه اتبع عدة أساليب واتخذ عدة وسائل ليمضي من خلالها لتنفيذ المخطط الاستعماري الذي يقوم على إبادة الشعب الجزائري المسلم وتصفية وجوده المادي والمعنوي والذي ظهر بوضوح من خلال الإشارات و التصريحات التي عرضناها سابقا لتصبح الجزائر به مسرحا لأعماله الشنيعة التي لم يعرف لها مثيل من قبل ومن أهم السياسات التي اتبعها الاستعمار في هذا المجال ما يلي:

أولا: سياسة الدمج والفرنسة .

إمعانا من السلطات الفرنسية في طمس الهوية الإسلامية والجذور العربية في الجزائر فقد عمدت منذ البداية إلى سن قوانين استهدفت منها تحقيق هذه الغاية ومنها قانون الإدماج الذي أصدرته الحكومة الفرنسية في 22 جويلية 1834 م الذي ينص على أن الجزائر هي الجزء الجنوبي من فرنسا لدرجة أن الدستور الفرنسي تضمن نصوصا مبكرة يعتبرها مقاطعة من الجمهورية الفرنسية تمثل في البرلمان الفرنسي ، وبناءا على هذا القانون فقد أمطرت باريس على الجزائر من القرارات ما بلغ حوالي ثماني وخمسين قرارا في ظرف خمسة شهور،من بينها قرار ينشئ منصب حاكم مدني وآخر يلحق

1- المرجع نفسه. ص.15.

2-زروقة . مرجع سابق. ص.16.

3- المرجع نفسه . ص.17.

الجزائر مباشرة بفرنسا بواسطة دمج شؤونها في مختلف الوزارات بالحكومة الفرنسية في باريس [1]

لقد كان للمستوطنين في الجزائر سلطة كبيرة على الحكومة الفرنسية، إذ أن اغلب القوانين التعسفية التي كانت تسنها الحكومة وتفرض تطبيقها على الجزائريين في الأغلب منها كانت من مطالب المستوطنين الذين كانوا يريدون أن يضعوا أيديهم على أملاك الجزائريين،ومن مطالبهم هذا القانون الأخير الذي يسعى لمساواة الجزائر بفرنسا قانونيا ليتمكنوا من فرض حكمهم المدني وبالتالي زيادة مكاسبهم السياسية والاقتصادية.

والجزائر في الواقع هي جزائر من اثنين،جزائر المستوطنين الفرنسيين وهي المقصودة هنا بالتماثل مع فرنسا وجزائر الجزائريين وهي المهملة والمقصود إزاحتها وقهرها [2]ورغم ما ناله المستوطنون من امتيازات من قانون تهجير الأهالي وسياسة الاستيطان إلا أنهم لم يكتفوا بل كانوا يطلبون الأكثروكان لهم ذلك حيث لم تذهب جهودهم سدا بصدور قانون15 افريل 1845م الذي ينص على تقسيم الجزائر إداريا إلى ثلاثة عمالات بدل ثلاث نواحي عسكرية ، والذي نالوا به صلاحيات أكثر من ذي قبل ،كما نالوا مناصب إدارية جديدة مكنتهم من التحكم في إدارة بعض البلديات أو الولايات .

وفي يوم 4 نوفمبر 1848م أعلن دستور الجمهورية الثانية في فرنسا في المادة109 بان الجزائر تعتبر أرضا فرنسية ومنحت الجمهورية الثانية عام 1848م–1852م فرنسي الجزائر حقوقا تمثيلية في المجالس الفرنسية :4 نواب في المجلس التأسيسي و3نواب في المجلس التشريعي ومنحتهم حق انتخاب ثلثي أعضاء المجالس البلدية في الجزائر كما استغل المستوطنون سياسة نابليون التي قلصت نفوذ العسكريين فاندفعوا للاستيلاء على أراضي جديدة وعملوا على توسيع المنطقة العسكرية والمناطق المختلطة ، وأسسوا المزيد من القرى الاستيطانية الجديدة [3]وفي عام 1863 م وبعد زيارة ثانية لنابليون إلى الجزائر اصدر أمرا بوقف مصادرة الأراضي وإعلان المساواة الكاملة بين الجزائريين والفرنسيين

1– سعد الله مرجع سابق . ص.26.

2–الخطيب. مرجع سابق. ص.18.

3– صالح فركوس . **المختصر في تاريخ الجزائر ، من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين (814ق.م – 1962م)** .دار العلوم . عنابه، الجزائر. ب ط . سنة 2002–2003.ص. ص. 224. 225

"وانه يجب أن تقنع العرب بان فرنسا لم تأت إلى الجزائر لاضطهاد أهلها ولكن لتجلب لهم الحضارة وان الجزائر لم تكن مستعمرة ولكن مملكة عربية ، وان الأهالي تحت حماية فرنسا لهم نفس حقوق الكولون وكما أنني إمبراطور للفرنسيين كذلك فانا إمبراطور للعرب"[1] والحقيقة أن هذه الفكرة لا أساس لها في الواقع ، بل هي مجرد تهدئة لخواطر السكان والمحافظة على الأمر الواقع .

واهم تشريع أصدره نابليون هو القرار المعروف **الساناتو- كونسولت** في تاريخ 14جويلية 1865م ومما ينص عليه" أن الأهالي المسلمين هم رعايا فرنسيون ولكنهم يخضعون لأحكام الشرع الإسلامي ، فإذا طلب احدهم الجنسية الفرنسية فانه يحصل عليها ولكنه يصبح في هذه الحالة خاضعا للقانون الفرنسي "[2] وهكذا فقد أصبح الجزائريون بموجب هذا القانون فرنسيين من ناحية ورعايا فرنسيين من ناحية أخرى، وأوضح هذا القانون بان الجنسية الفرنسية غير متناسبة مع حالة المسلم الجزائري ما دام متمسكا بأحواله الشخصية والدليل على ذلك ما أشارت إليه الإحصائيات المتعلقة بالتجنيس ما بين (1865- 1875) ، حيث تجنس 371جزائريا من الذين تخلوا عن أحوالهم الشخصية الإسلامية من أصل 2.462.936 جزائريا وفقا لإحصاء عام 1876م [3]وقد استمر هذا القانون حتى عام 1947م على الرغم من بعض التعديلات التي طرأت عليه عام 1919م

وعلى العموم فقد لقي كل من قانون الإدماج والفرنسة مقاومة ومعارضة شديدة من قبل الجزائريين، والتي ظهرت خاصة في مطالب الأحزاب السياسية التي تشكلت في الجزائر لتمثل مطالب الجزائريين.

ثانيا:قانون الأهالي (الاندجينا) :

بعد سياسة الإدماج التي جاءت بها فرنسا والتي كانت تعني بها في ظاهرها تحقيق التماثل والمساواة بين الجزائريين والفرنسيين واعتبار أن الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا، تظهر من خلال هذا القانون الأخير" قانون الأهالي" النوايا الحقيقة لفرنسا من سنها لقانون الإدماج ، بأنها لم تكن تعني بالمساواة و المماثلة في هذا القانون سوى الأوربيين

1- الخطيب. مرجع سابق. ص. 20

2- الخطيب. مرجع سابق . ص20

3- فركوس. مرجع سابق.ص 225

أو المستوطنين بإعطائهم الحق في التصرف بحرية في الجزائر وممتلكاتها ،باعتبار أن الجزائر ارض مفتوحة واعتبار أن الأهالي ما هم إلا مغلوبين لا يستحقون أي حق من الحقوق.

وانطلاقا من هذا القانون الأخير أصبح الرأي السائد بعد انهيار الحكم العسكري وانتهاء عمل المكاتب العربية خلال الفترة الممتدة ما بين 1870-1898م ،انه لا لزوم لاعتبار الجزائريين كالفرنسيين ،بل بالعكس فان سياسة الإخضاع هي التي يجب أن تفرض عليهم ومن هنا كانت مجموعة قوانين الأهالي الرهيب [1]

صدر هذا القانون التعسفي يوم 26جوان1881 م وهو عبارة عن مجموعة من النصوص التي فرضت على الشعب الجزائري منذ عام 1874 بعد القضاء على مقاومة المقراني حيث يقتضي منه أن يظهر الطاعة العمياء للمستوطنين ،وبقي هذا القانون ساري المفعول حتى عام 1944م [2] وقد ضم هذا القانون "عام 1890م واحد وعشرون مخالفة وأصبحت تزيد عددا حتى أصبحت عام 1897م سبع وعشرون مخالفة "[3] ولقد تقرر عام 1896م تعيين متصرف إداري في معظم البلديات بهدف تطبيق هذه القوانين على المسلمين وحملهم على الطاعة ظلما وقهرا.

وتشمل أحكام الاندجينا على أربع أصناف من السلطات وهي :

1- سلطة الوالي العام الفرنسي توقيع العقوبات على الأهالي دون محاكمة وقد استمر العمل بذلك حتى عام 1944م
2- سلطة المسؤولين الإداريين بسجن الأفراد ومصادرة ممتلكاتهم دون حكم قضائي
3- سلطة المديريات ذات الصلاحيات المطلقة وسلطة قضاة الصلح بسجن الأفراد ومصادرة ممتلكاتهم
4- سلطة المحاكم الزجرية المختصة بالمسلمين [4]

1- الخطيب. مرجع سابق. ص 23
2- فركوس. مرجع سابق. ص. 226
3- الخطيب. مرجع سابق. ص .23
4- فركوس . مرجع سابق. ص.226.

يعتبر قانون الأهالي كمحاولة من الاستعمار لقتل روح المقاومة في الشعب الجزائري وإخضاعه عن طريق تمكين القانون الفرنسي من تسليط العقوبات التي يراها مناسبة من سجن أو مصادرة أملاك أو ضرب أو شتم أو تغريم من غير محاكمة أو حكم قضائي يستوجب ذلك لان المسؤولين الإداريين وسلطة الوالي ورجال القضاء والشرطة لهم الصلاحيات المطلقة في ممارسة ذلك وتطبيقه، كما يعد من أقصى الإجراءات الاستعمارية التي يمكن لقوى مستعمرة أن تسنه للضغط على رعاياها ولكنه في الواقع الإنساني يمكن اعتباره بقية من ظلام العصور الوسطى ومحاكم التفتيش ولهذا السبب استنكره الفرنسيون أنفسهم باعتباره غير قانوني وغير إنساني [1]

ثالثا : فرض الخدمة العسكرية الإجبارية على الشباب الجزائري.

(سياسة التجنيد الإجباري)

بالإضافة إلى السياسات التعسفية السابقة التي فرضها الاستعمار في حق الشعب الجزائري،أضاف إليها سياسة أخرى تدل على مدى ظلمه وقهره للشعب الجزائري وهي سياسة التجنيد الإجباري التي فرضها على الشباب الجزائري مجبرا إياه بان يدخل في صفوف الجيش الفرنسي إبان الحرب العالمية الأولى وهذا لمحاربة أعداء فرنسا والدفاع عن مصالح الأحلاف التي لا تربطهم بهم أية علاقة ولا مصلحة لا من قريب ولا بعيد ، وكانت نتيجة هذا التجنيد أن قدمت الحكومة الفرنسية للمدافع الألمانية 173الفا من الجزائريين منهم 56الف قتيل ، أي31 بالمائة من مجموع الخسائر الفرنسية في حين لم يخسر الفرنسيون في هذه الحرب إلا 19بالمئة من مجموع الجنود الفرنسيين [2]

أدت هذه السياسة الأخيرة إلى هجرة الكثير من الشباب الجزائري من وطنه هروبا من هذه السياسة التعسفية التي بلغت اكبر حدها سنة 1911، وكانت وجهة هؤلاء الجزائريين إلى المغرب العربي و الشرق الأدنى وكذا إلى فرنسا، لقد كانوا يطلبون الحرية والاحترام والفرص التي لم يجدوها في وطنهم الجزائر [3]

رابعا: سيطرة المستوطنين.

1- سعد الله . مرجع سابق . 1992 . ص. 88

2- زروقة . مرجع سابق. ص.38.

3- سعد الله . مرجع سابق . 1992م .ص .129.

لم تكتف القوات الاستعمارية بالسيطرة على أراضي وأملاك المواطنين الجزائريين وحرمانهم من حقوقهم وأملاكهم الشرعية وإنما إضافة إلى ذلك عملت على تهجير الفرنسيين والأوربيين للاستيطان في الجزائر وتمليكهم ممتلكات الجزائريين،هذه الممتلكات وخاصة منها الأراضي تعتبر من خيرة الأراضي في الجزائر،هي التي تسلم لهؤلاء الوافدين من بعيد من اجل هذا الغرض.

كانت الحملات التهجيرية الاستيطانية التي تقوم بها فرنسا كثيفة جدا وبأعداد مروعة حتى أنها بلغت في السنوات الأولى فقط من الاحتلال إلى 119 ألف نسمة في عام 1871م والى نحو200 ألف في عام 1900م ،هذه النسب المذهلة تمثل نسبة المستوطنين الفرنسيين فقط دون نسبة الأوروبيين الآخرين الذين سمحت لهم فرنسا بدخول الجزائر فيما بعد والذين ازداد عددهم أكثر بعد إصدار الإدارة الفرنسية لقانون "كريميو"القاضي بتجنيس يهود الجزائر بالجنسية الفرنسية حيث بلغت نسبة المتجنسين بالجنسية الفرنسية بعد إصدار هذا القانون إلى حوالي 30 ألف يهوديا وحتى لا يحصل تفوق عدد الأوروبيين على عدد الفرنسيين الأصليين فرضت على الأوربيين لمن يريد أن يستوطن الجزائر أن يتجنس بالجنسية الفرنسية ومن ثم بلغ عددهم إلى حوالي219 ألف عام 1896م وعدد الأجانب إلى 211ألف،وفي عام 1892م بلغ عدد الفرنسيين 318 ألف منهم 50الف متجنسا وعدد الأجانب 212الف وبقي عددهم يزداد أكثر فأكثر حتى بلغ عددا كبيرا جدا.[1]

كانت السلطات الاستعمارية تمنح هؤلاء المعمرين أحسن الأراضي الجزائرية وأخصبها وكذا تمنحهم من ممتلكات الجزائريين الخاصة التي كانت تأخذها منهم عنوة ، مع وضع تسهيلات مطلقة لهذه الملكية عن طريق قوانينها التي وصلت بها إلى إعطائهم من أملاك الأوقاف الإسلامية التي استولت عليها والتي كانت تمثل بالنسبة للجزائريين المورد الأساسي الذي تسير به المدارس التعليمية ،لم يكتفي هؤلاء المعمرين بهذا بل بلغت بهم الحرية التي وجدوها في الجزائر إلى التحكم في إدارة الشؤون العامة المتعلقة بوسائل الإنتاج ورأس المال والتجارة الداخلية والخارجية، بل إن سيطرتهم بلغت إلى

1- زروقة . مرجع سابق. ص. 21

درجة التحكم في السلطة ليتحول مجموعهم فيما بعد إلى حكومة خاصة تطالب بالاستقلال عن الدولة الفرنسية العسكرية وتقف فيما بعد في وجه استقلال الجزائر [1].

بلغت نسبة الأملاك التي استولى عليها المستوطنون مبلغا كبيرا جدا بالمقارنة مع مدة استيطانهم القصيرة، حيث تم استيلاؤهم على معظم أراضي الجزائريين ولم يستثنى منها سوى المناطق الجبلية التي كان يرحّل إليها الجزائريون الذين تم الاستيلاء على أراضيهم.

خامسا: ظهور الأحزاب السياسية .

كان للحرب العالمية الأولى تأثير كبير في تفتح الذهن الجزائري ونشر الوعي القومي في أوساط الجزائريين نتيجة لمشاركتهم في هذه الحرب عن طريق قانون التجنيد الإجباري الذي كان ذو نتائج سلبية كبيرة على الجزائريين إذ قتل فيها معظمهم، إلا أنه كان من ناحية أخرى ذو نتائج ايجابية إذ استطاع الجزائريون من خلاله أن يطلعوا على ما يجري خارج الجزائر من أحداث سياسية وفكرية في العالم الإسلامي والعربي والإفريقي وكذا التأثر بالأفكار الليبرالية التي كانت نشيطة في هذه الفترة وخاصة في فرنسا ، كما تسنى لكثير من هؤلاء العمال والجنود الاطلاع دون رقابة على أخبار المشرق العربي الثورية ومن أهم ما عرفوه عن العالم الغربي مبادئ ويلسون التي تدعوا إلى حق الشعوب في تقرير مصيرها ،وكذا عرفوا قيمة العمل السياسي واطلعوا على النهضة السياسية في مصر وثورة الأمير عبد الكريم الخطابي في المغرب[2] ، وغيرها من الأحداث الخارجية التي كان لها وقع كبير في أوساط الجزائريين وساهمت مساهمة كبيرة في يقظتهم وكانت كسبب لنقل المقاومة في الجزائر من طابعها العسكري إلى العمل السياسي، ومنها كان ظهور الحركات السياسية في الجزائر التي وارتبطت مباشرة بعودة الجزائريين إلى الوطن بعد نهاية الحرب العالمية الأولى.

ومن أهم الأحزاب التي عرفتها الجزائر بعد الحرب العالمية الأولى : حركة الأمير خالد ، حركة نجم شمال افريقية ، اتحاد المنتخبين المسلمين .

1-حركة الأمير خالد -وحدة النواب المسلمين (دعاة المساواة في الحقوق والواجبات)

1- المرجع نفسه. ص.23

2- الخطيب. مرجع سابق. ص . 38

لقد كان من أهم أسباب تكوين هذا الحزب هو التأثر بمبادئي الرئيس ويلسون التي أعطت للجزائريين أملا كبيرا في إمكانية استرداد الجزائر لسيادتها من خلال مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها ، وقد أطلق عليه عدة تسميات فمنهم من قال: حركة وطنية إسلامية،ومنهم من سماه حزب المرابطين، والحزب الوطني الديني ، ومنهم من وصفه بالاتحاد الوطني الاشتراكي وهناك من كان يرى أنه حركة إصلاحية يهدف إلى تحسين حال المسلمين .

يسعى هذا الحزب إلى تبليغ صوت الشعب الجزائري إلى المسؤولين الفرنسيين في الجزائر وفي فرنسا والتعبير عن مطامحه في الحياة الحرة ،أما أهدافه فتتلخص في المطالبة بالمساواة التامة بين الجزائريين والفرنسيين في الحقوق السياسية والاجتماعية والاقتصادية في المرحلة الأولى على أمل تحقيق كافة مطامح الشعب الجزائري في مستقبل الأيام ،وتظهر أهداف هذه الحركة في المطالب المعروفة بمطالب الأمير خالد العشرة والتي تتمثل في المطالبة بحصول الجزائريين على كامل الحقوق السياسية التي يتمتع بها جميع الأوربيين ، والمطالبة بإلغاء مرسوم الاندجينا وإيقاف هجرة الأجانب إلى الجزائر،تطبيق قانون التعليم الإجباري على سائر أبناء الجزائر مع إعطاء حرية التعليم العربي والعناية التامة بالإصلاح الاجتماعي [1] .

وتمثل جريدة **الإقدام** التي أصدرها الأمير خالد هي لسان حال هذا الحزب،إذ كانت تصدر باللغتين العربية والفرنسية لتوجه إلى الجزائريين والفرنسيين عامة، أما توجيهها للجزائريين فبقصد إيقاظ شعورهم الوطني العام ورفع مستوى وعيهم السياسي ونزع الخوف والتردد من أذهانهم ، أما قصده من توجيهها إلى الفرنسيين فكان يهدف إلى إقناعهم بعدالة مطالب الجزائريين وضم الأحرار منهم إلى الوقوف بجانب حركته حتى تتغلب على معارضات المستوطنين الذين شنوا عليه وعلى حركته حربا شعواء حتى تمكنوا من نفيه وحل حركته سنة 1925م. [2]

2- حركة نجم شمال إفريقيا (دعاة الاستقلال)

1- رابح تركي . **الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر**. المؤسسة الوطنية للاتصال . الجزائر . ط5 . سنة 1422ه – 2001م. ص80

2- تركي. مرجع سابق. (2001) . ص 81.

تكونت حركة نجم شمال إفريقيا في باريس عام 1926م بتأثير ثلاث عوامل أساسية وهي :

أولا: مناخ الحرية الذي ساد فرنسا بعد الحرب العالمية الأولى الذي تمكن فيه أصحاب هذا الحزب أن يعبروا فيه عن مطالبهم السياسية بكل حرية.

ثانيا: أفكار الأمير خالد الاستقلالية ونشاطه في فرنسا بعد نفيه إليها عام 1923م ، ويؤكد ذلك انتخابه رئيسا شرفيا للحزب عند إنشائه .

ثالثا : دور الحزب الشيوعي الفرنسي الذي رغب في إنشاء حركة تدافع عن مصالح المسلمين في شمال إفريقيا. [1]

وقد كانت هذه الحركة في بدايتها عبارة عن هيئة لإغاثة أبناء شمال إفريقيا ، ثم أصبحت عام 1926 م جمعية سياسية تعمل للدفاع عن كيان المغرب العربي وتطالب بحقوقه السياسية والاجتماعية ،وقد ساهم في تأسيس هذه الحركة السيد احمد مصالي الحاج الذي أصبح في عام 1926 رئيسا لها وآزره جماعة من الشبان الأحرار من الجزائريين والمراكشيين والتونسيين.

نادت هذه الجمعية بمبدأ التحرير التام من الاستعمار الفرنسي وأعلنت حق شعوب المغرب العربي في الاستقلال والحرية ، ومنذ ذلك التاريخ لم تزد دعوة الاستقلال إلا انتشارا وذيوعا حتى أصبحت العقيدة العلنية للشعب وحتى أدت إلى الثورة الكبرى ثم إلى الاستقلال [2].ورغم الاضطهاد الكبير الذي لقيته حركة نجم شمال إفريقيا من الحكومات الفرنسية المختلفة "فقد تمكنت من الاستمرار في كفاحها طوال اثني عشر عاما إلى أن حلتها حكومة الجبهة الشعبية في فرنسا للمرة الثانية في 2 يناير سنة 1937م"[3]

3- اتحاد المنتخبين المسلمين ، (دعاة الإدماج والتجنيس)

أنشئت هذه الحركة في عام 1930م عن طريق تجمع بين النواب الجزائريين في المجالس العمالية الثلاثة وكان من زعمائها الدكتور محمود بن جلول وفرحات عباس والاخضري وغيرهم من دعاة الاندماج في فرنسا،و كانت جل مطالبهم تنصب على

1- الخطيب. مرجع سابق. ص 45-46

2- احمد توفيق المدني. **هذه هي الجزائر** . ب ط . ب ت . ص. ص. 111 ،112.

3- تركي. مرجع سابق. 2001.ص 83

مساواة الجزائريين والفرنسيين في الحقوق السياسية والاجتماعية أي تحقيق الاندماج مع المحافظة على الشخصية الإسلامية المتمثلة في قانون الأحوال الشخصية الإسلامي المتمثل في الزواج والطلاق والميراث [1]،ولقد اتخذت هذه الحركة الصحافة الناطقة باللغة الفرنسية كوسيلة أساسية لنشر مبادئها وبرنامجها .

وقد لقي هذا الحزب معارضة كبيرة في أوساط الجزائريين خاصة من خلال فكرة الاندماج التي كان يطالب بها السلطات الفرنسية ويسعى لتحقيقها وهذا لاعتباره أن الدعوة إلى الاندماج هي مقدمة لسلخ الأمة من مقوماتها الأساسية الدين، واللغة.

المبحث الثاني: الأوضاع الدينية للمجتمع الجزائري قبل ظهور حركة الإصلاح الديني.

يمثل الدين الإسلامي مركز القوة في المجتمع الجزائري فهو الحصن المتين الذي وقف به وأعانه على الصمود أمام كل الحملات الاستعمارية التي مر عليها في تاريخه ، من اجل ذلك فقد جعل الاستعمار الفرنسي الطريق إلى هدفه السياسي هو القضاء على هذا العامل في المجتمع أي الدين الإسلامي الذي جاء من اجل تدميره بخطط مختلفة للقضاء على كل ما يربط الجزائريين به ،ولقد كان يعتقد من خلال عمله هذا أن استقراره السياسي في الجزائر لن يتم إلا إذا أجرى تحويلا في الدين إن لم يكن إلى المسيحية فليكن إلى الانحلال والتمييع.

كانت فرنسا تخشى من الدين الإسلامي أن يقف في وجهها ويمنعها من تحقيق أهدافها ومطامعها، ولقد جاء هذا في تصريح بعض السياسيين الفرنسيين وذلك أثناء تبريره سبب الحملة التي تشن على الدين الإسلامي في قوله" هو خوفها من استحالة تعليماته ودروسه وعظاته إلى إيمان يملا نفوس الأفراد والجماعات وبالتالي تستيقظ هذه الروح النائمة فتهدد كيان وجودها في الجزائر" [2] وبناءا على هذه المخاوف التي دخلت بها فرنسا إلى الجزائر فقد جاءت بعدة وسائل واتبعت عدة سياسات تهدف من خلالها إلى تحطيم الدين الإسلامي في الجزائر ومسخ هوية الجزائريين وتحويلهم عن دينهم، إما إلى المسيحية من خلال سياسة التنصير التي جاءت بها وإما تحويلهم عن الدين كليا فلا تبقي لهم أي كيان وأي شخصية يتميزون بها ،ومن هذه الأفكار التي دخل بها الاستعمار إلى الجزائر أمكن

1- المرجع نفسه .2001.ص 87.

2- الخطيب. مرجع سابق.ص.48.

أن نعد حربه هذه حربا صليبية تعيد تاريخ ملاحم الحروب الصليبية في المشرق وأيامها في الأندلس ،عادت إلى الجزائر لتحارب الإسلام بسلاح جديد وبحلة جديدة أيضا وبصفة مباشرة "فبعد أن كانت الكنيسة هي التي تبارك الغزو الصليبي في المشرق وتحتضنه ، والقسيس هو الذي يغمس السيف في الماء المقدس ويقلده عنق الفارس ويشيعه بالدعوات وهو في طريقه إلى بلاد الشام ،لم تكتفي هنا الكنيسة بكل تلك الطقوس بل سارت في ركاب الاحتلال وتلاحمت معه جسما وروحا" [1]وقد جاءت بنية صريحة لا لبس فيها ولا تستر وقد ظهر هذا في قول الكاردينال لافيجري "علينا أن نخلص هذا الشعب ونحرره من قرآنه وعلينا أن نعني على الأقل بالأطفال لتنشئتهم على مبادئ غير التي نشأ عليها أجدادهم ، فان واجب فرنسا تعليمهم الإنجيل أو طردهم إلى أقاصي الصحراء بعيدين عن العالم المتحضر" [2] ، وقد تحققت بالفعل هذه النية على ارض الواقع فبمجرد وصول المحتل إلى الجزائر إلا وبدأ في تطبيقه لسياسته التعسفية والتي ظهرت في القضاء على المساجد أو تقليصها والاستيلاء على الأوقاف الإسلامية والسيطرة على القضاء الإسلامي ودعم التبشير المسيحي وكذا تشجيع الخرافات والبدع .

من هذا أمكن القول أن الجزائر ومن بداية احتلالها تعرضت إلى نوعين من الاستعمار أو نوعين من الجيوش الغازية:

جيش عسكري مدجج بمختلف أسلحة الفتك والدمار، وجيش من نوع آخر وهو اخطر من النوع الأول رغم انه لم يأتي بالسلاح فهو في شكل حمامة السلام وهو جيش المبشرين بالدين المسيحي وقد اتبعت فرنسا من اجل حرب الإسلام والقضاء على هوية الشعب الجزائري وقوميته الأساليب التالية:

أولا : القضاء على المساجد.

في إطار المخطط التنصيري الذي سعت السلطات الاستعمارية لتطبيقه على الجزائريين جاءت سياستهم هذه القاضية بتدمير المساجد وتحويل البعض منها إلى كنائس والتي شرعت في تطبيقها بمجرد دخولها إلى الجزائر التي كانت حينها تحتوي (في سنة

1- بسام العسلي. **عبد الحميد بن باديس وبناء قاعدة الثورة الجزائرية**. دار النفائس . ط2 . 1403ه- 1983م . ص 43

2- المرجع نفسه.ص.45.

1830) على مائة وستة مساجد ليتحول عددها مع استقلال الجزائر عام 1962 إلى ثمانية مساجد فقط ، وهكذا اختفى ثمانية وتسعون مسجدا كان من أعظم منارات الدنيا.

لقد بدأت عملية احتلال المساجد في سنة 1832م مع أمر روفيغوا –الحاكم العام– القاضي بحجز أحسن مسجد ليحول إلى كنيسة فقال" يلزمني أجمل مسجد في المدينة لنجعل منه معبد اله المسيحيين وخاطب رجاله قائلا:"عجلوا بذلك فجامع كتشاوة هو أجمل مسجد في المدينة خاصة وانه يتاخم القصر، ويقع وسط الدوائر الحكومية والحي الأوروبي ""[1] ، من هذا الأمر توالت فيما بعد عمليات التدمير وكذا عمليات التحويل التي عمت معظم المساجد في الجزائر ففي العاصمة مثلا أغلقت سلطات الاحتلال عام 1830م 13 مسجدا كبيرا و108مسجدا صغيرا و32 جامعا و12زاوية، وفي عام 1862م لم يكن مخصصا للمسلمين لإقامة شعائرهم الدينية سوى 4 مساجد كبيرة و8مساجد صغيرة وتسع جوامع فقط [2]

كان يرافق تحويل المساجد إلى كنائس في اغلب الأحيان خطابات استفزازية عنيفة، مثل الخطاب الذي ألقاه سكرتير الحاكم في قسنطينة أثناء الاحتفال بتحويل مسجد صالح باي إلى كنيسة حيث جاء فيه مايلي:" إنّ آخر أيام الإسلام قد دنت ، وفي خلال عشرين عاما لن يكون للجزائر اله غير المسيح ، ونحن إذا أمكننا أن نشك في أن هذه الأرض تملكها فرنسا فلا يمكننا أن نشك على أي حال أنها قد ضاعت من الإسلام إلى الأبد ، أما العرب فلن يكونوا مواطنين لفرنسا إلا إذا أصبحوا مسيحيين جميعا "[3]

لقد اتبعت فرنسا سياسة التدمير هذه رغم الوعود التي قطعتها في عدم المساس بمقدسات الأمة ، كما وعدت بعدم السماح للجيش الفرنسي بدخولها بأي طريقة كانت لكنها فعلت العكس لمّا سعت جاهده إلى تدنيس هذه المقدسات ولم تكتفي بالتدمير فقط بل فعلت الأشنع بتحويلها لبعض المساجد إلى إسطبلات لحيواناتها وكذا حولت البعض منها إلى ثكنات عسكرية ، ولم يكن مرادها من هذا إلا أن تحط من قيمة الإسلام ومقدساته في أنظار الشعب الجزائري .

1- العسيلي. مرجع سابق. ص. 31

2- الخطيب. مرجع سابق. ص. ص . 49 .50

3- الخطيب. مرجع سابق. ص.50

ثانيا : مصادرة أملاك الأوقاف والاستيلاء عليها

كانت الأوقاف في الجزائر تبلغ نحو 66 في المائة من مجموع الأملاك العقارية والزراعية ويعود السبب في ذلك إلى شغف الجزائريين بحبس أموالهم على المساجد وأضرحة الأولياء وأندية العلم عامة والحرمين الشريفين خاصة، وبفضل هذه الأوقاف لم يكن احد يشكو يومئذ فقرا لان جميع الفقراء كانوا يأخذون حصتهم ونصيبهم من خيراتها وهكذا استمرت الجزائر في بحبوحة من العيش إلى أن تطلعت إليها فرنسا بقواتها لتستولي على هذه الخيرات وتنتزعها من أيادي أصحابها [1]

لقد كانت الأوقاف الإسلامية تمثل بالنسبة للجزائريين مورد خير كبير ونفع عظيم على مجموع الأمة وعلمائها وطلبة العلم خاصة وبانتباه فرنسا إلى هذا المورد الأساسي في حياة الجزائريين عملت على الاستيلاء عليه بالاستيلاء على كل الأملاك التابعة إلى هذا المصدر الديني بقوانينها الجائرة التي جعلت لنفسها من خلالها الحق في التصرف في أملاك المسلمين بكل حرية، كما خولت هذا الحق للأوروبيين المستوطنين الذين كانوا يستغلون كل فرصة تمكنهم من الاستيلاء على أملاك المواطنين لزيادة ثرواتهم في الجزائر،وكان أول قرار أصدرته الإدارة الفرنسية فيما يخص الأوقاف هو القرار الذي أصدرته في 8ايلول 1830م والذي بمقتضاه تم الاستيلاء على جميع أملاك الأوقاف الإسلامية في المناطق التي احتلوها فكان هذا الأخير مخالفة أخرى للوعود التي قطعتها في بداية احتلالها للجزائر من خلال الاتفاقية التي وقعتها كوعد بعدم المساس بالمقدسات الجزائرية وكذا بأملاك المواطنين ومؤسساتهم الدينية.

واصلت السلطات الفرنسية عملية التدمير لمؤسسة الأوقاف من خلال القرار الثاني الذي أصدرته في7 كانون الأول 1830م ، وهو القرار الذي أعطت من خلاله الحق لنفسها والشرعية في أن تتصرف في أملاك الأوقاف بالتأجير والكراء والمصادرة والتمليك وغير ذلك بكل حرية [2] ، فأصبحت جميع الأوقاف الإسلامية على إثره تابعة لمصلحة أملاك الدولة التي استغلتها هي الأخرى لبداية مشروعها التنصيري.

1- العسلي. مرجع سابق. ص. 29

2- زروقة. مرجع سابق. ص 26

يصرح المفكر الفرنسي دي توكفيل مبينا فعلهم هذا فيقول " لقد وضعنا أيدينا في كل مكان على هذه الأملاك (الأوقاف) ثم وجهناها غير الوجهة التي كانت تستعمل فيها في الماضي ، لقد عطلنا المؤسسات الخيرية وهكذا تركنا المدارس تموت والندوات العلمية تندثر " [1]

لقد أحدثت عملية مصادرة أملاك الأوقاف من طرف الاحتلال خلخله اجتماعية عنيفة في كيان المجتمع الجزائري، فكانت هذه السياسة بمثابة الضربة القاضية لمعاهد التعليم والثقافة في البلاد، لأنها كانت تعتمد على هذه المؤسسة المالية للنفقة على نشاطاتها المختلفة.

ثالثا: محاصرة القضاء الإسلامي.

لقد لاحظ المستعمر الفرنسي أن المغامرة الاستعمارية قد لا تستطيع أن تنجح إلا إذا استطاعت أن تنفذ إلى أعماق الأمة الجزائرية المسلمة قصد تشكيكها في دينها وتاريخها المجيد، لذلك فقد عمل على قطع كل صلة للمواطنين المسلمين بإسلامهم مهما كانت صفة تلك العلاقة وهذا لكي يتمكن من تحقيق أهدافه التدميرية في المجال المادي والمعنوي خاصة .وبالإضافة إلى ما ذكرنا سابقا من أعمال نصل الآن لنرى كيف تدخل في مجال القضاء الإسلامي، هذا المجال الذي يعتبر أقوى رابط يربط المسلمين بالإسلام وذلك لاعتباره مصدر أحكامهم الدينية والدنيوية.

اشتهر القضاء الإسلامي قبل الاحتلال الفرنسي بنزاهته واستقلاليته وكان مصدر الأحكام الأساسي فيه هي الأحكام المستقاة من الكتاب والسنة ، كما كان القضاة المسلمين فيها يتميزون بدرجة عالية من العلم والدراية مما جعلهم يحتلون مركزا هاما في المجتمع الجزائري مع كل الاحترام والتقدير وكانت القضايا التي يتولونها تعم كل الفروع القضائية المتعلقة بالجنايات والأحوال الشخصية وكذا الدعاوى المدنية والتجارية وغيرها.

ولما وجد الاستعمار في هذا القضاء عاملا قويا في المحافظة على شخصية الجزائر الإسلامية والإبقاء على أصالتها راح يخطط ليفرض هيمنته عليه وكانت بداية تطبيقاته هو إصداره لقرار10 افريل1834م الذي ينص على استئناف الأحكام التي يصدرها القاضي المسلم أمام مجلس الاستئناف وفي هذا ما يخالف الشريعة الإسلامية إذ انه ليس

1- المرجع نفسه . ص 27

لحكم الله استئناف وتمييز أو مماطلة وتسويف وزاد الأمر خطورة بإسناد حق الاستئناف إلى قضاة الاستئناف من النصارى واليهود [1] كان هذا القانون الصادر كبداية للتضييق على القضاء الإسلامي ودفعه إلى الوراء وإحلال القانون الفرنسي مكانه استكمالا للقضاء على الشخصية العربية الإسلامية للجزائر وبلغت بهذا الحكم لتصل به إلى" أمر القضاة المسلمين في المحاكم الإسلامية إلى إصدار أحكامهم باسم الملك الفرنسي إبان حكم الملكية وباسم الإمبراطور في أيام حكم نابليون الثالث" [2].

ويواصل الاستعمار الفرنسي في سيطرته بإصداره لقانون آخر في 28فيفري 1841م القاضي بنزع سلطة القاضي في أحكام الجنايات والجنح وجعلها من اختصاص محكمة الاستئناف الفرنسية ، بهذا ليحصر القضاء الإسلامي في دائرة الأحوال الشخصية والإرث دون غيرها وفي13ديسمبر1866م صدر مرسوم حطم القضاء الإسلامي بفرضه على المسلمين حق التقاضي لدى قضاة الصلح الفرنسي وأصبحت مهمة القضاة المسلمين تنفيذ أحكام قضاة الصلح الفرنسيين ليس أكثر، ولم يتوقف الأمر إلى هذا الحد بل بلغ بالسلطات الفرنسية إلى إلغاء المحاكم الإسلامية بصفة مطلقة وإبطالها ، وهذا ما حصل في منطقة القبائل في 28 أوت 1874م التي استبدلت فيها المحاكم الإسلامية بجماعات أهلية تعرف ب(الجماعات القضائية) التي تحكم حسب العرف والعادات وتقاليد القبيلة دون إحكام الدين[3]وهي المنطقة التي طالما حاولت فرنسا فصلها عن الإسلامي بترسيخ فكرة التمايز البربري والعربي فيها .

وأخيرا صدر مرسوم 7جوان 1889م المعدل بمرسوم 25 ماي 1892م فأعاد تنظيم القضاء الإسلامي وحصر حق القاضي المسلم بالنظر في دعاوى الزواج والطلاق والمواريث ومن اغرب القرارات التي أصدرتها فرنسا هو القرار الذي أعطت فيه الحق للقضاة الفرنسيين أن يحكموا في خلافات المسلمين الجزائريين وفقا لأحكام الشريعة الإسلامية التي لا يعلمون منها شيئا [4] حيث يتولون هم هذه الأحكام ،فأدى بهم الأمر إلى

1- العسلي. مرجع سابق. ص 30

2- المرجع نفسه. ص. 30

3- فركوس. مرجع سابق. ص. 222

4- الخطيب. مرجع سابق. ص. 54

خلط كبير في أحكام الشريعة الإسلامية وبرزت من خلاله غايتهم في تشويه الشريعة الإسلامية والحط من قيمتها في أنظار المسلمين الجزائريين وإيهامهم بان الشريعة الإسلامية لا تصلح للقضاء بها .

وبكل هذه القرارات التي أصدرتها الحكومة الفرنسية تمكنت من تحويل القضاء الجزائري من قضاء إسلامي لا يقوم إلا على أحكام الشريعة الإسلامية إلى قضاء فرنسي بأحكام فرنسية وثقافة فرنسية وبقي القضاء في الجزائر على تلك الحالة ولم تتعدل أوضاعه طيلة عهد الاستعمار، سارية على سياسة الأميرال دي جيدون القائم على مقولته " يجب أن يزول القاضي المسلم أمام القاضي الفرنسي إننا نحن الغالبون " [1].

ويشهد المستعمر نفسه عن حالة القضاء الإسلامي الجزائري التي تحول إليها بعد ما أصدره من قرارات جائرة في حقه فيقول احد المستعمرين في هذا " لقد جردنا وقضينا على اعتبار أولئك الذين تعودوا أن يطاعوا منذ قرون... لقد جلبنا اكبر أنواع الفوضى في مختلف فروع القضاء " [2]

رابعا: العمل على تنصير الجزائريين

إن نوايا فرنسا لتنصير المسلمين الجزائريين كانت واضحة من بداية دخولها إلى الجزائر وذلك من خلال ما اصطحبت معها من مبشرين في حملتها ، حيث كانت هذه البعثات التبشيرية تقيم مراكزها في كل منطقة يتم الاستيلاء عليها من قبل القوات العسكرية الفرنسية ولقد صرح الحاكم العام دوبورمون في تلك الأثناء إلى أولئك المبشرين الذين رافقوا الحملة قائلا : " لقد جئتم لتعيدوا معنا فتح الباب على مصراعيه لتدخل المسيحية إفريقيا وإننا لكبيروا الأمل أن تعم ديانتنا هذه الربوع قريبا لنعمل من جديد على ازدهار المدينة التي انطفأ نورها منذ عدة قرون " [3] كما كانت فرنسا تتكلم مصرحة بهدفها في الجزائر قائلة" إن جبال الأطلس هي جبال الألب وان نهر الشلف هو نهر السين

1- المرجع نفسه . ص. 55

2- فركوس. مرجع سابق.ص. 204

3- مطبقاني .مرجع سابق . ص15

وان الصحراء هي المروج ، وان اللغة العربية هي الافرنسية ، وان الإسلام هو المسيحية وإفريقيا هي أوربا " [1]

كل هذه الإشارات توحي إلى الغاية الحقيقية التي تسعى فرنسا لتحقيقها في الجزائر وهي القيام بتغيير كل شيء فيها حتى يتحول إلى أملاك فرنسية، أي أن تتحول الجزائر بصفة عامة إلى قطعة من فرنسا.

إن فرنسا دخلت بنية إزالة الإسلام من الجزائر و كذا إزالة الوجود العربي منها ثم ضم الجزائر إلى فرنسا، لذلك فان كل قرار كانت تصدره السلطات الفرنسية من أي نوع كانت تسعى من خلاله إلى تحقيق هدفان:

الأول:هو السيطرة المادية وتحقيق الملكية الفعلية.

و**الثاني:** هو توفير الظروف التي تسهل بها عملية التنصير.

ووفاءا لهذين الهدفين وتحقيقا لهما جاءت وفقها مختلف قراراتها التي تقوم على الاستيلاء على أوقاف المسلمين ، وكذا تدمير المساجد وتحويل البعض منها إلى كنائس و الاستيلاء على الأراضي الخصبة وتوزيعها على المستوطنين.

كان المبشرون يستغلون كل فرصة يجدونها مناسبة لتطبيق مخططهم التنصيري ومن ثم كان استغلالهم للمجاعة التي حلت بالجزائريين سنة1867م [2]التي كانت كنتيجة للأعمال الشنيعة التي قامت بها فرنسا عندما طبقت على الجزائريين سياسة الأرض المحروقة التي خلفت أزمات بشرية واقتصادية حادة استغلها المبشرون لتحقيق أهدافهم، فقد كان الكاردينال لافيجري (أسقف الجزائر) حينها " يطوف الأنحاء التي فتكت بها المجاعة والأمراض والصليب في يمينه والخبز والدواء في شماله ، وجمع طائفة كبيرة من الأيتام واليتيمات لتربيتهم في ظل الكنيسة " [3]

وبالإضافة إلى هذا فقد توافرت شواهد كثيرة أجمعت كلها على أن المبشرين الذين سبقوا الحملة الاستعمارية ورافقوها مثلوا أشنع تمثيل عقلية الاستعمار البغيضة والقائمة على التقتيل الجماعي ونشر الرعب وتعميم الفوضى في المغرب الإسلامي عامة

1- العسلي. مرجع سابق. ص 57

2- المرجع نفسه. ص.38

3- تركي. مرجع سابق.2001ص. 68

والجزائر خاصة،كل هذا من اجل أن يتموضع الجزائري أمامهم في موضع ضعف فيستغلونه بقهر، بربط شرط إعانته بالتخلي عن الدين الإسلامي واعتناق المسيحية ، كما وصل بمكر هؤلاء المبشرين إلى استغلالهم للأطفال ببناء دور الأيتام وإدخالهم فيها لحشو أدمغتهم بالمسيحية وتشويه صورة الإسلامي الموروث لديهم .

ولم يكتف المستعمرون والمبشرون المسيحيون بما فعلوه من اعتداءات على الإسلام وأوقافه ومساجده في الجزائر وفي العمل على تنصير الجزائريين بالطرق الاعتدائية ، بل ابتكروا خطة شيطانية أخرى وجدوها كمنفذ آخر لتنصير الجزائريين وهي محاولتهم فصل المناطق التي لا تزال تتحدث باللهجة البربرية عن بقية الوطن بدعوى أن الجزائر مكونة من عنصرين العرب والبربر(الامازيغ)،فزعمت بان هؤلاء الامازيغ لم يبلغ الإسلام إلى قلوبهم وهم أميل إلى التحاكم إلى أعرافهم بدلا من الأحكام الإسلامية ،ومن هذا جاء قرارها بإلغاء المحاكم الإسلامية في القبائل واستبداله بالجماعات القضائية ، كل هذا من اجل إثارة الفتنة بين الجزائريين لتمزيق وحدتهم التي صنعها الإسلام [1]، كما سعوا من هذا لخدمة مصالحهم بكسب العنصر الامازيغي وتنصيره، فقد جاء في إحدى المجلات الكاثوليكية " إن البرابرة قريبون من الإنجيل وأساطير الإنجيل التي تفيض بحياة الرجل تصف حياة شبيهة بحياتهم وأمثال الإنجيل تشبه كثيرا أمثالهم وان حياتنا الخلقية الافرنسية قد كيفتها وصبغتها المسيحية ، فلم لا يكون الإنجيل إذا مركز الروح الذي تلتقي فيه الروح البربرية بالروح الافرنسية اللتان تنشد إحداهما الأخرى "[2]

بهذه الطرق كانت فرنسا تسعى إلى جذب اكبر عدد من الجزائريين لإخراجهم من الإسلام وتنصيرهم ،ولم تكن فرنسا لتستسلم لأنها وفي مخططها الذي طمحت إليه إذا لم ينجح دعاة التبشير في إقناع المسلمين بتبديل دينهم ،فلا اقل من صرفهم عن إسلامهم والعمل على تشويه الإسلام ذاته بالخرافات والبدع باستعانتها برجال الطرق المنحرفين لتحقيق أهدافها.

خامسا : الطرق الصوفية وتأثيرها السلبي على المجتمع الجزائري .

1- المرجع نفسه . ص.68

2-العسلي. مرجع سابق.ص. 42

مثلت الزوايا والطرق الصوفية في المغرب العربي والجزائر خاصة دورا مهما في نشر الثقافة الدينية والقومية وهذا للمكانة التي كانت تحتلها في ذلك المجتمع،إذ كانت تمثل مركزا للتعليم والتثقيف والوعظ والإرشاد ،كما كانت تعتبر مركزا للتدريبات العسكرية و منطلقا لمختلف المقاومات والحملات التي قادها الجنود الجزائريين ضد الاستعمار ومن ثم فقد لعبت دورا مهما في حرب الاستعمار والوقوف في وجه الغزو الصليبي من زمن قديم.

وفي نهاية القرن الماضي كانت هذه الطرق الصوفية تمثل حجرة عثرة أمام زحف الاستعمار الفرنسي حاربته بشدة ووقفت في وجه كل مخططاته التدميرية من خلال الثورات والمقاومات التي كانت الموجه الأساسي لها ، وان لم يكن توجيهها بصفة مباشرة فقد كان من خلال الجنود الذين كان لها الفضل في تعليمهم أصول دينهم التي تدعو للجهاد ومحاربة أعداء البلاد ، ولقد ظهر دورها في خير المقاومات التي عرفها التاريخ الجزائري ونجد منها على سبيل المثال مقاومة الأمير عبد القادر التي كان معظم جنودها من أصحاب الطريقة القادرية وكذلك مقاومة المقراني و مقاومة الشيخ بوعمامة وأتباعه من الطريقة الرحمانية.

ومع التخلف الحضاري الشامل الذي عرفته الأمة انتشرت الطرق الصوفية وتنوعت وتعددت حتى بلغت أعدادا كبيرة جدا، حيث بلغ عددها في الجزائر وحدها إلى 349 زاوية كما وصل عدد أتباعها ومريديها إلى حوالي 300 ألف تابع ومريد وبهذا العدد الهائل والتواجد المكثف استطاعت هذه الطرق أن تكسب نفوذا عظيما في أوساط الجزائريين وتتحكم بالعالم الثقافي والتكوين الإسلامي للشعب الجزائري، فمثلت المصدر الأساسي للإسلام بالنسبة للجزائريين الذين لم يكن لهم مصدرا آخر يعرفون من خلاله دينهم إلا بهذا الطريق وهذا بسبب الحصار الذي فرضته القوات الاستعمارية على الجزائريين بقوانينها التي منعتهم من التبادل الثقافي مع غيرهم فلم يجد شعبها فيها من ملجأ إلا الالتفاف حول هذه الزوايا والطرق، مع العلم أن رجال الطرق الصوفية في هذه الفترة قد انحرفوا عن الخط العام الذي رسمه مؤسسو تلك الطرق الأوائل، وقد تقلد أمرها خلفاء لهم لم يكونوا من الأخلاق والعلم ما كان علية معلموهم[1].

1- تركي. مرجع سابق.2001م. ص. ص.124 123

وفي ظل الظروف التي كان يعيشها الشعب الجزائري المقهور ومن خلال الثقة العمياء التي وضعها في أصحاب هذه الطرق وانطلاقا من المركز الذي بلغه هؤلاء ادعوا لأنفسهم امتيازات لا تتوفر لغيرهم من الأفراد العاديين ، فوضعوا أنفسهم في منزلة الأنبياء الذين يظهر لهم الله وادعوا لأنفسهم صفات الالوهية أمام العامة الساذجة وأوهموهم بأنهم قادرون على المنع والحرمان والمنح والعطاء وأكثروا من البدع ونسبوها إلى الدين زورا، فحصروا الدين الإسلامي في شكله وظاهره دون إشارة إلى جوهره ومضمونه ، فأصبح من خلال فعلهم هذا يأخذ بصفة وراثية تتميز بالجمود والتقليد مع كثير من الأباطيل والبدع والخرافات التي أضافوها إليه وجعلوها من الدين.

لما دخل الاستعمار إلى الجزائر عرف ما تمثله هذه الطرق بالنسبة للجزائريين وكذا عرف قدر التأثير الذي يمكن أن تؤديه عليهم ،فعرف من خلال هذا نقطة الضعف التي يجب أن ينطلق منها ليتمكن من التحكم في هذا الشعب فكانت بداية عمله هي التقرب إلى أصحاب هذه الطرق واستغلالهم بعد أن أدرك نفسيتهم و قهرهم عسكريا فاستمالهم إليه مغذيا فيهم روح التفسخ الديني والانحلال الخلقي [1]، وأغرقهم بالأموال ليجعل منهم مرصدا لبث الفكر التخديري والمعتقدات الفاسدة التي تزيد من قابلية الشعب الجزائري للاستعمار فجعلهم كأداة لتخدير الجزائريين عن الكفاح ونشر التواكل والكسل بينهم، وتثبيط همتهم في الاستعداد للكفاح من اجل الاستقلال وطرد المحتل ونشر فكرة أن تواجد الاستعمار في الجزائر هي من باب القضاء والقدر الذي ينبغي التسليم به والصبر عليه [2] وقد ارجع المؤرخون هذا التقارب بين الاستعمار والطرقيين إلى أسباب عدة منها:" حاجة فرنسا إلى دعمها في الصحراء، وحاجتها إليها في الوقوف ضد سياسة الجامعة الإسلامية التي تسعى إلى تحقيق الوحدة الإسلامية بين الدول الإسلامية وكذا الدولة العثمانية والسيطرة بها على عامة الجزائريين وكسر شوكة العداء الذي تكنه الطرق الصوفية للتسلط الفرنسي المسيحي" [3].

1- الخطيب. مرجع سابق. ص .60.

2- تركي. مرجع سابق. 2001م.ص. 124

3- أبو القاسم سعد الله . **تاريخ الجزائر الثقافي، 1830-1954م**. الجزء الرابع. دار الغرب الإسلامي . ط1 . سنة 1998م . ص .320.

مثل رجال الطرق من خلال شعاراتهم التي كانوا يصدرونها وسيلة من وسائل تبليد الحس الديني وتخدير الشعور القومي فمثلا شعار" اعتقد ولا تنتقد " الذي كان شائعا هو دعوة صريحة إلى التخلي عن أعمال العقل وإلى كبح الإحساس على أن ينطلق متسائلا متوجها إلى العمل الايجابي ،وكذا شعار" سلم تسلم " فيه دعوة إلى التسليم الأعمى بما يقوله شيخ الطريقة دون نقاش حتى يضمن السلامة في الآخرة وقد تطور هذا إلى شعار سياسي إذ أصبح يستعمل في مجال الدعوة إلى التسليم بما يأمر به الحكام الاستعماريون تجنبا لسخطهم وعقوباتهم [1] ، ومن هذا فقد أصبح الطرقيون يشكلون قوة هائلة تقف في وجه التطور والتقدم وصارت كل محاولة إصلاحية أو سياسية تقوم في البلاد لتغيير أوضاعها تلقى مقاومة عنيفة منهم خوفا على مصالحهم أن تنهار عندما يستفيق الشعب من الغيبوبة الفكرية والروحية التي نشروها في أوساطه باسم الدين.

لقد استغل الاستعمار الفرنسي كل الأعمال التي كانت تقوم بها هذه الطرق لتحقيق أهدافه في تشويه صورة الإسلام في أنظار المواطنين وخاصة منهم الشباب المتخرجين من المدارس الفرنسية الذين فروا من الدين الإسلامي إلى فكرة الإلحاد من جراء ذلك، ومن اجل أن يحافظ على هذه الفائدة عمل على ترويج أفكار الطرق و ترسيخ مفاهيمها في نفوس الناس وتعزيز مهابة رجالها عن طريق تزويدهم بالأموال لإقامة حفلاتهم وزرداتهم وولائمهم الكبيرة، وكذا شجع على إتباع الخرافات والبدع التي كانت تنشرها من زيارة الأولياء وبناء الأضرحة الفخمة تعظيما للأولياء والصالحين، كما سمح لأصحاب الخرافات والشعوذة بالقيام بأعمالهم من خلال السماح لهم بفتح المراكز الخاصة بذلك.

كما كانت له وجهة أخرى من الاستغلال تمثلت في تصوير الطقوس الخرافية التي كان يقوم بها رجال الطرق وترويجها على أنها من الإسلام فقد " كان رجال الإعلام الفرنسي يصورون حلقات الذكر التي يقيمها أصحاب الطرق على أنها شعائر الإسلام وان هؤلاء المشايخ – الواصلين إلى الله – هم رجال الإسلام وحماته ، على الرغم من أن بعض مشايخ الزوايا كان يترنح من شدة السكر في شوارع العاصمة "[2] .

1-مبارك بن محمد الميلي . **رسالة الشرك ومظاهره** . دار الغرب الإسلامي . ط 5 . سنة 1421–2000م. ص. 21

2- الخطيب. مرجع سابق. ص. 60

وهكذا تحول الإسلام في الجزائر بفعل الطرقيين إلى صورة باهتة من التعاليم والهدايات تخدر شعبا بكامله وتسلمه لنوم عميق لا يعود يحس معه بآلامه ومشاكله وبتعسف الاستعمار في حقه وصار الشعب رغم إسلامه الوراثي الشكلي يدين بالوثنية التي ينصبها في الزوايا لالتماس البركات ولاقتناء الحرز ذات الخوارق والمعجزات.

المبحث الثالث: الأوضاع الثقافية للمجتمع الجزائري قبل ظهور حركة الصلاح الديني

أولا : حالة التعليم في الجزائر.

كانت الجزائر قبل الاحتلال تعج بالمساجد والزوايا والكتاتيب والمدارس التي كانت تمثل مراكز تعليم لكل أبناء الجزائر كبارا وصغارا وفي كل المستويات التعليمية الابتدائية والثانوية ،ولم تكن الجزائر من خلالها تعرف الأمية نظرا لما تقدمه من معارف في مختلف العلوم الدينية والعربية، وقد قدرت نسبة التعليم لدى الأولاد عام 1830م حسب إحصاء بعض المسؤولين الفرنسيين ب20% من مجموع الأولاد الجزائريين وهي نسبة عالية إذا ما قيست بالمجتمعات المتقدمة في ذلك الوقت [1]ويمكن أن نستشهد على هذه الحالة التي كان عليها التعليم في الجزائر قبل الاحتلال بقول احد أعضاء مجلس الشيوخ الفرنسي وهو اوجين كامب الذي يقول "مما لا شك فيه هو أن التعليم في الجزائر كان قبل الاحتلال الافرنسي سنة 1830م أكثر انتشارا وأحسن حالا مما وصل إليه الآن بعد قرن وربع من الاستعمار الأمر الذي لم يرضي السلطات الافرنسية في الجزائر ، فقد كان هناك أكثرمن ألفي مدرسة للتعليم الابتدائي والثانوي والعالي وكان يتولى التدريس فيها نخبة من الأساتذة الأكفاء ، كما أن الطلاب كانوا من الشباب الناهض المتعطش إلى العلم فضلا عن مئات المساجد التي كانت تعني بتلقين اللغة العربية لطالبيها " [2]

بهذه الميزات جعل الاستعمار القضاء على التعليم في الجزائر من إحدى أهدافه الأساسية التي بها يتمكن من مسخ هوية الشعب الجزائري والقضاء على أصول الدين فيه، ومن خلال علمه ما تلعبه اللغة في حفظ كيان الأقوام جاء مخططه لتدمير اللغة العربية التي تمثل الأساس الأول في الدين الإسلامي ولأجل تحقيق مخططه هذا شن حربا وحشية على اللغة العربية من اجل إعاقة انتشارها وازدهارها من خلال إعاقة التعليم وغلق كل

1- المرجع نفسه .ص. 62

2- العسلي. مرجع سابق. ص. 48

الطرق المؤدية إليه بتطبيقه لسياسة التجهيل التي تعد من اخطر السياسات في تاريخ الجزائر،حيث خلفت نتائج وخيمة على مستقبل هذا الشعب.

لقد كانت وجهته الأولى لتطبيق أهدافه في هذا المجال هي استيلائه على الأوقاف الإسلامية التي كانت تمثل المورد الأساسي الممول للمدارس التعليمية والمتعلمين في الجزائر، كما قامت بإصدار قرارات وقوانين تقضي بغلق المدارس الخاصة بتعليم اللغة العربية والكتاتيب وقصرت التعليم على المساجد التي كانت قد دمرت أكثرها وحددت التعليم فيها على تحفيظ القرآن دون غيره [1]ومن هذه القوانين قانون24-كانون الأول – ديسمبر-1904م الذي ينص على "عدم السماح لأي معلم مسلم أن يتولى إدارة مكتب لتعليم اللغة العربية بدون رخصة يمنحه إياها عامل الولاية أو قائد الفيلق العسكري ويعد فتح مكتب بدون رخصة اعتداء على حدود القوانين الخاصة بالأهالي " [2] ، مع العلم أن هذه الرخصة التي أوجبتها الإدارة الفرنسية كانت قائمة على شروط صعبة جدا حيث اتبعت فيها سياسة المراقبة الشديدة والصارمة عليها وعلى رجالها وعلى مواد التدريس وتتمثل هذه الشروط فيما يلي :

1- اقتصار التعليم على تحفيظ القران .
2- عدم التعرض بأي وجه كان إلى تفسير الآيات القرآنية وخاصة تلك التي تحض على الجهاد في سبيل الله وتدعوا إلى محاربة الظلم والاستبداد.
3- استبعاد تدريس تاريخ الجزائر وتاريخ العرب المسلمين وجغرافية الجزائر والبلاد العربية.
4- استبعاد الأدب العربي بجميع علومه والامتناع عن تعليم المواد العلمية الرياضية.

كما اشترطت على حامل الرخصة التعليمية أن يلتزم بكل أوامرها وقوانينها مهما كان نوعها ومن هذه الأوامر التي أوجبتها عليه أن يبث روح السخط والاشمئزاز بين الناشئة من الثقافة العربية والإسلامية وان يخلص للسلطة الاستعمارية [3]وهذا بهدف تنمية روح الاحتقار والاستحياء من الأصل وتعظيم للثقافة الفرنسية وتاريخها ودينها حتى

---

[1] – المدني. مرجع سابق. ص. 95

[2] – العسيلي. مرجع سابق. ص. 50

[3] – العسيلي. مرجع سابق.ص . 51

يسهل التحكم فيهم ومسخ هويتهم وشخصياتهم بسهولة ، كما ينص القانون على انّه لا يجوز لمكاتب تعليم العربية أن تفتح أبوابها للأولاد الذين هم في سن التعليم أثناء ساعات التعليم في المكتب الفرنسي. وذلك في القرى التي تبعد ثلاث كيلومترات عن المدرسة الافرنسية (1)

لقد صدر هذا الجزء الأخير من القانون بعد ما وجدت السلطات الفرنسية العزوف من طرف الطلبة الجزائريين عن التعلم في المدارس الفرنسية فرأت أن فتح المساجد لتعليم القرآن تعتبر منافسة لمدارسها ، لذلك فقد قررت غلق كل الأبواب التي ترى أنها يمكن أن تكون عائقا في تنفيذ مخططها من أي وجه من الوجوه .

وبسبب هذه السياسة الاستعمارية التي سعت من خلالها لتدمير العروبة تسببت في خلق أجواء الجهل المحتم في المجتمع الجزائري بما أحدثته من اضطراب كبير في هذا المجال الذي جعل التعليم صعب ومعسر على المتعلمين والمعلمين وفي هذا قال احد الافرنسيين–بولار– "لقد احدث وجود الافرنسيين اضطرابا بالغا بين هؤلاء المفكرين الأدباء،واضطر معظم العلماء والفقهاء إلى ترك وظائفهم التي كانوا يشغلونها، كما تشتت شمل التلاميذ الذين اضطروا إلى السعي وراء العلم في السر بعد أن كانوا يتلقونه علانية وفي حرية تامة " (2)

وتجدر بنا الإشارة هنا إلى أن الحكومة الفرنسية قامت بفتح مدارس لتعليم اللغة الفرنسية وذلك منذ سنة 1883م والتي اعتبرتها كبديل عن المدارس العربية التي أغلقت معظمها وبالرغم من أنها تقتصر على تعليم اللغة الفرنسية فقط إلا أن حظ الجزائريين فيها كان قليلا جدا بالمقارنة مع المقاعد التي حظي بها أبناء المعمرين فالمداس الابتدائية الفرنسية في قطر الجزائر تأوي سائر أبناء الأوربيين واليهود على الإطلاق،أي نحو 150الف تلميذ سنة 1955م ولا يجد فيها من الجزائريين إلا نحو200 ألف مقعدا (3)

إن تعليم الجزائريين في هذه المدارس الفرنسية لم يكن من اجل رفع مستواه الثقافي ولا من اجل مسايرة النهضة العالمية التي تسعى إلى القضاء على الأمية في كافة أنحاء

---

[1]– المرجع نفسه. ص.51

[2]–العسلي . مرجع سابق. ص 49

[3] – المدني. مرجع سابق. ص. 97

العالم بل إن هدفها الوحيد هو صهر الجزائريين في البوتقة الفرنسية وتبديل أحوالهم الشخصية ويظهر هذا واضحا من خلال الجملة التي أعلنها احد القسس في قوله " ليس الهدف من فتح المدارس الافرنسية في شمال إفريقيا هو أن نكون عقولا مثل عقل (فولتير) أو(مونتيسكيوا)أو (جان جاك روسو) إن الهدف ببساطة هو أن نبدل لغة بلغة ، ودينا بدين، وعادات بعادات" [1] ، قد تكون هذه الجملة كافية لتحديد مبادئ وأهداف التربية الاستعمارية وأسس التعليم في ظل الاستعمار وتظهر هذه النية كذلك من خلال قول احد المسؤولين عن التعليم في الجزائر منذ سنة 1908م: "ليس من الكرم والجود في شيء أن ترغب الجامعة في نشر العلم في القبائل بل دعونا نقولها صريحة ونطلقها داوية: أن ذلك في صالح فرنسا وحدها وهو ما نضعه دائما نصب أعيننا وقد أضفى على تعليمنا طابعا خاصا. كما أضفى في الوقت نفسه على برامجنا طابعها الراهن . وانه من الأهمية بمكان أن نبث في أذهان الأهالي فكرة رفيعة ونقية عن وطننا، وذلك بتلقين تلاميذنا دروسا عن عظمة فرنسا وجيشها وثروتها تتناسب وأعمارهم كما تتفق ودرجة ثقافتهم "[2]

ورغم كل الإجراءات التي قامت بها فرنسا من اجل القضاء على اللغة العربية إلا أن الشعب الجزائري بقي متمسكا بلغته تمسكا قويا متخذا أصعب الطرق من اجل تعلمها وتعلم القرآن الكريم معتمدا في ذلك في غالب الأمر على طريقة اللوحة والمداد التي وبالرغم من بساطتها وبدائيتها إلا أنها لعبت دورا مهما جدا في حفظ كيان الشعب الجزائري وشخصيته العربية المسلمة ، كما ظهرت أهمية هذه الطريقة في وقوفها في وجه التعليم الفرنسي المسيحي الذي كانت تضطلع به مدارس الإرساليات التبشيرية.

ثانيا : الصحافة في الجزائر

لم تعرف الجزائر الصحافة إلا مع الاحتلال الفرنسي وذلك من خلال الصحائف الفرنسية الكولونيالية.

التي كانت تصدر في الجزائر متبعة في إصدارها نفس النمط المتبع في فرنسا والتي كانت تابعة في سياستها العامة للصحافة الفرنسية بأحزابها ومواقفها المختلفة والشيء

---

[1] – العسيلي. مرجع سابق. ص. 47

2– المرجع نفسه .ص. 35

المميز فيها هو اهتمامها الزائد بمصالح الكولون وإهمالها لمصالح الجزائريين [1]ومن ثم فلم تكن تهم الجزائريين في شيء فهي أجنبية عنه في لغتها وتحريرها واتجاهها العام ولقد صدرت أول جريدة باللغتين العربية والفرنسية في عام 1848م وهي **جريدة المبشر** التي كانت تتولى نشر النصوص التشريعية والأوامر والبيانات الحكومية وكانت تسعى إلى القضاء على رجال المقاومة الجزائرية الباسلة ضد الاحتلال الفرنسي ومن الصحائف التي صدرت من هذا النوع أيضا سنة 1903صحيفة **فيكتور باروكان** صاحب جريدة **الأخبار** التي أضاف إليها ملحقا باللغة العربية،ثم اصدر **البير فونتانة** جريدة **المغرب** باللغة العربية في نفس العام [2].

لم يكن للجزائريين أي دور في مجال الصحافة إلا في أواخر القرن التاسع عشر أين قام سليمان سمر بإصدار أول جريدة باللغتين الفرنسية والعربية وهي جريدة **الحق** التي صدرت في تاريخ 30- 07- 1893م.أما عن الجرائد الوطنية فلم تظهر في الجزائر إلا ابتدءا من عام 1908م وذلك عندما اصدر الفنان عمر راسم جريدة **الجزائر** بتاريخ 27-10- 1908م . ولم يكن عمر هذه الصحيفة طويلا، إذ تعرضت للمنع بعدما صدر منها عددين فقط.[3] .

. بعد هذه الخطوة الأولى التي قام بها عمر راسم بإصداره لأول صحيفة وطنية باللغة العربية توالت من بعده جرائد أخرى من هذا النوع، فصدرت جريدة **الفاروق** بتاريخ 28-2-1913م والتي كانت برئاسة الشيخ عمر بن قدور الذي يعتبر من أتباع مدرسة الإصلاح الإسلامي المتأثر بالشيخ محمد عبده ومجلة المنار للسيد رشيد رضا فأراد أن يقلده في مكافحة البدع والخرافات وكان شعار صحيفته هو بيت الشعر التالي :

قلمـــــــــــــي لســـــــــــاني ثلاثة بفـــــــــــؤادي دينـــــي ووجـــــــداني وحب بـــــلادي

وبتاريخ 5-10-1913م اصدر عمر راسم صحيفة " **ذو الفقار**" التي كانت تتضمن أفكارا مستقاة من المدرسة الإصلاحية لمحمد عبده والسيد جمال الدين الأفغاني،ولم يكتب

1- الخطيب. مرجع سابق. ص.71.

2- تركي. مرجع سابق (2001). ص.137.

3- الخطيب. مرجع سابق. ص .ص.71 .73

لهذه الصحيفة الدوام إذ مع إعلان الحرب العالمية الأولى أوقفت الجريدة وألقي القبض على الأستاذ عمر راسم بتهمة الاتصال بالعدو وحكمت عليه بالسجن مع الأشغال الشاقة[1].

كان بالإمكان للصحافة الجزائرية أن تمثل منطلق نهضة علمية وقومية واسعة لولا العوائق التي وضعتها السلطات الفرنسية في وجهها والتي كانت في إطار قانون الاندجينا الجائر الذي أصدرته وحرمت به الجزائريين من حرية التعبير وفي هذا المقام يصف الزعيم المصري محمد فريد حالة الكبت التي كان يعيشها الجزائريين اثنا قيامه بزيارة الجزائر في عام1901م فيقول: " كما لا يجوز لهم (للجزائريين) تأسيس مطبعة أو جريدة فلا يوجد في جميع إقليم الجزائر إلا جريدة "المبشر" وهي جريدة رسمية تنشر الأوامر وبعض الفصول في بيان فضل فرنسا على العرب ، والحض على التعامل بالولاء لها ، وقد منعت عنهم الجرائد العربية "[2]

كان للحرب العالمية الأولى فوائد كثيرة على الصحافة الجزائرية إذ تغيرت معها الأحوال بناءا على ما أفرزته من تطورات فكرية وكذا دعوة إلى الحرية ومنها حرية الصحافة التي مكنت الجزائريين من إصدار عدد مشهود من الجرائد اظهروا فيها بكل حرية آراءهم ورغباتهم ومن هذه الجرائد التي أصدرت في هذا الشأن :

جريدة الإقدام: التي أصدرها الأمير خالد حفيد الأمير عبد القادر والتي كانت باللسانيين العربية والفرنسية وكانت أول جريدة عربية تكلمت بلهجة حارة وعبرت عن عواطف الجزائريين بدون وجل ولا اكتراث.ولقد توقفت هذه الجريدة عن الصدور بعد نفي الأمير خالد عام 1925م وفي نفس العام(1919) صدرت جريدة **النجاح** في مدينة قسنطينة بإشراف صاحبها عبد الحفيظ بن الهاشمي وقد اشترك فيها الإمام عبد الحميد بن باديس للكتابة فيها ثم انفصل عنها ، وفي عام 1924م أعاد السيد عمر بن قدور إصدار جريدته **الفاروق** بعد ما منعت من طرف السلطات الفرنسية أثناء الحرب العالمية الأولى كما صدرت جريدة لسان الدين والمنتقد وغيرها من الجرائد التي كان للوالي جونار الفضل الأول في تمكن الجزائريين من إصدارها وذلك لما يتميز به من سماحة وموضوعية مع الجزائريين وكان هذا الفضل سيدوم لولا تدخل المستوطنين بإبعاده من الحكم بتهمة

1-تركي. مرجع سابق .2001.ص 140

2-الخطيب. مرجع سابق . ص. 76

مساعدة الجزائريين، لتعود حالة الصحافة الجزائرية من جديد إلى الحالة التي كانت عليها بداية حيث أوقفت معظم الصحف الصادرة [1].

يعود التساهل من جديد مع الصحافة الوطنية عام 1925 مع تعيين " فيوليت" واليا عاما للجزائر ،حيث أعاد تنظيم مديرية الشؤون الأهلية وشجع بصورة غير مباشرة على إنشاء جرائد أهلية من غير تمييز ، فصدرت من خلال سياسته هذه ما بين عام 1925-1927 م العديد من الجرائد الوطنية باللغة العربية:مثل جريدة الجزائر، والشهاب ،وصدى الصحراء ،والحق والإصلاح ،ووادي ميزاب وغيرها من الجرائد [2]

لم تتحمل الصحافة الكولونيالية هذه السياسة فكان مصير الوالي كمصير الأول وهو إبعاده لتعود حالة الصحافة الجزائرية إلى حالتها الأولى من جديد.

والملاحظ هنا انه رغم كل العوارض التي كانت تقف في وجه الصحافة الوطنية إلا أنها كانت في تحدٍ دائم مع الأوضاع ،فقد كانت تستغل كل فرصة لإصدار جرائدها التي كانت تتضمن في الغالب على المعارضة للسياسة الفرنسية في الجزائر وكذا نداءات مطالبة بحقوق الجزائريين ، كما تميزت بعض الصحف التي كانت تصدر في تلك الفترة بطابعها الإصلاحي الذي وان دل على شيء فإنما يدل على اليقظة التي لحقت المواطنين الجزائريين نتيجة للتأثر بالنهضة الإصلاحية في المشرق العربي والتي كانت تصل إلى الجزائر عن طريق الصحف والمجلات التي كانت تصدرها تلك المدرسة الإصلاحية خاصة منها مجلة العروة الوثقى وجريدة المنار التي كان لها دور مهم جدا في يقظة الشعب الجزائري من سباته ودفعه للبحث عن خلاصه من قيد الاستدمار. ولعل هذا ما جعل فرنسا حريصة على إيقاف هذه الجرائد التي جعلت الصحافة تعيش في نضال دائم ومستمر من اجل البقاء وتحقيق الأهداف وكانت كلما سقطت صحيفة في ميدان الكفاح إلا وقامت أخرى مكانها لمواصلة النضال.

ومما يتبين من خلال الاطلاع على وضع الصحافة في الجزائر هو أن خطوات التقدم فيها كانت بطيئة جدا على الرغم من التسهيلات التي قدمها كل من جونار وفولتير للجزائريين في إصدار الصحف الأهلية وذلك لاصطدامها بتعنت المستوطنين وكذا سيطرة

1- تركي. مرجع سابق. 2001م.ص، ص . 140، 141.

2-الخطيب. مرجع سابق. ص، ص. 76، 77.

الاستعمار وإعاقاته التي جعلت الصحافة الجزائرية تبقى على حالة الظهور والغياب إلى يوم الاستقلال.

المبحث الرابع: الأوضاع الاجتماعية للمجتمع الجزائري قبل ظهور حركة الإصلاح الديني.

لقد كان المجتمع الجزائري قبل ظهور الاستعمار متميزا بطبيعته العشائرية والقبلية ذات الصفة العربية المميزة، متكون من طبقتين متمايزتين عن بعضهما : طبقة عليا تتكون من الارستقراطية السياسية أي الحكام ورؤساء العشائر والارستقراطية الدينية أي الأشراف من المرابطين ورؤساء الطرق، وإقطاعي الأراضي وكبار التجار والطبقة الدنيا وهي المتمثلة في غالبية الشعب الذين كانت حياتهم مركزة في أساسها على الفلاحة والرعي فتميزت حياتهم من خلالها بالبساطة ، وضمن هاتين الطبقتين كانت هناك فئة ضئيلة مثلها المتعلمين والقضاة وصغار التجار [1].

كل هذه الفئات المختلفة والطبقات التي كان المجتمع الجزائري يتكون منها اختفت بظهور الاستعمار الذي قضى عليها دون استثناء ودون أن يراعي فيها ذلك التمايز ، فساد الاستعباد كل الأفراد وانهارت الارستقراطية السياسية والدينية التي كانت تمثل يد القوة في هذا الشعب فلم يستطع المجتمع بسقوطها أن يعيد تركيبته للصمود أمام هذه الهجمة الأخيرة ، فافتقد قيادته التقليدية وضاع وارتمى في أحضان البؤس والفقر .

ومنذ البداية أدرك هذا الاستعمار انه لا يمكن أن يحقق أهدافه في هذا البلد إلا بالقضاء على المجتمع والقضاء عليه يكون بتفكيك شبكة العلاقات الاجتماعية التي توحده وتجمع بين أفراده، لذلك فقد كانت له دراسات مكثفة حول هذا المجتمع وعاداته وتقاليده ، فلم يدخل الاستعمار إلى الجزائر حتى عرف كل ما تتميز به وما يتميز به أفرادها وما هي نقاط القوة وما هي نقاط الضعف فيه، ولما أدرك أن الإسلام هو كل القوة كانت وجهته إليه للقضاء عليه وعلى كل ما يتعلق به فاتبع لذلك عدة وسائل تعسفية وقمعية ليمزق بها شبكة العلاقات الاجتماعية المتينة التي قامت بالإسلام، وبالإضافة إلى الوسائل التي ذكرناها سابقا فهناك وسائل أخرى اتبعها ليجعل الشعب من خلالها إما متعلق به مباشرة ليتحكم فيه كيفما شاء ، وإما أن يتخلص منه بصفة نهائية ومن هذه الوسائل:

1- الخطيب. مرجع سابق. ص.80

حرمان الشعب من وسائل الحياة، الغذاء والماء من خلال تطبيقه لمخططه الإجرامي المتمثل في إحراق الغابات والمزارع والحقول والبساتين وتدمير القرى والمدن وردم العيون والآبار [1]

طرد أصحاب الأملاك من أملاكهم وإلجائهم بالقوة مشردين إلى المناطق النائية الجبلية والصحراوية وتوزيعها على المعمرين الأوربيين الذين جلبتهم فرنسا معها من مختلف البلاد الأوربية بأعداد غفيرة من اجل توطيد عملية الاحتلال ضد مقاومة الشعب الجزائري ،ومن الممتلكات العامة التي استولت عليها أيضا أراضي الأوقاف التي كانت تمثل دورا هاما في توفير التعليم والرعاية الاجتماعية لمختلف فئات المجتمع الجزائري وباستيلاء الاستعمار على هذا المورد الأساسي جعل الوضعية الاجتماعية للفئة التي كانت تعتمد عليه تتدهور، وفي هذا الشأن فقد اصدر الجنرال بيجو في 14 ماي 1840م تصريحا مشهورا قال فيه "حيثما وجدت مياه غزيرة وأراضي خصبه يجب أن يقيم المستعمرون الأوربيون بدون الاهتمام بالسؤال عمن يملك تلك الأرض "[2]

كانت هذه السياسات الإجرامية سببا مباشر في ظهور المجاعات المختلفة و المتتالية على هذا المجتمع والتي كانت هي الأخرى سببا في انتشار الأوبئة الفتاكة كالكوليرا والتيفيس وأمراض أخرى خطيرة مثل السل والسرطان بالإضافة إلى الإمراض التناسلية الخطيرة المختلفة التي لم يعرفها المجتمع من قبل إلا بمجيء الاستعمار الذي استصحبها معه بما استصحب من سجناء ولقطاء ومرتزقة، ورغم كل ما أصاب الجزائريين من جراء هذه الأمراض إلا أن السلطات الفرنسية لم تتخذ أي إجراء للحد من انتشارها أو القضاء عليها عن طريق بناء المستشفيات وزيادة عدد الأطباء بل استغلت هذا الوضع المزري الذي بلغه الشعب الجزائري لتشرع في تطبيق خطتها الثانية المتعلقة بتنصير الجزائريين وصهرهم في بوتقة النصرانية[3] هذا بالإضافة إلى مجموع العمليات الإجرامية غير المحدودة التي كان يقوم بها الجنود العسكريين وحتى منهم المستوطنين الذين أعطي لهم الحق في التعامل مع الجزائريين بأي طريقة كانت ،فكانت الجزائر من خلال أعمالهم

1- العسلي . مرجع سابق.ص.83

2- تركي. مرجع سابق .2001م. ص .241

3- العسلي. مرجع سابق. ص. 37

مسرحا لمجموع مجرمين لم تعرف قلوبهم الرحمة من أي طريق .

إضافة إلى هذه الاجراءات فقد اتبعت فرنسا وسائل أخرى تتمثل في إشاعة المحرمات وتعميم الفواحش وتشجيع المنكرات ، ويدخل في هذا أيضا تشجيع السرقة والإجرام من اجل قتل الروح المعنوية لدى الشباب المسلم ونشر الفساد والفوضى في أوساط الجزائريين حتى تضمحل القيم الفاضلة وينصرفوا عن قضاياهم الأساسية إلى الأمور التافهة المهينة وجندت لتطبيق كل هذا ضعاف الأنفس والإيمان من الأئمة ورجال الإفتاء والطرق الصوفية من الذين استحوذت عليهم شهوة الدنيا واشترى الاستعمار عقولهم بالمال والألقاب ليقوموا بنشر الخرافات والبدع والأساطير الكاذبة ونسبتها إلى العلماء والمصلحين ليعملوا على تشويه الإسلام الصحيح[1] وفي هذا السياق كتب المفكر الألماني فريديرك انجلز سنة 1858عن جرائم الاستعمار الفرنسي في الجزائر فيقول:

من الوهلة الأولى لاحتلال الجزائر من طرف الفرنسيين وحتى الوقت الحالي فان هذا البلد الشقي كان طوال هذه الفترة مسرحا لأحداث دموية ونهب وعنف...إن هذه الحرب الشرسة التي قامت بها فرنسا هي ضد كل القيم الإنسانية والحضارية والمسيحية ، إن ما يمكن قوله عن الجزائر هو أنها مدرسة حربية للجنرالات والجنود الفرنسيين، فكل الضباط الذين تحصلوا على ميداليات في الحرب الإجرامية اجروا تدريباتهم العسكرية والتربوية بالجزائر "وفي الحقيقة أن مثل هذه الشهادة لم تصدر من انجلز إلا بعد أن تأكد فعلا من الجرائم التي ارتكبها الاستعمار الفرنسي في حق الجزائريين. [2] .

بكل هذه الإجراءات فقد الشعب الجزائري جل أملاكه وضاعت ثرواته المدخرة وبيعت أراضيه وعقاراته تحت الضغوط المختلفة وتراكمت عليه الديون بسبب الضرائب العقارية غير المدفوعة والفوائد الربوية التي كان الجزائريون يلجئون إلى أخذها من البنوك والمرابين اليهود وغيرهم [3] وانخفض عدد سكان الجزائر انخفاضا كبيرا بالمقارنة بما كان عليه قبل الاحتلال وظهرت زيادة كبيرة في عدد المستوطنين اليهود والأوربيين الذين كانوا يستغلون كل الفرص للاستيلاء على أملاك الجزائريين وزاد عدد المهاجرين الجزائريين الهاربين من حالة الفقر والجهل والتخلف التي وصل إليها المجتمع الجزائري

1- المرجع نفسه. ص. 70

2- فيلالي . مرجع سابق . ص18

3- فركوس. مرجع سابق. ص 207

بحثا عن حياة أفضل إما في الدول العربية المجاورة وإما إلى الدول الغربية وفرنسا خاصة .

الفصل الثالث: تاريخ الإصلاح الديني في الجزائر.

المبحث الأول: أصول الحركة الإصلاحية في الجزائر.

المبحث الثاني: ميلاد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

1-أهداف الحركة الإصلاحية في الجزائر .

2- مبادئ الحركة الإصلاحية في الجزائر .

2-1 - الإسلام دينا .

2-2- العربية لغنا .

2-3- الجزائر وطنا .

الفصل الثالث: تاريخ الإصلاح الديني في الجزائر.

ترتبط الحركات الإصلاحية عموما في ظهورها بحدوث الأزمات الاجتماعية العامة التي تغير المبادئ والقيم الأصيلة في المجتمع فتصيره إلى حالة من الاضطراب والفوضى، فتمثل الحركات الإصلاحية حينها عاملا للنهضة واليقظة فتسعى إلى التغيير الذي يستوجب بدايةً فهم الأزمة الاجتماعية ومعرفة أسبابها وكل الظروف المحيطة بها وكذا فهم الواقع الاجتماعي الذي هي بصدد التغيير فيه ، ذلك أن التغيير في أساسه يبدأ بنقد الواقع نقدا يقضي إلى الحكم عليه كليا أو جزئيا بالبطلان وينتهي بإلغائه وإحلال صورة أخرى محله فهو بذلك ينزل منزلة السبب بالنسبة لحركة التغيير القائمة ولا يمكن لأي حركة إصلاحية أن تقوم من دون هذا العامل الأخير الذي به تتمكن من تقديم البديل الذي به يمكن أن تنقذ المجتمع من الأزمة وتحقق أهدافها الإصلاحية التي تدور حول تحقيق الاطمئنان والرضا ، وإذا كانت الحركة الإصلاحية في الجزائر معلومة الأسباب وهي حالة السيطرة والجهل التي كان يعانيها الشعب الجزائري فان هذه الحالة تعد كأزمة اجتماعية متشعبة الفروع فقد كانت ذات تأثيرات اجتماعية وأخرى سياسية وكذلك دينية

وثقافية عرف من خلالها المصلحين الجزائريين إنهم أمام واقع صعب واجب تغييره، ولمعرفة الجهود الإصلاحية التي قامت بها الحركة الإصلاحية في الجزائر لتغيير الأوضاع لا بد لنا بداية أن نعرف أصول هذه الحركة الإصلاحية في الجزائر وماهي مبادئها وأهدافها ومن هو ممثلها الرئيسي ثم نعرف أعمال الحركة بالتفصيل في كل مجال

المبحث الأول:أصول الحركة الإصلاحية في الجزائر.

يرجع اغلب المؤرخين البداية الحقيقية لظهور حركة الإصلاح الديني في الجزائر إلى ما قبل الحرب العالمية الأولى وبالتحديد عند زيارة الشيخ محمد عبده للجزائر سنة 1903م [1] ونحن إذا أخذنا هذا التاريخ كبداية للحركة الإصلاحية في الجزائر فانا نجد أنها ظهرت في وقت متأخر جدا بالمقارنة مع تاريخ الحركات الإصلاحية القديم في المشرق العربي الإسلامي، ويرجع هذا التأخر أساسا إلى الظروف الخاصة التي كانت تعيشها الجزائر في ظل الاستعمار الفرنسي الذي منع عنها كل الموجات الثقافية والعلمية الحضارية لان تتسرب إليها قاصدا إبقائها على جهلها لتبقى دائما تحت سيطرته .

لقد خلفت زيارة محمد عبده إلى الجزائر أثرا كبيرا وبعدا معنويا هائلا خاصة بالنسبة لعلماء الدين والمثقفين الذين كانوا يشكلون حزب محمد عبده في الجزائر، ففضلا عن الجو الحماسي الذي أضفاه وجوده على الجزائريين بنصائحه التشجيعية سجلت دلالة الحدث التاريخية التي من خلالها أعيدت الصلة العاطفية والروحية بين الجزائر والكيان الواسع للأمة الإسلامية والفت العروة الهشة ومن ثم الضعيفة التي كانت تشكلها مجلة المنار نفسها معززة تعزيزا خاصا وحينئذ بدا وكأن فرصة جديدة قد لاحت للإسلام الجزائري [2] كما كان لهذه الزيارة الفضل الكبير في دفع حركة الإصلاح في الجزائر وكذا في إرجاع فعالية الإسلام فيها ، فكان من الآثار الطيبة التي خلفتها كبذور بدأت تنبت في أذهان بعض الجزائريين منذ سنة 1903 م أن ظهرت فئة مثقفة تدعوا إلى الإصلاح وفقا للأسس والمبادئ التي جاء بها محمد عبده وان كانت هذه الأذهان الواعية قليلة إلا

1- علي مرّاد. **الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر ، من 1925الى 1940م، بحث في التاريخ الديني ولاجتماعي** . ترجمة محمد يحياتن . دار الحكمة، الجزائر. سنة 2007. ص36

2- مراد . مرجع سابق . ص.36.

أنها استطاعت أن تستميل تعاطف الناس وانضمامهم إلى النزعة الجديدة ،وكان من أشهر أتباع محمد عبده في الجزائر كل من: عبد القادر المجاوي[1]،عبد الحليم بن سماية[2]وحمدان بن الونيسي[3] ومولود بن موهوب[4] وغيرهم من الذين كانوا يمثلون في اغلبهم صف المحافظين المتميزين بالتأييد والمتحمسين للوطنية والجامعة الإسلامية ولأفكار التجديد والإصلاح الديني التي جاءت بها الحركة الإسلامية.

لقد مثل هؤلاء العلماء الذين تحمسوا لأفكار الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا النخبة الرائدة لحركة التجديد الإسلامي في الجزائر التي أخذت على عاتقها مهمة تغيير المجتمع الجزائري والنهوض به ومحاولة تحريره من القيود المادية والمعنوية التي كانت تكبله وتعوقه عن الحركة والتطور [5]،وقد مثلوا بجهودهم اللبنة الأولى للنهضة الإصلاحية في الجزائر التي قامت على إصلاح العقيدة الدينية ودعوة الشعب إلى المحافظة على مقومات شخصيته وتوجيه أنظاره إلى الأخذ بأسباب العلم والمعرفة.

لكن وبالرغم من كل الجهود التي بذلها هؤلاء إلا أنهم لم يتمكنوا من خلق حركة تجديدية منظمة قادرة على انتشال المجتمع الجزائري من أزمته على الرغم من كفاءة

1- **عبد القادر المجاوي** (1848_ 1913م) من رجال الإصلاح الديني في الجزائر الذين قاوموا البدع والضلالات وقد عاش للعلم والتعليم فتخرج على يديه عدد هام من العلماء الجزائريين كان من بينهم الشيخ " حمدان الونيسي " الأستاذ الأول للشيخ عبد الحميد بن باديس . وقد خلق الشيخ المجاوي طائفة من المؤلفات يبلغ عددها ثلاثة عشر كتابا تدور موضوعاتها حول اللغة العربية وعلومها . (رابح تركي . **الشيخ عبد الحميد بن باديس ،رائد الإصلاح الإسلامي والتربية** . 2001م . ص132)

2- **عبد الحليم بن سماية** (1866- 1933م) من العلماء الذين نشروا الفكرة السلفية في الجزائر . كان يدرس رسالة التوحيد للإمام محمد عبده في المدرسة الثعالبي ، وقد كان من المعجبين به وبطريقته في الإصلاح (تركي . المرجع نفسه . 2001م . ص 194)

3- **حمدان بن الونيسي** . من تلاميذ الشيخ عبد القادر المجاوي الذي نزل بقسنطينة عام 1868م وارتحل عنها إلى المدرسة الثعالبية عام 1896م ، وقد بني النهضة وترك تلاميذ في كامل الوطن ، أعظمهم قدرا هو حمدان لونيسي .(زبير رحال ، **عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية والفكرية** ، دار الهدى . الجزائر.ص11)

4- **مولود بن الموهوب**. وهو من تلامذة عبد القادر المجاوي ، كان مفتيا لسكان قسنطينة له سلطة عالية في شؤون الدين والقضايا الشرعية والاجتماعية وكان في نفس الوقت أستاذ فلسفة والعلوم الدينية والأدب العربي في المدرسة ---- -الجزائرية الفرنسية بقسنطينة ، وهو رائد من رواد الحركة الإصلاحية في الجزائر حارب ضد الجهل والإجحاف. (سامية جفال .**منهجية التغيير عند عبد الحميد بن باديس** . رسالة ماجستير في الدعوة والإعلام .2001. ص 17)

5- محمد زرمان . مرجع سابق . ص 25

علمائها وصدق نياتهم وشجاعتهم وجهادهم ، ولعل من أهم أسباب إخفاقهم هو شدة بطش الاستعمار الفرنسي الذي كان يخشى من هذه الحركة أن تحدث ما يغير الشعب الجزائري ويخلق فيهم قوة تجعلهم يخسرون في مسعاهم، فكاد لهم بالمرصاد وكان يتتبع كل خطوة يخطوها هؤلاء المصلحين ليقوموا بإعاقتهم ومنعهم من النجاح ، ولا ينفي هذا تمكن هذه الحركة الإصلاحية التي تمثلت في جهود فردية من خلق جو من الوعي والاستعداد لدى الشعب الجزائري الذي جعلهم فيما بعد يستقبلون مشروع جمعية العلماء بكل رحابة صدر فاعتبرت هذه المحاولات الإصلاحية كخطوة مشجعة للجيل اللاحق في أن يكملوا المسير في هذا الطريق، كما اعتبرت كإحدى العوامل المساعدة لظهور الحركة الإصلاحية في الجزائر ضمن عوامل أخرى .

لقد كانت الهجرة من إحدى الطرق التي اتخذها العلماء الجزائريين لتحقيق طموحاتهم في التعرف على الثقافة الإسلامية والحركة العلمية ومسارها لتهيئ الأجواء المناسبة للقيام بالحركة الإصلاحية في الجزائر – بالإضافة إلى اعتبار أن هذه الهجرة كانت اتقاءً لسياسة التجنيد الإجباري التي سنتها السلطات الفرنسية على الجزائريين – والتي بها استطاع الجزائريون أن يحتكوا بصفة مباشرة بأعضاء الحركة الإصلاحية في المشرق العربي ويتأثروا بأفكارها وتصوراتها ويقتنعوا بجدارتها من خلال رؤيتهم " لما آلت إليه الدعوة الوهابية من الغلبة والشيوع وما أحدثه السيد جمال الدين الأفغاني بتلك المبادئ الأساسية للتغيير السياسي في العالم الإسلامي وما خلفه تلميذه محمد عبده من آثار اجتماعية كانت اكبر عون على نهضة المسلمين لتمسكه بفلسفته نحو التربية وأثرها في نهضة المسلمين "[1] .

والحق أن العلماء الجزائريين لم ينكروا هذه العلاقة التي كانت بين حركة الإصلاح الجزائرية والجامعة الإسلامية وتأثيرها الشديد فيهم، فقد اعترف ابن باديس* نفسه بها وخص بالمدح زعيمين منها ، محمد عبده ورشيد رضا اللذان كان لهما تأثيرا كبيرا في الحركة الإصلاحية الجزائرية من خلال جريدتيهما مجلة العروة الوثقى التي كانت بإشراف الأفغاني ومحمد عبده ومن بعدها جريدة المنار التي لعبت دورا مهما في نشر مذهب محمد عبده في الإصلاح الديني والاجتماعي حيث كان لها قراء دائمون في

1–سامية جفال .مرجع سابق . ص. 19

الجزائر يترقبون وصولها بشغف كبير لأنها كانت تمثل بالنسبة لهم المدد الفكري والروحي الوحيد الذي يربطهم بإخوانهم المسلمين في المشرق [1]. قال ابن باديس " إن السيد رشيد رضا بما نشر من تفسير للقران الكريم على صفحات المنار وما كتب في المنار وفي غير المنار هو الذي جلّ الإسلام بصفاته الحقيقية للمسلمين وهو الذي لفت المسلمين إلى هداية القران الكريم وهو الذي دحض خصوم الإسلام من المنتمين إليه ومن غيره وهتك أستارهم حتى صاروا لا يحرك احد منهم أو من أشباههم يده إلا اخذ بجنايته، فهذه الحركة الدينية الإسلامية الكبرى اليوم في العالم إصلاحا وهداية بنيانا ودفاعا كلها من آثاره رحمه الله وجزاه أفضل ما يجزي به العاملين" [2]، ونفس الرأي عبر عنه البشير الإبراهيمي* الذي كان قد تقابل شخصيا مع رضا في سوريا في طريق دعوته إلى الجزائر بعد الحرب لعالمية الأولى فقال:"إن جمعية العلماء المسلمين مدينة بالكثير لرضا ولمجلة المنار وأكد أيضا أن الجمعية لها جذور عميقة في مبادئ وأعمال رضا "[3] ،هذا بالإضافة إلى شهادة الكتاب الفرنسيين الذين يكادون يجمعون على "أن الفكرة الإصلاحية لدى العلماء الجزائريين لها علاقة بالحركة الوهابية والجامعة الإسلامية في الشرق الأدنى " [4]

ساهم هؤلاء المصلحين في إضفاء بعض التغييرات الذهنية على العقلية الجزائرية وزرعت فيهم يقظة جعلتهم ينتبهون إلى ضرورة تغيير أحوال الجزائر مدركين في ذلك أن مسعاهم لن يتحقق إلا إذا تغيرت الأسباب التي جعلت الجزائر تعيش تلك الحالة

1- زرمان.مرجع سابق. 1419 هـ-1999م . ص. 22

*- **عبد الحميد بن باديس.** (1889 م -1940) رائد الحركة الإصلاحية في الجزائر . مؤسس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. تلقى تعليمه الأول بجامع الزيتونة تأثر بالأستاذ الطاهر بن عاشور الذي اخذ عنه علما غزيرا في العلوم الشرعية وكذلك الأستاذ محمد الخضر بن حسين وعند رحلته إلى المدينة المنورة تأثر بأفكار الشيخ احمد حمدان الونيسي واخذ عنه الأفكار الاصلاحية عمل على بعث العروبة والإسلام في الجزائر وتجديدهما بعدما أصابهما من تشويهات من طرف الاستعمار الفرنسي . والطرق الصوفية المنحرفة . فكانت له نهضة علمية واسعة . تمكن من خلالها من المحافظة على أصالة الجزائر وعروبتها.(تركي. مرجع سابق (2004) . ص 135)

2- **آثار الإمام عبد الحميد بن باديس** . ج3. مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، الجزائر. الطبعة الأولى. سنة 1412ه- 1991م ص 96

*- **البشير الإبراهيمي** (1989م -) وهو رفيق الشيخ عبد الحميد بن باديس وزميله في قيادة الحركة الإصلاحية في الجزائر ونائبه في رئاسة جمعية العلماء المسلمين في حياته ثم تولى قيادتها بعد وفاة ابن باديس . له دور مهم في محاربة الاستعمار في الجزائر وفي نهضة اللغة العربية فيها ، ترك اثار فكرية وثقافية كثيرة منها جريدة البصائر التي كانت تمثل لسان حال جمعية العلماء المسلمين . (تركي. مرجع سابق.(2004م). ص169)

2- سعد الله . مرجع سابق. ج2.سنة 1992م. ص 387

4- المرجع نفسه . ص 386

المزرية ، بان تبدأ أولا بإصلاح الدين بتنقيته مما علق به من الشوائب التي شوهته وأزالت عنه وظيفته الاجتماعية.

أصبحت الجزائر بفعل هذه المحاولات الإصلاحية تموج بالأفكار التجديدية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، إلا أنها لم تثمر في آنها وعيا عاما بضرورة العودة إلى الذات والتخلص من العوائق الداخلية والخارجية ، إلا باقترانها بأعمال الإمام ابن باديس الإصلاحية التي شرع فيها بمجرد عودته من المشرق، والتي احدث بها نهضة علمية واسعة بدروسه الحية والتربية الصحيحة التي كان يأخذ بها تلاميذه ، والتعاليم الحقة التي كان يبثها في نفوسهم والإعداد البعيد المدى الذي كان يغذي به أرواحهم[1] ويصف الإبراهيمي آثار الحركة العلمية التي حققتها جهود ابن باديس التعليمية فيقول " ورأيت بعيني النتائج التي تحصل عليها أبناء الشعب الجزائري في بضع سنوات من تعليم بن باديس واعتقدت من ذلك اليوم أن هذه الحركة العلمية المباركة لها ما بعدها وان هذه الخطوة المسددة التي خطاها ابن باديس هي حجر الأساس في نهضة عربية في الجزائر"[2] وبالفعل كانت تلك الأعمال بتلاحمها مع المؤثرات السابقة الذكر كمنطلق ايجابي استمر أعواما عديدة إلى أن هيأ الأرضية المناسبة لتنظيم الحركة الإصلاحية الشاملة التي تكونت بشكل مؤسسة ثقافية اجتماعية تسعى إلى التغيير والإصلاح في المجتمع الجزائري من مختلف جوانبه ،وهي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

وتجدر بنا الإشارة هنا إلى أنه وبالرغم من أن حركة الإصلاح الديني في الجزائر تحمل نفس المبادئ والأهداف التي تحملها الحركات الإصلاحية السابقة التي تأصلت منها

1-جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. **سجل مؤتمر معية العلماء المسلمين الجزائريين المنعقد بمركزها العام " نادي الترقي " بالجزائر** . دار الكتب الجزائر . ص، ص48،47

2- محمد البشير الإبراهيمي . **في قلب المعركة** .دار الأمة ، الجزائر . 1994م . ص216

* – رائد من رواد الحركة الإصلاحية في الجزائر درس في جامع الزيتونة. ومن المتأثرين بالحركة الإصلاحية في المشرق العربي وخاصة منها الحركة الوهابية. احد المؤسسين الرئيسيين لجمعية العلماء المسلمين ومن ابرز أقطابها الرئيسيين. أسس جريدة الإصلاح ببسكرة وكان فيها العقبي عظيما يخلب الألباب بسحر لسانه وبديع بيانه . حارب الطرقية وانحرافاتها . كان ضحية لمقتل مكحول التي دخل من جرائها إلى السجن لينسحب بعد خروجه من الجمعية بسبب اصطدامه ببعض رجالها . لما انفجرت الثورة الجزائرية وقف منها موقف المشكك بقدرتها على النجاح . توفي سنة 1956م (العسيلي . مرجع سابق. ص . 186)

إلا أنها لم تكن صورة طبق الأصل عنها ، فقد ظهرت بصفة مميزة حاولت بها أن تستقطب المهام الاجتماعية كلها:الدينية، والثقافية،والسياسية والاجتماعية ، وذلك لارتباطها بالواقع الاجتماعي للجزائر المستعمرة التي جعلتها تتبع منهجا يتماشى مع ظروفها ،ساعية إلى الانتقال بالمجتمع الجزائري إلى مستويات راقية من التفكير والسلوك والفعالية من خلال محاربة التصورات العقدية الفاسدة والجمود الفقهي والانحراف الصوفي ومظاهر الانهزام النفسي والقابلية للاستعمار، فاتبعت لكل هذا منهجا مناسبا قدم الجديد في العمل الإصلاحي وهو الارتباط المباشر بالواقع الاجتماعي والتفاعل معه في كل تغيراته .

المبحث الثاني: ميلاد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

تعود فكرة تأسيس هيئة تجمع شمل علماء الدين المسلمين الجزائريين حسب رأي بعض الباحثين إلى أواخر الحرب العالمية الأولى وبالتحديد سنة 1913 م وذلك حين التقى ابن باديس بأرض الحجاز في موسم الحج بالشيخين الطيب العقبي* ومحمد البشير الإبراهيمي فتباحث معهما في أوضاع الجزائر المزرية وكيفية إخراجها منها فكانت نتيجة تلك الاجتماعات المتوالية هو إدراك ضرورة القيام بنهضة شاملة وعامة تستهدف التغيير في الحياة السياسية والدينية والعقلية والاجتماعية ، ومن هذا اعتبرت هذه الفترة مرحلة وضع الأساس وهي كذلك مرحلة التخطيط والتنظيم والضبط وعن هذه الفترة يقول الإبراهيمي وهو الشاهد " واشهد الله على أن تلك الليالي من عام 1913م هي التي وضعت فيها الأسس الأولى لجمعية العلماء المسلمين، والتي لم تبرز للوجود إلا في عام 1931م " [1]

كانت البداية الأولى لتطبيق الفكرة (تأسيس الجمعية) في سنة 1924م مباشرة مع عودة المهاجرين إلى الجزائر على اثر قيام الحرب العالمية الأولى وخاصة منهم المهاجرين الذين كانوا في الشرق الأدنى قصد التعلم والتثقف وكان من بينهم علماء الإصلاح المشهورين أمثال عبد الحميد بن باديس،البشير الإبراهيمي والطيب العقبي..، وهم الذين رجعوا بعلم ذو وزن ونباهة ويقظة جعلتهم أكثر اهتماما بأوضاع الجزائر

---

*- العقبي (1888م- 1960م) رائد من رواد الحركة الإصلاحية الجزائرية وعضو هام في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين .

1- الزبير بن رحال . مرجع سابق . ص. 51

وأكثرعداءا للحكومة الفرنسية، فشرعوا في وضع برنامجهم الإصلاحي الاجتماعي والثقافي الذي تمثل أساسا في خلق الصحافة والمدارس والنوادي الثقافية التي تعد بداية أعمالهم الإصلاحية الفردية ، ورغم الجهود التي كانوا يبذلونها في هذه المجالات إلا أنها وكما كان عبد الحميد ابن باديس يرى لا يمكن أن ترتقي لان تحقق النهضة المرجوة التي تخرج الجزائر من أزمتها، وبناءا على إيمانه بأهمية العمل الجماعي جاء قراره لتأسيس جمعية عامة بغاية توحيد المثقفين وتمكينهم من التعارف على أحسن وجه وتنسيق جهودهم في مجال التعليم ويظهر هدفه هذا في قوله " إنما ينهض المسلمون بمقتضيات إيمانهم بالله ورسوله وإذا كانت لهم قوة وإذا كانت لهم جماعة منظمة تفكر وتدبر وتتشاور وتتآزر وتنهض لجلب المصلحة ولدفع المضرة متساندة في العمل عن فكر وعزيمة" [1].

وفي هذا يروي الشيخ محمد البشير الإبراهيمي "أن الشيخ عبد الحميد بن باديس كان قد زاره بمدينة سطيف سنة 1924م وأخبره بأنه عازم على تأسيس جمعية باسم جمعية الإخاء العلمي يكون مركزها مدينة قسنطينة ، تهدف إلى جمع شمل العلماء والطلبة وتوحد جهودهم وتقارب بين مناهجهم في التعليم والتفكير وتكون صلة تعارف بينهم ومزيلة لأسباب التناكر والجفاء"[2] وقد شجع الإبراهيمي الفكرة. ويضيف أيضا أن الشيخ "طلب منه أن يضع للجمعية قانونا أساسيا فكتبه في تلك الليلة وقرأه عليه في الصباح، ويذكر أن الشيخ اغتبط به أيما اغتباط وحمله معه ورجع إلى قسنطينة"[3]وعرض على المجلس الذي كان من المفروض أن تكوّن منه الجمعية فلقيت قبولا وترحيبا وقرروا القانون مع بعض التعديلات.

وما يؤكد هذه الرواية أن ابن باديس قد نشر بعد ذلك بفترة قصيرة دعوة في جريدته **الشهاب** إلى **العلماء** يدعوهم فيها إلى تقديم اقتراحات تفيد في تأسيس الجمعية المذكورة وجاء في الدعوة ما يلي :

1- **عبد الحميد بن باديس. تفسير ابن باديس ، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير**.من مطبوعات وزارة الشؤون الدينية . دار البعث. الجزائر. 1402- 1982م . ص . 228

2- سجل المؤتمر . مرجع سابق . ص53

3-المرجع نفسه .ص .52.

أيها السادة العلماء المصلحون المنتشرون بالقطر الجزائري إن التعارف أساس التآلف والاتحاد شرط النجاح، فهلموا إلى تحقيق هذا الهدف بتأسيس حزب ديني محض، غايته تطهير الدين مما ألصق به الجاهلون من الخرافات والأوهام والرجوع به إلى أصلي الكتاب والسنة وما كان عليها في عهد القرون الثلاثة[..] إننا نرغب من كل من يستحسن هذا الاقتراح ويلبي هذه الدعوة من أهل العلم من كل من يحب الإصلاح أن يكاتب إدارة الجريدة ببيان رأيه حتى إذا رأينا استحسانا وقبولا من عدد كاف شرعنا في التأسيس والله ولي التوفيق [1]

لقي هذا النداء تجاوبا كبيرا من طرف المثقفين الجزائريين حيث بدأت الانضمامات إلى إدارة الشهاب تزداد اليوم بعد الآخر إلى أن بلغت عددا لا يستهان به وقد شملت كل الفئات المثقفة المتواجدة في الجزائر من خريجي المدارس الرسمية وخريجي الزوايا وكذا خريجي المدارس الحرة أي الأزهر والزيتونة،وكان من أولى هؤلاء الملبين لدعوة الشهاب:الطيب العقبي ثم من بعده مولود حفيظي ذي التكوين الأزهري فالمبارك الميلي*وغيرهم، كان كل عضو من هؤلاء يأتي إلى ابن باديس بدعم معنوي مع اقتراحات حول الكيفية التي يتم وفقها تكوين الجمعية وكذا الغايات التي يمكن أن تناط بها [2] ويرجع البعض سبب التجاوب الكبير الذي لقيه نداء الجمعية إلى أسباب سوسيولوجي داخلية للمجتمع الجزائري جعلت المثقف الجزائري يرى أن على عاتقه مسؤولية التغيير فلما طرحت فكرة تأسيس الجمعية هب إليها مسرعا ليحقق فيها أهدافه الإصلاحية ، هذا بالإضافة إلى العوامل النفسية والثقافية التي خلفتها النهضة الإصلاحية الإسلامية في الشرق الأدنى التي أعطت له قوة دفع وأمل في إمكانية تحرير الجزائر من الاستعمار الفرنسي. وبالرغم من الحماس الشديد الذي أظهره العلماء تجاه المشروع إلا انه لم ينجح في بدايته نتيجة أحداث جعلته يتأخر بست سنوات كاملة. وهنا يصدق قول أبو القاسم سعد

1- مرّاد. مرجع سابق. ص.144

*- **الشيخ مبارك بن محمد الميلي.** (1898م – 1945م) . أحد رواد حركة الإصلاح الديني في الجزائر . وضع حياته كلها منذ رجع من الزيتونة في خدمة دينه وشعبه مدرسا ومحاضرا ومفكرا مرشدا نصوحا. وهو من التلاميذ الأوائل لابن باديس وأحسنهم . عمل مدرسا في الجامع العتيق بالاغواط وكان يتردد بينها وبين مدينة بوسعادة لإلقاء محاضراته االاصلاحية وكذلك مدينة الجلفة ، كان من اشد العلماء محاربة للاستعمار وأعوانهم من الطرقية المنحرفة فألف في هذا الأخير كتابه المشهور " الشرك ومظاهره " الذي بين فيه مظاهر الشرك في الجزائر بأنواعها المختلفة (العسلي . مرجع سابق. ص 160)

2- مرّاد. مرجع سابق. ص144

الله " إن ميلاد أي حركة هو عملية طويلة وفي بعض الأحيان مؤلمة قبل أن يستطيع الناس رؤيتها وتقديرها "[1] إلا انه يمكن أن نقول هنا إن الحماس الكبير الذي لقيه نداء الشهاب والإقبال العظيم للمثقفين الجزائريين من مختلف الفئات على الجمعية إنما يدل على الاستعداد القوي لتطبيق كل ما يفرضه عليهم انتمائهم الجديد لهذا الحزب الإصلاحي،كما يدل على أن الجمعية كانت ممكنة التأسيس في تلك الفترة لولا الظروف الجديدة التي حالت دون ذلك، أي دون انعقادها في سنة 1924م والتي أخرت الجمعية إلى غاية 1931م.

لم يكن الفشل الذي أصاب العلماء بداية سببا للتراجع بل اعتبره العلماء في فائدتهم لزيادة التحضير أكثر حيث توفر كل الظروف بدقة بمنع كل العقبات التي يمكن أن تقف في وجوههم من جديد وبهذا بقيت فكرة تأسيس الجمعية الشغل الشاغل لهؤلاء العلماء طيلة الفترة الممتدة 1925-إلى غاية1930م حيث كانوا أثنائها يعملون في الميدان وفي مناطق مختلفة من الوطن لتمهيد الأرضية المناسبة والشروط الضرورية لانطلاق تأسيس الجمعية. وفي هذه الفترة ظهر خلاف بين العلماء حول الغرض الذي تبنى من اجله هذه الجمعية وفي كيفية تناول الإصلاح فكان عليهم الاختيار بين أمرين ، إما أن تركز الجمعية جهودها على التعليم لتعمل على تخريج زعماء ذوي مؤهلات عالية لمواجهة تحدي خصوم الإصلاح ، وأما الاختيار الثاني فهو البدء بمحاربة الطرق الصوفية المبتدعة في الدين والمضلة للشعب الجزائري وإلى هذا الرأي كان ميول ابن باديس وعليه كان الاتفاق الأخير [2]

الاحتفالات المئوية كسبب مباشر لتأسيس الجمعية :

كانت الاحتفالات الاستفزازية التي قامت بها الحكومة الفرنسية عام1930م في الجزائر بمرور مئة عام على احتلال الجزائر عاملا قويا في سرعة إخراج فكرة تكوين الجمعية من حيز الأماني [3] بل زادت تأكيدا على ضرورتها وذلك لما ضمنته العروض

1- سعد الله . مرجع سابق. 1992. ص .114.

2- سعد الله . مرجع سابق. 1992. ص.389

3- تركي. مرجع سابق. 2001 . ص.90

من مشاهد دلت على شدة التكبر الذي بلغه الاستعمار في الجزائر وكذا القناعة الكبيرة التي وصلها في انه قد هزم الشعب وتمكن من الاستيلاء على الجزائر بصفة نهائية، مع تلك العروض شعر الجزائريون بالذل والمهانة وذكرتهم بمئات الآلاف من الجزائريين الذين سقطوا في ساحات الجهاد، فأوقد هذا في نفوسهم مكامن العزة وأثار في القلوب الكرامة والحمية وشحذ همة جمع من علماء الإسلام وغيرتهم على دينهم ووطنهم فتنادوا إلى إنشاء جمعية تناهض أهداف المستعمر وتوقظ النائمين والغافلين ،ومن ثم فقد كان التأسيس الفعلي لهذه الجمعية في سنة 1931م حيث اتخذت الجمعية من نادي الترقي بالعاصمة مقرا مؤقتا لها وذلك بعد صدور بيان التأسيس في مجلة الشهاب الذي تضمن دعوة عامة إلى تكوين جمعية العلماء كما يقول الشيخ الإبراهيمي:"دعونا فقهاء الوطن كلهم وكانت الدعوة التي وجهناها إليهم صادرة باسم الأمة كلها ليس فيها اسمي ولا اسم بن باديس، لأن أولئك الفقهاء كانوا يخافوننا لما سبق من الحملات الصادقة على جمودهم، ووصفنا إياهم بأنهم بلاء على الأمة وعلى الدين لسكوتهم على المنكرات الدينية وبأنهم مطايا الاستعمار يذل الأمة ويستعبدها باسمهم"[1].

و لم يكن من السهل لم شمل العلماء والفقهاء في ضل مؤسسة واحدة مع اختلاف اتجاهاتهم في التفكير ووسائلهم في العمل،ولكن الجمعية عملت على أن تتضمن هذه الهيئة كل الفئات بالرغم من أنها كانت ممكنة القيام بالمصلحين لوحدهم دون كل هؤلاء وذلك لان المقصد الأول الذي جاءت من اجله هو توحيد صفوف الجزائريين وتوجيه مقاصدهم نحو قبلة واحدة وهي خدمة الجزائر ، ومن ثم تكونت الجمعية من ثلاث فئات منتسبة إلى ثلاث مدارس فكرية هي :

1- المدرسة الرسمية الحكومية: التي تكون وتخرج الموظفين في القضاء والإفتاء والإمام وجلهم يكونون إن لم تقل كلهم يظهر ولاءً كبيرًا أو طاعة عمياء لإدارة الاحتلال.

2- مدرسة الزوايا: كانت تخرج شيوخاً يعلمون بالزوايا ويتفرغون لخدماتها مع تعصب لها وجمود على طرائقها وحالتها، التي هي عليها منذ أمد.

1- الإبراهيمي. مرجع سابق.(1994) . ص213

3- مدرسة العلماء الأحرار: الذين تخرجوا في المدارس والمعاهد الحرة، ومن الجامعات الإسلامية في وقتها مثل الزيتونة، الأزهر، والقرويين أو درسوا بالحجاز. وجلهم تعرضوا للترهيب والتنكيل والمضايقات، وتم إصدار إجراءات قانونية تعسفية، من خلال سن القوانين الجائرة في حقهم و في حق حركتهم الإصلاحية الجهادية. [1]

رغم تعدد المشارب والمنازع لهذا الجمع من العلماء وأهل العلم إلا أن دعوة الشهاب لقيت إقبالا كبيرا واستجابة واسعة في أوساطهم وأوساط الأمة عامة، فقد بلغ عدد الحضور في اجتماع التأسيس اثنان وسبعون عالماً من شتى الاتجاهات الدينية والمذهبية (مالكيين وإباضيين، مصلحين وطرقيين، موظفين وغير موظفين، كما حضر الاجتماع طلبة العلم من مختلف جهات الوطن) واعتذر بالكتابة والقبول نحو خمسين عالما آخرين، وفي هذا يقول الشيخ الإبراهيمي: "فاستجابوا جميعًا للدعوة واجتمعوا في يومها المقرر ودام اجتماعنا في نادي الترقي بالجزائر أربعة أيام، ولما تراءت الوجوه وتعالت أصوات الحق أيقن أولئك الفقهاء أنهم مازالوا في دور التلمذة، وخضعوا خضوع المسلم للحق فأسلموا القيادة لنا فانتخب المجلس الإداري من رجال أكفاء جمعتهم وحدة المشرب ووحدة الفكرة[..]ووحدة المناهضين للاستعمار وقد وكل المجتمعون ترشيحهم إلينا فانتخبوهم بالإجماع وانتخبوا ابن باديس رئيسًا[..] وأصبحت الآن الجمعية حقيقة واقعة قانونية وجاء دور العمل" [2]

وبعد هذا الترشيح كلف المجلس الإداري للجمعية الشيخ الإبراهيمي بصياغة القانون الأساسي للجمعية، فصاغه في مائة وسبع وأربعين مادة حرص فيها على عدم إظهار أي شبهة سياسية وقد بين ذلك في المادة الأولى من الدستور" بان الجمعية لن تتدخل في الشؤون السياسية بأي حال وتصف نفس المادة بان الجمعية منظمة إرشادية أخلاقية "[3]كما جاءت بقية المواد على هذا المنوال تثبت أن الجمعية ما هي إلا حركة إصلاحية اجتماعية ثقافية لا علاقة لها بالسياسة،فاقره المجلس بعد إجراء تعديلات بسيطة عليه وعرض بعدها على الجمعية العامة فصادقت عليه بالإجماع وقررت ترجمته إلى اللغة الفرنسية ليقدم

1- زروقة . مرجع سابق.ص. 126

2- الإبراهيمي. مرجع سابق.(1994م). ص 217

3- سعد الله . مرجع سابق (1992م). ص.336

للحكومة التي صادقت عليه هي الأخرى ووافقت عليه بعد خمسة عشر يوما فقط من تقديمه.

كانت الإجراءات التأسيسية لجمعية العلماء المسلمين سهلة وناجحة وهذا لاجتماع عدة عوامل ساهمت في ذلك منها:

المناخ الذي كان سائدا في الجزائر حينها والذي اتسم في الغالب بالانفراج، ذلك لأن سنة 1930م كانت بالنسبة للجزائريين سنة المئوية الباعثة على النشوة التي دامت إلى غاية 1931م إذ كان فيها الفرنسيون لا يزالون تحت وقع الاحتفالات الباذخة المقامة بمناسبة مرور قرن من التاريخ الاستعماري الفرنسي وكان يحدوهم التفاؤل حيال الأهالي ونوع من الأبوية أو ما يشبه الرفق وقد ترتب على ذلك تليين للسياسة الأهلية للإدارة الجزائرية .لذا لم يواجه إنشاء جمعية للعلماء المسلمين الجزائريين اعتراضات شديدة من قبل السلطات العمومية . (1)

ويضاف إلى هذا أن مؤسسي الجمعية قد ابدوا مهارة لا تنكر بسعيهم إلى جلب الإدارة لصالحهم من خلال ما تضمنه الدستور من بنود تؤكد كون الجمعية ما هي إلا جمعية دينية تسعى للتربية الأخلاقية والدينية وليست لها أي علاقة بالسياسة،هذا الأمر الذي جعل السلطات الاستعمارية تظهر بعض الاطمئنان حيال هذه الجمعية وتسارع في قبولها وفيما يلي بعض الفقرات التي تضمنت هذا الجانب :

"ويجب أن نقول من الآن أن الجمعية يجب أن لا تكون إلا جمعية هداية وإرشاد لترقية الشعب من الجهل والسقوط الأخلاقي إلى أوج العلم ومكارم الأخلاق في نطاق دينها الذهبي وبهداية نبيها الأمي الذي بعث ليتم مكارم الأخلاق (عليه وعلى اله الصلاة والسلام). " (2)

"ولا يجوز بحال أن يكون لها بالسياسة وكل ما يتصل بالسياسة أدنى اتصال ، بعيدة عن التفريق وأسباب التفريق وهذا ما نقوله ولا نشك أن إخواننا المهيئين والمدعوين كلهم

1- مرّاد. مرجع سابق. ص.155.

2- المرجع نفسه. ص.156.

على وفاق تام معنا وإنهم سيجعلونه في طليعة القانون الأساسي الذي يقدم للحكومة وإنما أردنا أن نقول ليكون معلوما عند الجميع بالمكشوف "[1].

وما زاد من اطمئنان الإدارة الاستعمار أيضا تجاه هذه الجمعية هو جمعها لكل الفئات الثقافية المتواجدة في الجزائر ومنها الطرقيين الذين كانوا يعتبرون كفئة متواطئة مع الاستعمار .

1- الأهداف الإصلاحية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

ارتبطت أهداف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بشكل مباشر بالظروف التي كان عليها المجتمع الجزائري الخاضع تحت سيطرة الاستعمار الفرنسي، ومن ثم فقد جاءت على شكل رد فعل معاكس للسياسات التي كانت تفرضها السلطات الاستعمارية على الشعب الجزائري وظهر هذا التناظر خاصة لما تزامن ميلاد الجمعية مع الاحتفالات المئوية التي نظمتها الحكومة الفرنسية الاستعمارية وما جاء فيها من استعراضات استفزازية للشعب الجزائري ذكرتهم بكل المأساة التي مرت بها الجزائر طيلة مئة سنة أو أكثر.

ومن هذا المنطلق تأسست الجمعية بأهداف نضالية ساعية إلى تحقيق الاستقلال، بإيمان قوي منها أنّ هدفها لن يتحقق إلا بالتضامن بين مختلف الفئات المثقفة في الجزائر لتعمل باتحاد لتحقيق المراد ،ومن ثم فقد كان الغرض من تأسيس الجمعية بداية هو لم شمل العلماء وحملهم على نبذ الشقاق والفرقة بينهم وتوحيد صفوفهم وتوجيه جهودهم نحو هدف موحد وهو خدمة الجزائر عن طريق محاربة أعدائها ،وفي هذا يقول الإمام ابن باديس " إنما ينهض المسلمون بمقتضيات إيمانهم بالله ورسوله إذا كانت لهم قوة وإذا كانت لهم جماعة منظمة تفكر وتدبر وتتشاور وتتآزر وتنهض لجلب المصلحة ولدفع المضرة ، متساندة في العمل عن فكر وعزيمة "[2]

ولما كان الفرد هو منطلق كل حركة في المجتمع، كانت أهداف الجمعية موجهة نحو إصلاحه بإصلاح النبع الذي يعتمد عليه في كسب قوّته ؛أي الدين بتنقيته مما علق به من شوائب وتخليصه من البدع والخرافات التي نسبت إليه وهذا بالقضاء على العاملين على

1- المرجع نفسه . ص .156.

2- ابن باديس. مرجع مسابق. (1982م) . 228

ذلك ، ثم العمل على تبليغه صافيا نقيا ولقد كانت الجمعية في عملها هذا تعتمد على أصل ديني إسلامي مأخوذ من قوله تعالى "**إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ** "[1] وهو الأساس الذي انطلقت منه حركة الإصلاح الديني في الجزائر واعتمدت عليه في كل مسارها الإصلاحي،ساعية به إلى تكوين الإنسان المسلم الذي يرتبط بقرآنه ولغته ولا يرضى بأي اندماج مخالف لأصوله ويعمل على حمل الأمانة مستقبلا ويسعى بها إلى تحقيق الاستقلال .

وقد كتب الكثير من الباحثين في أهداف جمعية العلماء المسلمين واختلفت آراءهم من باحث لآخر حيث قصر بعضهم أهدافها على التعليم العربي ومحاربة الخرافات وتصفية الإسلام مما علق به من الشوائب خلال القرون المتأخرة وبعضهم قرنها بالنشاط السياسي ومعاداة الاستعمار وبفكرة تكوين الدولة الجزائرية وقد لخص احد أعضاء الجمعية سنة 1935م أهدافها فيما يلي: "إحياء الإسلام وإحياء القران والسنة وإحياء العربية وآدابها وإحياء التاريخ الإسلامي وآثار قادته"[2]

ويرى السيد جوزيف ديبارمي* أن أهداف الجمعية تتمثل في"فهم لغة القران والعودة إلى الثقافة الإسلامية القديمة واعتبار المغرب العربي كقلعة للعبقرية الشرقية في وجه الغرب وتنقية وتبسيط الدين الإسلامي "[3] .

وبالرغم من أن الجمعية قد أبعدت الغاية السياسية من خلال دستورها التأسيسي إلا أن هذا الهدف ظهر في كثير من نشاطاتها وهو الأمر الذي جعل البعض يقسم أهداف الجمعية إلى نوعين من الأهداف : أهداف قريبة المدى وهى التي تتمثل في الأهداف المصرح بها من تنقية الدين من البدع والخرافات التي ألحقت به ومحاربة الطرقية التي تدعوا إلى الفساد والإفساد وكذا محاربة الآفات الاجتماعية،وأهداف بعيدة المدى وهي التي تتمثل في الأهداف السياسية التي تقوم على محاربة الاستعمار والعمل على تحقيق استقلال الجزائر، في حين ذهب أبو القاسم سعد الله إلى اعتبار أن حركة الإصلاح الجزائرية

1- قرآن كريم. سورة هود . آية 11

2- سعد الله . مرجع سابق .2001 .ج2 . ص86

* – مؤرخ فرنسي

3 –سعد الله . مرجع سابق (2001). ص86

متعددة الأهداف؛لأنها سعت إلى تحقيق الإصلاح بمعناه الشامل والإصلاح بالمعنى الشامل قد يبدأ بالثقافة أو بالدين أو بالمجتمع ولكنه في نهاية الأمر يغطي كل مظاهر الحياة في مجتمع ما بما في ذلك السياسة وهذا بالضبط ما حصل في الجزائر[1] .

ولعل هذا ما جعل البعض من المؤرخين يعتبرون الحركة الإصلاحية في الجزائر تختلف عن الحركات الإصلاحية الأخرى في المشرق العربي وذلك في تمكنها من تعميم الإصلاح على جميع الجوانب الاجتماعية رغم أنها تنبعث من أصل واحد وهو الفكر الإسلامي ومن حضارة واحدة هي الحضارة العربية الإسلامية، والحقيقة أن الاختلاف راجع في أساسه إلى اختلاف الظروف الاجتماعية التي ولدت فيها الحركة الإصلاحية .

فتكون الجمعية بكل هذه الأهداف المعروضة "دفاع منظما عن الإسلام والعروبة لهذا القطر (الجزائر)هيأه الله عناية بدينه ولغة كتابه وهيأ له نوعا من العلماء ممتازا بقوة العلم وقوة الروح، ليقوم بما قام به المصلحون المصطافون في جميع العصور كلما طاف بالدين طائف بدعة من الداخل أو عارض شبهة من الخارج [..]وأعمال جمعية العلماء المسلمين للإسلام والعربية هي البناء المتين للقومية والتفسير الصحيح للوطنية والشرح العملي لمعنى الأمة"[2]. فنعتبر جمعية إذا ذات أهداف إصلاحية دينية وطنية تتمثل في إحياء اللغة العربية والدفاع عن لإسلام والعمل على تحرير الوطن وتقوية أواصر الأخوة بين العرب والمسلمين،وهي الأهداف التي سعت إلى تحقيقها في كامل مشوارها الإصلاحي واتخذتها كمبادئ أساسية في شعار حركتها التغيرية: **الإسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا.**

2- مبادئ الإصلاح لدى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

إن الارتباط المباشر لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالواقع الاجتماعي للجزائر جعلها تتميز عن غيرها من الحركات الإصلاحية في العالم الإسلامي في منهجها وكذا في الأساليب والوسائل التي اتخذتها في حركتها التغيرية التي تميزت بها فجعلتها حركة دينية ووطنية مركزة في عملها على الجانب العملي التطبيقي المباشر أكثر من العمل النظري، ومن اجل التغيير والبناء اتخذت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

1- المرجع نفسه . ص88

2- تركي. مرجع سابق. (2001م). ص 358

باعتبارها الممثل الرسمي لحركة الإصلاح الديني في الجرائر أسسا ومبادئ أقامت عليها حركتها واتخذتها كأهداف أساسية في عملها الإصلاحي وكذا كمرتكزات أساسية في سير الحركة الإصلاحية وهي المجموعة في الشعار المأثور" الإسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا "

وقد بين عبد الحميد بن باديس هذه الأركان والمبادئ في قوله: " العروبة والإسلام والعلم والفضيلة هذه هي أركان نهضتنا وأركان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي هي مبعث حياتنا ورمز نهضتنا فما زالت هذه الجمعية منذ كانت تفقهنا في الدين وتعلمنا اللغة وتنيرنا بالعلم وتحلينا بالأخلاق الإسلامية العالية وتحفظ علينا جنسيتنا وقوميتنا وتربطنا بوطنيتنا الإسلامية الصادقة"(1) .

لقد كانت الجمعية مركزة في كامل طريقها الإصلاحي على هذه المبادئ الثلاثة التي مثلت بها "دفاعا منظما عن الإسلام والعروبة في الجزائر وأعمال جمعية العلماء للإسلام والعربية هي البناء المتين للقومية والتفسير الصحيح للوطنية والشرح العملي لمعنى الأمة"(2) وتتمثل هذه المبادئ بالتفصيل فيما يلي :

2-1: الإسلام دينا

شكل الإسلام باعتباره دين الأمة الإطار النظري الذي اعتمدت عليه جميع الحركات الإصلاحية في العالم الإسلامي ، ابتدءا من حركة ابن تيمية ومرورا بمحمد بن عبد الوهاب ، فجمال الدين الأفغاني ،ومحمد عبده ،ورشيد رضا ..ولم تخرج جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عن هذا الإطار المجمع عليه، فقد كان الإسلام هو الموجه الأساسي في حركتها الإصلاحية وهو الأساس الذي أقامت عليه أركان ودعائم البناء الحضاري الجديد مدركة ضرورة هذا الأصل في حركتها التغييرية مؤمنة بان حركتها لا يكمن أن تتم بنجاح إلا إذا سارت على هذا الأساس،معتمدة في ذلك على القاعدة "لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها" ، فكما أن الإسلام هو سبب صلاح الحركة الحضارية في القديم،فهو كذلك الأساس الأول الذي يجب أن يعتمد عليه في إحداث أي تغيير في الحاضر

1- تركي رابح .**جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية (1931- 1956م)، ورؤساؤها الثلاثة**.المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر. ط1 .1425-2004م. ص358

2- المرجع نفسه. ص. 358

والمستقبل ومنه جاء تأكيد ابن باديس على ضرورة اتخاذ الدين كايدولوجيا ومنهج تقوم عليه الحركة الإصلاحية وذلك في قوله : " الإسلام هو الأساس الذي يجب أن يبنى عليه كل عمل للجزائر والنهج الذي يجب أن يسير فيه كل من يتولى قيادة ناحية من نواحي سيرها في الحياة وكل من حاد عنه قولا أو عملا فانه يعد خائنا للأمة ويجب أن يعامل بما يستحقه الخائنون"[1]. وقد أكد مالك بن نبي هذه القاعدة وعدها كسنة اجتماعية ثابتة حينما أشار إلى أنّ إيديولوجيا التغيير وإعادة بناء المجتمع الإسلامي الحديث هي نفسها إيديولوجيا التغيير والبناء التي قام على أساسها المجتمع الإسلامي القديم وهذا في قوله: " نهضة مجتمع ما تتم في نفس الظروف العامة التي تم فيها ميلاده، كذلك يخضع بناؤه وإعادة هذا البناء إلى نفس القانون"[2] وقيام جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على هذا الأساس إنما هو راجع إلى اعتقادها بأنه المبدأ الأول الذي تبنى عليه كل المقومات الشخصية للشعب الجزائري لتكتسي به حصانة ضد كل تهديد سواء كان داخليا أوخارجيا لذلك فقد اعتبرته كإطار مرجعي مهم في عملية التجديد الحضاري الذي تبدأ منه النهضة وتعود إليه .

وكنتيجة لارتباط الجمعية بالحياة الاجتماعية وبصفة مباشرة أمكنها أن تلاحظ بوضوح حالة الإسلام في المجتمع الجزائري وهي الحالة التي لم تكن لترضي الجمعية فجعلها تركز كل مجهوداتها في كامل مسارها الإصلاحي لتعمل على إعادة الفاعلية الاجتماعية لهذا العنصر في المجتمع، ففي الحالة التي كان عليها كل من القران والسنة في علاقتهما الضعيفة والهزيلة بأفراد الأمة سعت الجمعية في دعوتها التجديدية إلى تجديد عمل الدين في المجتمع وتجديد حركته عن طريق تنقيته أولا مما الحق به من خرافات ومضللات وبدع بمحاربة الطرق الضالة التي كانت سبب كل التشويهات ، ثم إعادة التعريف به وتعليم أحكامه الصحيحة للمسلمين حتى يتمكنوا من خلاله من خلق إسلام ذاتي والذي هو "الإسلام من يفهم قواعد الإسلام ويدرك محاسن الإسلام في عقائده وأخلاقه وآدابه، وأحكامه، وأعماله ،ويتفقه-حسب طاقته- في الآيات القرآنية والأحاديث

1- الجمعية الثقافية الجامعية.الأمل. " تجربة التغيير الاجتماعي " . **مجلة الفكر** . العدد الأول. 1413هـ-1993م . ص.65.

2- مالك بن نبي . **ميلاد مجتمع**.دار الفكر . دمشق - سوريا. 1981م.ص.69.

النبوية ويبنى ذلك كله على الفكر والنظر، فيفرق بين ما هو من الإسلام بحسنه وبرهانه وما ليس منه بقبحه وبطلانه ، فحياته حياة إيمان وعمل ومحبته للإسلام محبة عقلية قلبية بحكم العقل والبرهان كما يقتضي الشعور والوجدان "[1]

هذا هو الإسلام الذي بنت عليه الجمعية حركتها وتريد أن ترسخه في المجتمع الجزائري فالإسلام بالنسبة لها " ليس مجرد طقوس تؤدى في أوقاتها وأماكنها ، كما انه ليس شكلا من الأشكال المستعارة لفترة ما ، وحال تأدية مهمة ما [...] وإنما هو عقيدة وسلوكا يتغلغل في الحياة اليومية للفرد وللمجتمع"[2] والإسلام عند الجمعية يعتبركشارة تميزالمجتمع الجزائري بأصالته عن الثقافة الدخيلة المستصحبة من طرف الاستعمار، كما يعتبر المقوم والضابط الأساسي لاهتمامات المسلم الجزائري في حياته الدينية والدنيوية.

2-2 : العربية لغة

اللغة العربية هي الركن الثاني من أركان الشخصية الجزائرية التي تكفلت جمعية العلماء المسلمين بإحيائها وحمايتها،لكونها الرباط الوثيق الذي يربط الشعب الجزائري بدينه وتاريخه وثقافته ، ويربطه بأجزاء الوطن العربي المختلفة فهي تعتبرها " لغة الدين لغة الجنس ، لغة القومية ، ولغة الوطنية المغروسة ، إنها وحدها الرابطة بيننا وبين ماضينا، وهي وحدها المقياس الذي نقيس به أرواحنا بأرواح أسلافنا، وبها يقيس من يأتي بعدنا من أبنائنا وأحفادنا الغر الميامين أرواحهم بأرواحنا " [3]

" ولغة الأمة هي ترجمان أفكارها وخزانة أسرارها، والأمة الجزائرية ترى في اللغة العربية أنها حافظة دينها ومصححة عقائدها ومدونة أحكامها، وأنها صلة بينها وبين ربها "[4] ، فإدراكا من الجمعية وعلمائها لهذه الأهمية التي تلعبها اللغة العربية في حفظ كيان الشعب الجزائري، فقد أولتها اهتماما كبيرا ورأت انه من الضرورة الإلزامية أن تكون

1-ابن باديس ." الإسلام الذاتي والإسلام الوراثي" . **مجلة الشهاب** . ج3 . م 14 .(1357ه- 1938م).ص 105-107

2- محمد الطاهر فضلاء. **دعائم النهضة الوطنية الجزائرية** . دار البعث، الجزائر. ط1. 14040هـ- 1984م . ص.69

3-عبد الحميد بن باديس . **جريدة البصائر** . السنة الرابعة. العدد 171 قسنطينة . 1358- 1939م . نقلا عن تركي رابح . مرجع سابق. 2001 . ص.331.

4- البشير الإبراهيمي. **عيون البصائر** . دار المعرفة . القاهرة. سنة 1963م. ص 310

اللغة العربية من إحدى المبادئ المهمة التي تحارب عنها من خلال مشروعها الإصلاحي والتغييري ،وهذا لكون "العربية بكل ما تحويه من حضارة وثقافة، ولغة وقران كريم تمثل سدا حائلا بين فرنسا وبين تحقيق سياستها في فرض الفرنسة والتغريب على الشعب الجزائري"[1] ، فسعت من خلالها إلى إفشال مشاريع الاستعمار الفرنسي التي يهدف بها إلى إشاعة ثقافة العرقية ليمزق بها وحدتهم، وكذا الطائفية التي يسعى إلى نشرها بين أفراد الأمة الواحدة ليعزز بها وجوده وتسلطه.

والجمعية حينما تربط الجزائر باللغة العربية إنما تسعى إلى ربطها بأصول حضارية عريقة ،وإيصالها إلى مستقبل أفضل ، ويظهرهذا الهدف خاصة في قول الإمام ابن باديس " إن عروبة الجزائر عروبة تاريخ وحضارة ، لها أيامها المجيدة ودولها العريقة ولن يقوم أمر الوطن الجزائري إلا بها "[2] وفي تأكيده للأصول التاريخية للغة العربية في الجزائر التي أراد الاستعمار أن ينفيها يقول " لبس أبناء الجزائر العروبة وامتزجت بأرواحهم وتغلغلت في قلوبهم وأشرقت شمس معارفها في أفاق أفكارهم،وجرت ينابيع بيانها على اسلات ألسنتهم ، فأصبحوا منهم فيها علماء وخطباء وشعراء ولهم منها جنود وقواد "[3]

ومن اجل أن تحقق الجمعية أهدافها فقد استعملت جميع الوسائل لتقاوم أعمال الاستعمار وتخيب آماله وتعمل على إعادة الفعالية الحضارية للغة العربية حتى تصبح الأداة الأساسية في التفكير، والكتابة والخطابة والتواصل بين الأجيال ولقد بدت هذه الغاية واضحة في حركة التربية والتعليم الواسعة التي عمت بها جميع أنحاء الجزائر، ومست جميع فئات المجتمع من غير تمييز بين كبيرها وصغيرها رجالها ونسائها،ولقد كان لهذه الحركة أثرها الفعال في إعادة مجد اللغة العربية في الجزائر، وكذا التخفيف من حدة الهجمة الفكرية الغربية على الشخصية الجزائرية .

2-3: الجزائر وطنا.

1- تركي. مرجع سابق. 2001م . ص. 279

2-العسلي . مرجع سابق . ص 131

3- المرجع نفسه . ص 131

الوطنية هي كما يعرفها ابن باديس "لا تتمثل في الأرض والمعالم والجبال والغابات والطبيعة فحسب،ولكنها إلى جانب ذلك كله هي تاريخ وحضارة وقيم وذكريات وأمال وطموح"[1]. ولم تكن هذه اللفظة قبل هذا تجري على لسان احد من الجزائريين بهذا المعني الطبيعي والاجتماعي إلا مع ظهور حركة الإصلاح وبالأخص مع أعمال الإمام ابن باديس من خلال جريدة المنتقد التي كان شعارها **الوطن قبل كل شيء** وكذلك في جريدة الشهاب التي جاءت فيها مقالات عديدة تدل على التمسك الشديد بهذا المبدأ [2]الذي سعت الجمعية من خلاله إلى غرس الروح الوطنية وإحيائها في الشعب الجزائري، وحمايتها عن طريق جعلها كإحدى المبادئ الأساسية التي تقوم عليها نهضتها الإصلاحية، وهذا بناءا على إدراكها أن النهضة الإصلاحية لا يمكن أن تؤتي أكلها إلا عن طريق ارتباط الإصلاح الديني والاجتماعي بالإصلاح السياسي الذي يقضي على هيمنة المستعمر وسيطرته لتحقيق الحرية الوطنية وقد جاء الاعتراف صريحا في نسبة هذه الفكرة القومية إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بشهادات فرنسية ،حيث قال احد الكتاب الفرنسيين " إن مجدد فكرة الوطن الجزائري هم بالأحرى هؤلاء الذين أسسوا جمعية العلماء ، أي الشيخ عبد الحميد بن باديس واشد أتباعه حماسة كالشيخ الإبراهيمي والعقبي." [3] كما أن التقارير السرية التي كانت تعدها المخابرات الفرنسية المكلفة بمتابعة نشاط الجمعية ومراقبة رجالها أكدت أن:" شُعَبَ مدارسهم عبارة عن خلايا سياسية والإسلام الذي يمارسونه هو مدرسة حقيقية للوطنية " [4]

كانت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مؤمنة إيمانا شديدا بفكرة الوطنية، لذلك فقد جاءت اغلب أعمالها الإصلاحية مرتبطة بهذه الفكرة قاصدة إثبات الكيان الشخصي للأمة الجزائرية في أنها امة لها أصول تاريخية وقومية عريقة ، ردا فيها عن الاستعمار وأعوانه الذين يسعون إلى إنكار وجود الجزائر من دون فرنسا تشجيعا لمشروع الاندماج الذي رد عليه ابن باديس في قوله:"الأمة الجزائرية امة متكونة موجودة كما تكونت

1- تركي. مرجع سابق. (2001 م). ص283

2- تركي . مرجع سابق . (2001م) . ص 283

3- زرمان . مرجع سابق. 2006. ص 89

4- المرجع بفسه . ص. 89

ووجدت كل أمم الدنيا ولهذه الأمة تاريخها الحافل بجلائل الأعمال ولها وحدتها الدينية واللغوية ولها ثقافتها الخاصة وعوائدها وأخلاقها بما فيها من حسن وقبيح شان كل أمم الدنيا ، ثم إن هذه الأمة الجزائرية الإسلامية ليست هي فرنسا ولا يمكن أن تكون فرنسا ولا تستطيع أن تصير فرنسا ولو أرادت ، بل هي بعيدة عن فرنسا كل البعد في لغتها وفي أخلاقها وفي عنصرها وفي دينها ولا تريد أن تندمج ولها وطن محدود ومعين هو الوطن الجزائري بحدوده المعروفة"[1].ويقول في مقال آخر اظهر فيه حماسا كبيرا ووطنية قوية" أما الجزائر فهي وطني الذي تربطني بأهله روابط من الماضي والحاضر والمستقبل بوجه خاص وتفرض تلك الروابط لأجله كجزء منه فروضا خاصة وأنا اشعر أن كل مقوماتي الشخصية مستمدة منه مباشرة "[2] ثم يقول " فأرى من الواجب أن تكون خدماتي أول ما تتصل بشيء، تتصل به مباشرة وكما أنني كلما أردت أن اعمل عملا وجدتني في حاجة إليه: إلى رجاله، والى ماله، والى حاله، والى آلامه والى آماله[..]كذلك أجدني إذا عملت قد خدمت بعملي ناحية أو أكثر مما كنت في حاجة إليه. "[3] ثم يشير في مقال آخر في جريدة الشهاب إلى صفة المواطنين في الوطن الواحد وما هي واجباتهم تجاه أوطانهم فيقول :"إنما ينسب إلى الوطن أفراده الذين ربطتهم ذكريات الماضي ومصالح الحاضر وآمال المستقبل ، فالذين يعمرون هذا القطر وتربطهم هذه الروابط هم الجزائريون، والنسبة للوطن توجب علم تاريخه والقيام بواجباته من نهضة علمية واقتصادية وعمرانية والمحافظة على شرف اسمه وسمعة بنيه فلا شرف لمن لا يحافظ على شرف وطنه ولا سمعة لمن لا سمعة لقومه "[4]

ويوسع ابن باديس مفهوم الوطنية في جعله خدمة الوطن الخاص خدمة للوطن العام وللإنسانية جمعاء في قوله " نعم إن لنا وراء هذا الوطن الخاص أوطانا أخرى عزيزة علينا هي دائما منا على بال ، ونحن فيما نعمل لوطننا الخاص نعتقد انه لا بد أن نكون قد خدمناها وأوصلنا إليها النفع والخير من طريق خدمتنا لوطننا الخاص، واقرب هذه

1- عبد الحميد ابن باديس. " كلمة صريحة " . **مجلة الشهاب** . ج10 .م 12 (افريل 1936) . ص .48

2- المرجع نفسه . " لمن أعيش " . ج10، م12. ص 486.

3- المرجع نفسه . ص. 231

4- ابن باديس . مجلة الشهاب . ج1، م10 . عدد 1348-1929م . ص5. نقلا عن تركي رابح . 2001 المرجع السابق. 284

الأوطان إلينا هو المغرب الأدنى والمغرب الأقصى ، اللذان ما هما إلا وطن واحد ، لغة ، وعقيدة ، وآدابا ، وأخلاقا ، وتاريخا ومصلحة ، ثم الوطن العربي والإسلامي ، ثم وطن لإنسانية العام"[1] . فيرى ابن باديس من هذا إن خدمة الوطن تعتبر خدمة ومحبة للإنسانية لذلك فان خدمة الوطن تأتي بالنسبة له في الدرجة الأولى من اهتمامه فهو الطريق الطبيعي لخدمة الإنسانية، ثم تأتي بعده في الترتيب خدمة الوطن العربي ثم الوطن الإسلامي ثم وطن الإنسانية عامة ويعلن انه " لن نستطيع أن نؤدي خدمة مثمرة لشيء من هذه كلها إلا إذا خدمنا الجزائر"[2] .

سعت الجمعية من خلال وضعها لهذا المبدأ، إلى وضع الحدود الفاصلة بين الجزائر وبين فرنسا بكل دقة وإلى تحقيق الانفصال التام للجزائر عن فرنسا والتأكيد بان للجزائر حدودا خاصة ومعروفة وبأنها جزء لا يتجزأ من الوطن العربي الذي كان يتمتع بكامل حريته وسيادته الوطنية قبل دخول الاستعمار، ومن هنا فهو وطن لا يمت بأية صلة إلى الوطن الفرنسي .

وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في قيامها على هذه المبادئ الثلاث تهدف عموما إلى إعادة بناء المجتمع الجزائري بإعادة قولبة الشروط الثقافية الخاصة به ومن ثم تهيئه لحمل رسالته في تحرير الجزائر من يد الاستعمار الفرنسي وبها استطاعت أن تعبر بدقة على الأبعاد الحقيقية للصراع الحضاري مع الاستعمار الفرنسي الذي كان يتبنى المشروع الصليبي القائم على الثلاثية المدمرة: التنصير – الصليبية – الإدماج. [3]

1- المرجع نفسه . " كلمة صريحة " . ج10، م12. ص424

2- ابن باديس . " كلمة صريحة " . **الشهاب**. مرجع سابق. ص. 428

3- زرمان . مرجع سابق. ص. 90

الفصل الرابع: مجالات الإصلاح لدى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

المبحث الأول: الإصلاح في المجال الديني.

أولا: محاربة البدع والخرافات.

ثانيا : محاربة الزوايا والطرقية المنحرفة .

ثالثا: موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من حركة التبشير المسيحي .

رابعا : المطالبة بفصل الشؤون الدينية عن الإدارة الفرنسية .

المبحث الثاني: الإصلاح في المجال الثقافي.

أولا : اهتمامها بالتعليم.

1- التعليم المدرسي.

2- التعليم المسجدي .

3- موقف الجمعية من تعليم المرأة .

ثانيا : جهود جمعية العلماء للإصلاح عن طريق الصحافة .

المبحث الثالث: الإصلاح في المجال السياسي:

أولا : التأكيد على الوطنية الجزائرية والشخصية الإسلامية .

ثانيا : موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من سياسة التجنيس .

ثالثا: انعقاد المؤتمر الإسلامي الجزائري.

رابعا: موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من فكرة الاندماج .

خامسا: موقف جمعية العلماء من مشروع فيوليت .

سادسا : مشروع بلوم فيوليت .

المبحث الرابع: الإصلاح في المجال الاجتماعي.

أولا : موقف جمعية العلماء من الطروحات الاجتماعية المعاصرة .

ثانيا : موقف جمعية العلماء إزاء التحديث .

ثالثا : الاصلاحيون والشبيبة الإسلامية .

الفصل الرابع: مجالات الإصلاح لدى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

اشرنا سابقا إلى الظروف والأحوال التي كان يعيشها المجتمع الجزائري في ظل الاستعمار الفرنسي وإلى الآثار السلبية التي خلفها في هذا المجتمع من خلال سياساته المختلفة، التي قصد منها تدمير القيم الوطنية والدينية وطمس الجوانب الروحية النابعة من العقيدة الإسلامية ، التي رأى فيها القوة التي تمنعه من تحقيق هدفه الذي يسعى إليه وهو إلحاق الجزائر بفرنسا .

ونصل هنا إلى بيان الجهود التي كانت تبذلها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كحركة دينية قائمة على مجموعة من الأفكار والمبادئ والتوجهات من اجل أن تعطل سياسة فرنسا وتحافظ على الشخصية الجزائرية الإسلامية، وتحقق التغيير الاجتماعي في الجزائر وقد ظهرت جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مختلفة مجالات الحياة الاجتماعية.الدينية منها والثقافية والسياسية والاجتماعية .

المبحث الأول: الإصلاح في المجال الديني.

إدراكا من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين للأهمية القصوى التي تمثلها العقيدة في حياة الأفراد جعلها تتخذها كانطلاقة لمشروعها التغيري والإصلاحي وتركز معظم أعمالها عليها لتحقق بها الإصلاح الفعال الذي يقوم على أولوية البناء الداخلي الذي يتوقف صلاحه على صلاح العقيدة التي تملاه ،ولم يكن هذا المنهج الذي اتبعته في إحلالها العقيدة مكان الصدارة في التجديد الديني اجتهادا خاصا بها بقدر ما هو امتداد لمنهج الأنبياء الكرام في تقرير العقائد واثبات حقيقة التوحيد في نفوس الناس وتحريرهم من ظلمات الشرك والعبودية لغير الله ويتمثل جوهر هذا المنهج الذي اعتمدت عليه في تغيير نفس الإنسان الجزائري بتخليصها من ركام الأفكار والتصورات الخاطئة التي تدفعه إلى الركود والانحراف بالاعتماد على العقيدة الصحيحة وبهذا تأكد البعد النهضوي الذي تحققه العقيدة

الإسلامية على النفس الإنسانية وعلى المجتمعات وقد أشار عبد الحميد بن باديس إلى هذه الوظيفة في قوله: "أنها عنصر نهضوي ضروري،واستحالة تحرك الإنسان في إطار العمل الحضاري والمسلم خصوصا وهو مجرد من أي معتقد لذا كان يرى أن لا بد للإنسان من عقائد يعتقدها في أمور دينه ودنياه "[1]

وقد وجدت جمعية العلماء أن هذه المواصفات مفقودة في فكر الجزائري وسلوكه، لذا فقد كان من منطلقات أعمالها هو إرجاع فعالية العقيدة الإسلامية في هذا الشعب عن طريق تجديدها في نفوس الجزائريين معتمدة في ذلك على عدة عناصر هي:

أولا - محاربة البدع والخرافات:

"إن الإصلاح ينبغي أن يبدأ من الدين بتنقيته من الخرافات والبدع التي طمست على عقول المسلمين وكانت سببا في تأخرهم حتى أصبحوا سخرية الأمم الأجنبية "[2] . على هذا المبدأ الأساسي الذي أظهره المصلح محمد عبده في حركته الإصلاحية قامت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في محاربتها للخرافات والأباطيل التي كانت تعج بها العقيدة الإسلامية في المجتمع الجزائري،حيث كانت مهمتها هنا في قيامها بالتمحيص والتطهيرعن طريق تصحيح مفاهيم كثيرة للجزائريين في العقيدة الإسلامية، والرجوع بهم إلى الأصول الأولى للدين الإسلامي : الكتاب والسنة وتعيد ربط الجزائريين بدينهم ، ورسم نهضتهم التي لا يمكن أن تؤسس على أية إيديولوجية غريبة عن العقل الجزائري بل ينبغي أن تؤسس على التصور الإسلامي الصحيح وهذا يقتضي أن يستوعب الجزائريون عقيدة الإسلام وان يفهموها فهما صحيحا نقيا خاليا من شوائب الشرك والأباطيل .

لقد كان الجزائريون زمن جمعية العلماء المسلمين يعتقدون اعتقادات فاسدة بلغت بهم إلى درجة الوثنية التي وصفها المبارك الميلي بالجاهلية الحاضرة بعد جاهلية عصر الوحي، بل انه ذهب إلى ابعد من ذلك في الوصف فقال " انه لا فرق بينهما في الجهل بما ينافي التوحيد ولا في الابتلاء بالمبتدعين والدجالين ولا في التبرك بالآثار احتماءا من

1- مرزوق العمري . " جهود جمعية العلماء المسلمين في خدمة العقيدة الإسلامية" . **مجلة الدراسات العقدية** . مرجع سابق. ص. 58

2- زرمان . مرجع سابق. 2006. ص 38

الأقدار ولا في التقرب من الأحجار والنفور من المرشدين والأخيار ،ولا في عصيان من خلقهم وعبادة ما نحتوه ، ولا في افتراق الكلمة والانقسام إلى شيع متعادية "[1]

لقد أدركت الجمعية خطورة الوضع الذي بلغه المجتمع الجزائري من جراء الانحرافات الكثيرة التي نسبت إلى الدين وتركت آثارا سيئة للغاية في المجتمع الجزائري، فكان من مواد دستورها الذي تأسست عليه، والذي راعت فيه بدقة الواقع الجزائري الذي كان مليئا بالسلوكات الشركية ، التوحيد الذي يعد أساس الدين وقد جاء في أصول دعوتها ما نصه: "فكل شرك في الاعتقاد أو في القول ، أو في العمل فهو باطل ،بناء القباب على القبور وقد السرج عليها ، والذبح عندها لأجلها والاستغاثة بأهلها ،ضلال في أعمال الجاهلية "[2]

وانطلاقا من هذه الظروف الاجتماعية للمجتمع الجزائري ومن المفهوم الإصلاحي للدين لدى جمعية العلماء المسلمين، قامت أعمالها الإصلاحية من تفسير للقران وإقامة حلقات الوعظ والإرشاد ودعوة الناس إلى التمسك بأهداف الدين القويم ورفض الخرافات والبدع التي ألصقت به،وقد تمكنت بفضل ثباتها في الدعوة من توعية الناس الذين اخذوا يتخلون في بعض المناطق الجزائرية عن عادات كانوا يعتقدون أنها من صلب الدين، كزيارة الأضرحة والتوسل بأصحابها وإلى ما هناك من بدع تمكن رجال الإصلاح من فرزها وتضييق نطاقها[3] وبهذا جاء تأكيد الجمعية على ضرورة العقيدة في الإصلاح الاجتماعي وعلى انه لا مخرج للمجتمع من حالة الضعف التي هو عليها إلا بتمسكه بعقيدته بعد إصلاحها " فالإيمان والتقوى هما العلاج الوحيد لنا من حالتنا لأننا إذا التزمناهما نكون قد اقتلعنا عن أسباب العذاب، ولا ننهض بهذا العلاج العظيم إلا إذا قمنا متعاونين أفرادا وجماعات ولنبدأ بالإيمان بتطهير عقائدنا من الشرك ،وأخلاقنا من الفساد وأعمالنا من المخالفات." [4]

1- الميلي . مرجع سابق . ص109

2- ابن باديس . مرجع سابق. (1991م). ص 155

3- الخطيب. مرجع سابق.ص 178

4- تركي. مرجع سابق. (2001). ص. 67

والإصلاح هنا لم يكن بتعليم عقيدة جديدة إنما كان بتطهير ما هو كائن وتجديد فعاليته في المجتمع لأنه وكما يقول مالك بن نبي " أن المشكلة لا تكمن في تعليم المسلم عقيدة هو يملكها، وإنما المهم أن نرد إلى هذه العقيدة فاعليتها وقوتها الايجابية وتأثيرها الاجتماعي ، وفي كلمة واحدة إن مشكلتنا ليست في أن(نبرهن) للمسلم على وجود الله بقدر ما هي في أن نشعره بوجوده ، ونملا به نفسه باعتباره مصدرا للطاقة "[1]

ثانيا – محاربة الزوايا والطرقية المنحرفة .

لقد كان من النتائج التي توصل إليها علماء الجمعية(ابن باديس والإبراهيمي) سنة 1913م من خلال تشخيصهم لحالة الجزائر الاجتماعية أن البلاء المنصب عليها إنما هو "آت من جهتين متعاونتين عليه ، أو بعبارة أوضح من استعمارين مشتركين يمتصان دمه ويفسدان عليه دينه ودنياه:استعمار مادي هو الاستعمار الفرنسي[..] واستعمار روحاني يمثله مشايخ الطرق المؤثرون في الشعب والمتغلغلون في جميع أوساطه، والمتجرون باسم الدين والمتعاونون مع الاستعمار عن رضا وطواعية." [2] وبناء على هذا التحليل والتشخيص فقد انطلقت الجمعية في أعمالها الإصلاحية بداية بمحاربة الاستعمار الثاني كونه أهون من الاستعمار الفرنسي وذلك لأنه يمس كيان الأمة الجزائرية بصفة مباشرة .

إن هذه الخطوة التي خطتها الجمعية في بداية عملها الإصلاحي إن دلت على شيء فإنما تدل على مدى ارتباطها بالواقع الاجتماعي للجزائر، فالواقع بالنسبة لها يعد موجها أساسيا في برنامجها الإصلاحي، وكذلك تعد العقائد السليمة قاعدة أساسية تستند عليها في عملها ومنها جاء ندائها بمحاربة البدع والخرافات والأباطيل والضلالات التي استحدثت في الأمة وألحقت بالدين على أساس أنها منه،ومنها أيضا جاء تصريحها بنيتها في محاربة الطرق وضلالتهم إذ تنص الجمعية في الأصل الرابع عشر من أصول دعوتها على أن كل ممارسات الطرقية المحدثة باسم الدين الإسلامي تنكرها الجمعية وتعمل على محاربتها وهذا ما جاء في الأصل :"اعتقاد تصرف أحد من الخلق مع الله في شيء ما شرك وضلال، ومنه اعتقاد الغوث والديوان"[3] ويشير الأصل الخامس عشر إلى المحدثات التي

1- مالك بن نبي . مرجع سابق. . 1406-1986م . ص 54 .

2- الإبراهيمي. مرجع سابق. 1994 . ص 220

3- ابن باديس . مرجع سابق(1991م) .ج5. ص155

أحدثت في المقابر عامة وعند قبور بعض العباد الصالحين: "بناء القباب على القبور، ووفد السرج عليها، والذبح عندها لأجلها، والاستغاثة بأهلها ضلال من أعمال الجاهلية، ومضاهاة لأعمال المشركين. فمن فعله جهلاً يُعلَّم، ومن أقره ممن ينتسب إلى العلم، فهو ضال مضل"[1]

بالإضافة إلى هذا فقد كانت ترى أن كل ما جاءت به الطرق من مستحدثات إنما هو بدعة في الإسلام، تسعى من خلالها لخدمة مصالحها الدنيوية التي تحفظ سلطانها وتجمد عقول المسلمين الجزائريين وتقتل هممهم ومن هذا فقد اعتبرت الجمعية هذه الطرق "علة العلل في الإفساد ومنبع الشرور وان كل ما هو متفش في الأمة من ابتداع في الدين وضلال في العقيدة وجهل بكل شيء وغفلة عن الحياة والإلحاد في الناشئة ، فمنشؤه من الطرق ومرجعه إليها [..] وأنها سبب تفرق المسلمين" [2] لذلك فقد رأت أن محاربتهم بآثارهم هو الحل الوحيد الذي يمكن أن تخرج به الأمة من أزمتها وانه لا يمكن أن تحقق أي إصلاح في الأمة إلا بالقضاء على خرافات هؤلاء المضلين . يقول الشيخ الإبراهيمي "ونعلم أننا حين نقاومها نقاوم كل شر وأننا حين نقضي عليها – إن شاء الله – نقضي على كل باطل ومنكر وضلال. ونعلم زيادة على ذلك أنه لا يتم في الأمة الجزائرية إصلاح في أي فرع من فروع الحياة مع وجود هذه الطريقة المشئومة ومع ما لها من سلطان على الأرواح والأبدان ومع ما فيها من إفساد للعقول وقتل للمواهب"[3]

لم تكن دعوة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في محاربة الطرقيين وبدعهم حديثة بل تزامن ظهورها مع بدايات ظهور حركة الإصلاح الديني في الجزائر وقد زادت حدة الصراع بين الإصلاحيين والطرقيين أكثر مع ظهور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931م التي اضطر فيها العلماء في بداية تأسيسهم لها أن يجمعوا فيها جميع علماء الجزائر(المثقفين) بمختلف انتماءاتهم الثقافية ، وكان من بينهم ممثلي الزوايا الطرقية فكان القصد من هذا الجمع هو تحقيق "التضامن الإسلامي وإرادة في إقامة التقارب بين مختلف مثقفي البلاد ، لذا لم تكن اللجنة المديرة الأولى للجمعية مكونة كلها

1- ابن باديس . مرجع سابق. (2001م) . ص155
2- سجل المؤتمر . مرجع سابق. ص 61
3- المرجع نفسه . ص.62

من أنصار الإصلاح "[1] ومن الممكن أن نفسر هذا الاجتماع "إلى انه كان كأمل في إن يقلع المرابطون عن نزعتهم الثقافية المحافظة والانفتاح الأكبر على التيارات الإسلامية الحديثة ومراجعة بعض معتقداتهم في ضوء السنّة الصافية التي سارت عليها الأجيال الإسلامية الأولى [..] وفي أن هؤلاء سيعدلون عن أخطائهم وسينضمون إلى الحركة الإصلاحية بإخلاص[..] وسيشاركون في التجديد الثقافي الأكبر الذي تدعو إليه الحركة الإصلاحية الباديسية "[2] إلا أن هذه النزعة التوفيقية لم تؤت ثمارها بسبب التعصب الذي أظهره بعض المرابطين وكذا تشدد بعض الزعماء الإصلاحيين الذين طغت عليهم النزعة المذهبية النظامية التي جعلتهم لايستطيعون أن يتصوروا حوارا سلميا مع ممثلي المرابطية، بالإضافة إلى أن هذا الاجتماع الذي جمع كل من الإصلاحيين والمرابطين تحت تنظيم واحد لم يكن ليكف الإصلاحيين عن نشاطهم المناوئ للطرقيين وهو الأمر الذي جعل الفئة الممثلة للزوايا الطرقية تحمل عداوة عليهم مبررة موقفها " بان الجمعية أصبحت جمعية المصلحين لا جمعية علماء الجزائر التي كنا نرجو من ورائها إصلاح ذات البين بين الإصلاحيين والطرقيين " [3]

والحال أن التقدم الذي أحرزته الحركة الإصلاحية عبر إرساء فروع جمعية العلماء المسلمين ودعاية ابن باديس الواسعة سرعان ما روع العديد من الجمعيات المرابطية ، هذه الأخيرة غير المبالية في الظاهر بالتجديد الروحي والثقافي الذي كان ابن باديس يدعو إليه، جعل هذه الجمعيات المرابطية تشعر بأنها مهددة في قوتها الدنيوية [4] وهو الأمر الذي جعلها تبحث عن السلطة الإدارية داخل الجمعية لتتحكم من خلالها في زمام الأمور وأن تسير الجمعية لمصالحها الخاصة ولقد كانت انتخابات اللجنة المديرة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين لسنة 1932م فرصة لذلك لتظهَرَ فيها نواياها الحقيقية التي سببت أزمة داخل الجمعية وأدت إلى اضطراب الأحوال أثناء الإعداد للانتخابات، لتنتهي في الأخير وبعد تهدئة الأوضاع إلى حصول العناصر الإصلاحية على أغلبية الأصوات

1- مرّاد . مرجع سابق. ص. 156

2- المرجع نفسه . ص 171

3- الخطيب . مرجع سابق. ص179

4- مرّاد. مرجع سابق. ص172

وهي النتيجة التي أدت إلى انشطار بين العناصر الإصلاحية والعناصر المرابطية بانسحاب المرابطين من الجمعية لتصبح بعدها جمعية العلماء المسلمين حرة من أي ارتباط مع المرابطية محققة جلبة حول الحركة الإصلاحية وشهرة اكبر.

ظهور جمعية علماء السنة الجزائريين :

هي جمعية مناهضة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، ظهرت بعد الانشطار الذي حدث في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين اثر انتخابات المجلس الإداري للجمعية لسنة1932م،التي أدت إلى انسحاب الطرقيين من الجمعية بعد فوز المصلحين بأغلبية الأصوات في المجلس الإداري ، ومن ثم فقد تأسست هذه الجمعية رسميا في تاريخ 15 سبتمبر 1932م وكان الساعي إليها بصورة رئيسية الشيخ مولود حفيظي [1] الذي كان من احد أعضاء الجمعية ولم يكن راضيا بمنصبه فيها كعضو مستشار في المجلس الإداري للجمعية، لذلك فقد اتخذ جانب المعارضة للحركة الإصلاحية وكان وراء تأسيس هذه الجمعية التي جمعت رؤساء الزوايا والموظفين الدينيين المسلمين في الإدارة الحكومية وقد لوحظ أن أهدافها كانت قريبة بعض الشيء من أهداف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين [2]وتتلخص أهم بنودها فيما يلي :

1-بأنها جمعية إسلامية تربوية وخيرية.

2-تأبى رسميا الخوض في المسائل ذات الطابع السياسي وكل ما من شانه زرع الفتنة بين الجماعات الدينية والعرقية المختلفة.

3- تسعى إلى إحياء السنة الدينية ونشر الفضائل والكمال الأخلاقي وفق الكتاب والسنة وتعاليم المدارس الأربعة ومبادئ الفقه والتصوف والدين [3]

ويظهر الفارق بين هذه الجمعية وجمعية العلماء المسلمين في كونها تعتبر التصوف مصدرا من مصادر نشر الأخلاق والدين وهذا ما يتنافى مع مبادئ الجمعية التي تعتبر القران والسنة هما المصدران الأساسيان في حركتها الإصلاحية.

1- مرّاد. مرجع سابق. ص 173

2- الخطيب. مرجع سابق. ص 180

3- مرّاد . مرجع سابق. ص 174

ومن الوسائل التي اتخذتها هذه الجمعية لمواجهة جمعية العلماء المسلمين إصدارها لجريدة الإخلاص في1932/12/14م تحت إشراف المولود بن الصديق الحافظي والتي كانت منافسة لجريدة **الشهاب** وكذا إصدارها لجريدة **المعيار** التي كانت كامتداد **للإخلاص** و**البلاغ** من جهة أخرى وقد اتخذت هذه المنابر الإعلامية وسائل وقنوات لمهاجمة العلماء عامة والإمام ابن باديس خاصة. كانت هذه الجرائد كلها تصدر مع ترخيص تام من السلطات الفرنسية التي كانت ترى فيهم تمثيلا لاتجاهها وتبليغا لخطابها ،لم تقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أمام هذه الجمعية مكتوفة الأيدي بل كانت تقابلها بكل جريدة إصدار آخر مماثل في الغاية فصدرت عنها جريدة **الجحيم** التي قابلت بها جريدة **المعيار** [1]وكذا أصدرت على التوالي:" السنة والشريعة والصراط كل هذه الصحف أوقفتها الإدارة تباعا لان دعايتها كانت ضد المرابطين فاعتبرت خطيرة على النظام العام ومنافية لمصالح فرنسا العليا " [2] ،بالإضافة إلى الجرائد والصحف التي كانت تصدرها جمعية العلماء المسلمين صدر عنها كتاب مبارك الميلي "رسالة الشرك ومظاهره" والذي يعد كوثيقة أساسية في انتقاد الطرق الصوفية ووصف حالة التصوف في تلك الفترة بطريقة هي اقرب إلى الموضوعية من كل ما صدر عن بقية أعضاء الجمعية ،هذا ومع كل المضايقات التي تعرضت لها جمعية العلماء المسلمين سواء من قبل الحكومة الفرنسية أو من قبل رجال الطرق إلا أنها لم تكف في سعيها لتحقيق هدفها، وفعلا تمكنت من تحقيقه من خلال تأليبها للرأي العام الجزائري على هذه الطرق وكسبه في صفها بعدما أدرك خلفيات وأبعاد ظهور هذه جمعية الطرقية على الساحة ، فلم يتجاوب معها ولم يستجب لخطابها وقابلها برفض ونفور،ومن ثم فقد كان مآلها الفشل الذريع في محاربة ومواجهة العلماء وبتوقف جريدة **الإخلاص** عن الصدور ،وكذلك كان مآل جريدة **المعيار** من قبلها. وبهذا تمكنت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من محاصرة الطرقية وأضاليلها"فخمدت نيران أهل الزردة وزالت عن البلاد حمى الدراويش وتخلصت منها الجماهير بعد أن

1- الخطيب.مرجع سابق. ص. 182

2- مراد. مرجع سابق. ص.178

ظلت طوال خمسة قرون ترقص على دقات البناذير وتبتلع العقارب والمسامير مع الخرافات والأوهام"[1]

ثالثا _ موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من حركة التبشير المسيحي.

لقد كانت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في كامل مشوارها الإصلاحي تسعى لتغيير المجتمع الجزائري من خلال القضاء على أعدائه وأعداء الإسلام الذين كان من بينهم حركة التبشير المسيحية الواسعة التي كانت مرافقة لجيش الاحتلال الفرنسي منذ اللحظة الأولى لدخوله الجزائر ، فكانت الجمعية تنظر إلى التبشير على أنه " نتيجة من نتائج التعصب المسيحي المسلح ومولود من ومواليد القوة الطاغية التي تسمي كل ما ترضى عنه من الأعمال المنكرة حرية دين أو حرية فكر، أو حرية تجارة وأنه أداة من أدوات السياسة في ثوب ديني وشكل كهنوتي دفعته أولا ليكون رائدها في الفتح وقائدها في الاستعمار" [2] ،كما أنها كانت ترى انه من المعقول أن يثمر التبشير في بلد كالجزائر تتوفر فيه كل الظروف المواتية لاستقراره فيه، ويمكن فيه أن يحقق نتائج أكثر من أي بلد آخر وهذا لعدة اعتبارات، وهي:

1-تقادم عهده.

2-صولة الاستعمار الذي يحميه .

3- فشو الجهل والأمية والفقر في الأمة التي هي فريسة التبشير.

4-انتشار الطرقية التي هي ظئر التبشير وكافلته والممهدة له حسا ومعنى .

5- قعود علماء الدين عن المقاومة وسكرتهم عن المعارضة قبل جمعية العلماء

لكن رغم كل هذه الظروف المتاحة لحركة التبشير بالإضافة إلى الجهود المبذولة لتحقيق مرادها في الجزائر ، إلا أنها لم تتمكن من ذلك أمام تصلب الجزائري في دينه مهما بلغت به العامية والأمية والفقر [3]

لكل هذا فقد كانت جمعية العلماء حريصة على القضاء على هذه الفئة في الجزائر بصفة نهائية لذلك فقد كان من المبادئ الأساسية التي قامت عليه الحركة هو مبدأ " الإسلام

1- مالك بن نبي . **شروط النهضة**.دار الفكر، دمشق. سوريا. ط4 . سنة 1460- 2000. ص. 31

2- سجل المؤتمر .مرجع سابق . ص72

3- المرجع نفسه . ص73

ديننا". وكانت مقاومتها عن طريق المحاضرات والدروس العامة التي تمكنت الجمعية بها من تحقيق نتائج جيدة في هذا المقام من خلال تعليمها الشعب الجزائري قيمة دينهم وضرورة التمسك به وبأنه جزء مهم في هويتهم وشخصيتهم التي لا تقوم إلا على المبادئ الثلاثة المذكورة سابقا " الإسلام ديننا ، والعربية لغتنا ، والجزائر وطننا " فعطلت بهذا الكثير من مشاريع المبشرين .

رابعا- المطالبة بفصل الشؤون الدينية عن الإدارة الفرنسية :

إدراكا من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بأنه لا يمكن المحافظة على الشخصية العربية الإسلامية طالما أن مساجد المسلمين وأوقافهم تستغلها الحكومة الفرنسية، جاءت مطالبهم بتطبيق قانون فصل الدين عن الدولة على الدين الإسلامي في الجزائر وقد تمثل هذا المطلب بالتحديد في مايلي :

1- تحرير المساجد برفع يد الحكومة عنها.

2- تحرير الأوقاف الإسلامية بإرجاعها إلى المسلمين.

3- تحرير رجال الدين الإسلامي من الحكومة المسيحية .

4- تحرير القضاء الإسلامي برفع جميع القيود عنه.

5- تحرير الحج بعدم تدخل الحكومة في أي شان من شؤونه .

6- تحرير الصوم بإبعاد الحكومة عن شؤونه. [1]

ولقد كان تركيز الجمعية على هذه العناصر الدينية بالخصوص لكونها تعتبر المكونات الأساسية للدين الإسلامي، التي وجدت فيها الحكومة الفرنسية غايتها واتخذتها كمداخل لتشويه الإسلام من خلال التدخل في الأحكام الخاصة بها.

ولم تظهر جمعية العلماء المسلمين بهذا المطلب بشكل رسمي في قانونها إلا بعد أن تحررت من الطرقية وأعوان الإدارة ، حيث جعلت هذا المطلب من ضمن المطالب الرئيسية التي تقدمت بها في المؤتمر الإسلامي المنعقد في العاصمة الجزائرية في شهر جوان 1936م[2] وقد سعت الجمعية إلى تطبيق هذا المبدأ_ "الذي ظهر بداية في فرنسا سنة

1- الإبراهيمي. مرجع سابق.(1963).ص 46

2- الخطيب. مرجع سابق. ص 192

1905م ،والقاضي بفصل الدين عن الدولة في فرنسا"[1]_ على الدين الإسلامي في الجزائر بإبعاد يد الحكومة الفرنسية عنه ورغم أن هذا القانون الأخير قد امتد العمل به إلى الجزائر سنة 1907م قاضيا باستقلالية الدين الإسلامي عن الدولة السياسية مثله مثل بقية الديانات الأخرى في الجزائر _المسيحية واليهودية_ إلا أن الإدارة الفرنسية قصرته على الديانتين اليهودية والمسيحية فقط ،واستمرت قابضة بشدة على عنان الدين الإسلامي "تحتكر معابده وشعائره وتمتهن رجاله وتبتلع أوقافه فلا مسجد إلا ما فتحته ولا إمام إلا ما نصبته ولا مفتي إلا ما حنفته أو (ملكته)، ولا شيخ طريق إلا من (سلكته) أو لا حاج إلا من حججته أو نسكته ، ولا صائم ولا مفطر إلا على يد لجنتها ، ولا هلال إلا ما شهد برؤيته(قاضيها). [2]

وإن سر هذا التسلط على الإسلام والإصرار على التمسك به" ليس من حيث انه دين يجب أن تحافظ عليه وعلى معابده وشعائره ولكن ذلك لغاية أخرى غير المحافظة وهي أنها تعد التسلط على الأديان تكميلا لما لا يتم المعنى إلا بدونه ، فلما استعبدت أبدان المسلمين مدت يدها إلى دينهم وأبت عليهم أن يكونوا أحرارا فيه ليتم لها التسلط على الجانبين الروحي والمادي "[3]

لهذا فقد تمثلت دعوة الجمعية في السعي نحو تحرير الإسلام من يد الحكومة الاستعمارية وكف يدها عنه من خلال تحقيق العدل بين الأديان وتطبيق قانون الفصل على الدين الإسلامي كما طبق على الديانات الأخرى. ويظهر هذا بوضوح في قول البشير الإبراهيمي: "إن الأديان في الوطن ثلاثة ، فمن الواجب أن تعامل معاملة واحدة،وان المسلمين ومعابدهم أكثر عددا فمن الإنصاف أن يكونوا هم القاعدة في المعاملة والأصل في وضع الأحكام وما دام دينهم (مستعمرا) فمن العدل أن يكون الدينان مستعمران أيضا " [4]ورغم الرفض الذي لقيته مطالب المؤتمر الإسلامي الجزائري من قبل الحكومة الفرنسية، إلا أن هذا لم يوقف نضالها من اجل الحصول على استقلال الدين الإسلامي عن

1- الخطيب. مرجع سابق. ص 192

2- الإبراهيمي. مرجع السابق. (1963.)ص 84

3- المرجع نفسه . ص . 107

4- المرجع نفسه .ص.59.

الإدارة الفرنسية،حيث قدمت الجمعية في5 أوت 1944م تقريرا إلى الحكومة الجزائرية وضعت فيه قضية فصل الدين عن الدولة في رأس مقاصدها الثلاث :

1- المساجد وموظفوها وأوقافها

2- التعليم ومداسه ومعلموه

3- القضاء الإسلامي وتعليمه ورجاله. [1]

وقد بينت الجمعية مقاصدها من خلال تقديمها لتقرير يتعلق بالشؤون الدينية جاء بعبارة نحن الآن باسم الدين وباسم الأمة نتمسك بعبارة (فصل الدين الإسلامي عن الحكومة الجزائرية) نريد تطبيقه على الكيفية الآتية:

أولا: فصل الدين الإسلامي عن الحكومة الجزائرية فصلا حقيقيا بحيث لا تتدخل في شيء من شؤونه لا ظاهرا ولا باطنا، لا في أصوله ولا في فروعه

ثانيا: تسليم ذلك كله إلى أيدي الأمة الإسلامية صاحبة الحق المطلق فيه، وتقرير سلطتهم على أمور دينهم تقريرا فعليا خالصا لا التواء فيه. [2]

وبعد المحاولات المتكررة التي قامت بها الجمعية في مطالبتها لتطبيق مبدأ الفصل بصفة رسمية على الإسلام أصدرت الحكومة الفرنسية قانون 20 سبتمبر1947م الذي وضع نظاما خاصا للجزائر، جاء في مادته 56 ما يلي:" إن استقلال الديانة الإسلامية مؤمن في نظر الدولة أسوة بالأديان الأخرى، وذلك في إطار ما ورد في قانون 9 ديسمبر ومرسوم 27 سبتمبر 1907م [3] وقد أحالت السلطات الفرنسية أمر تطبيق هذا المبدأ إلى المجلس الجزائري وأوقفت تطبيقه على مشيئته ، لكن ونظرا للهيمنة التي كانت تحيط بهذا المجلس من قبل السلطات الفرنسية لم يتمكن من اتخاذ أي قرار فيما يخص تامين استقلال الدين الإسلامي أو النظر في وضع أوقاف المساجد ومن ثم بقي هذا القرار حبرا على ورق ويقول التبشير الإبراهيمي في هذا الصدد مبينا نوايا الحكومة الاستعمارية من إصدار قانون الموافقة على مطالب الجمعية وبالخصوص في إحالة أمر تطبيقه إلى المجلس الجزائري : "طالبت الأمة بهذا الأصل الذي هو **الفصل** وبجميع فروعه المذكورة

1-الخطيب . مرجع سابق.ص. 173

2- المرجع نفسه . ص. 193

3- المرجع نفسه. ص. 194

وألحت في الطلب واختارت المناسبات واستعملت الوسائل ، فما كانت تلقى إلا الآذان الصماء والوعود الجوفاء إلى أن فرض عليها **دستور الجزائر** فجاء بمادة صريحة في التأويل ووكل تنفيذ ذلك المجلس الجزائري ونحن نعلم أن هذه القضية ستعرض على المجلس وانه صاحب الاختصاص فيها والمسؤول عنها، وان الحكومة ستريدكم على إبقاء ما كان على ما كان." [1]

وهكذا يتبين لنا مدى الجهد الذي بذلته جمعية العلماء في محاولاتها الرامية إلى إصلاح المفهوم الديني من جميع جوانبه الإيمانية والعملية ، فقد تصدت للطرقية التي كانت تهيمن على فكر المواطن الجزائري بسلبه إرادته فارضة عليه طقوسها التي تبدأ دائما باستنزاف جهده وماله قبل أن تحيله كومة هيكلية من خلوة الأذكار سامعا مطيعا ملبيا في خدمة الشيخ والزاوية، وكذلك قامت بمحاربة رجال التبشير المسيحي الذين كانوا يسعون إلى إخراج الشباب الإسلامي عن دينه عن طريق تشويه صورة الإسلام في أنظارهم، إعادة الاعتبار إلى كل الأصول الدينية بإعادة حكمها إلى أهله المختصين عن طريق العمل على تطبيق مبدأ فصل الدين على الدولة الفرنسية بمنعها من التدخل في أحكام الدين الإسلامي بأي طريق كان ليتحقق العدل بين الأديان فيكون للدين الإسلامي أهله مثله مثل بقية الديانات التي تحققت لهم الحرية بفصلها عن الأمور السياسية.

المبحث الثاني: الإصلاح في المجال الثقافي.

تطرقنا سابقا إلى واقع المجتمع الجزائري في المجال الثقافي قبل ظهور حركة الإصلاح وتناولنا فيه على الخصوص الحالة التعليمية للمواطنين الجزائريين التي تميزت في غالبيتها بالتخلف والانحطاط الذي كان كنتيجة حتمية لحالة الاضطهاد التي كان يعيشها الشعب الجزائري في ظل الاستعمار الفرنسي، أما في هذا المبحث نسعى إلى إبراز أعمال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في هذا المجال وبيان أهم التغييرات التي استطاعت أن تحققها في المجتمع الجزائري.

أولا : الاهتمام بالتعليم.

أظهرت أعمال الجمعية أن أهدافها لم تكن مقتصرة على الإصلاح الديني القائم على نشر مذهب ديني والدعوة إلى إصلاح أخلاقي فحسب بل تعدته إلى بعث الثقافة العربية ونشرها

1- الإبراهيمي. مرجع سابق. 1963.ص 199

بين الجزائريين إتباعا منها لمنهج الحركات الإصلاحية الإسلامية التي سبقتها والتي كانت تؤمن بان تحقيق الإصلاح الديني والفكري لا يمكن أن يتخذ سبيله إلى عقول المواطنين إلا إذا كان مصحوبا بالتعليم والتعليم القومي على وجه الخصوص والذي يشمل بالإضافة إلى مبادئ القراءة والكتابة على دراسة التاريخ العربي والإسلامي معتبرة ذلك كحافظ لماضي بلادهم الثقافي ومن حقها الإعلان بأن الشعب الجزائري المسلم يجب أن يعول على نفسه لضمان استمرار ثقافته الوطنية عن طريق القيام بحركة علمية واسعة بين المواطنين الجزائريين لتحقيق التجهيز المدرسي والاجتماعي والثقافي للأمة، كما كانت الجمعية تعتقد أن اللغة العربية هي لغة الإسلام الرسمية، ومن ثم فهي لغة المسلمين الدينية الرسمية، ولهذه اللغة على الأمة الجزائرية حقان أكيدان كل منهما يقتضي وجوب تعلمها حق من حيث إنها لغة دين الأمة بحكم أن الأمة مسلمة وحق من حيث إنها لغة جنسيتها بحكم أن الأمة عربية الجنس، ففي المحافظة عليها محافظة على الجنسية والدين معا[1]

وبناءا على هذا جاءت مطالب الجمعية لتحقيق هذا الهدف ، فطالبت بحرية تعليم اللغة العربية وحرية فتح المدارس في مختلف أنحاء الوطن ؛ ومن اجل تحقيق ذلك ناضلت لمدة خمسة عشر سنة في صمود وصراع مع الإدارة الاستعمارية وقراراتها وقوانينها التعسفية فتضامن معها المجتمع الجزائري وساعدها في تحقيق أهدافها حيث أنشأت مدارس التعليم العربي الحر والتعليم المسجدي ؛ ونظرا لأهمية هاتين المدرستين فسنتناولهما في هذا المبحث بالتفصيل .

1: التعليم المدرسي: (التعليم العربي الحر):

إن العمل المدرسي الذي قام به الاصلاحيون جدير بالعناية لعدة اعتبارات ،فمن حيث سعته تجاوز المحاولات السابقة في مجال التعليم الإسلامي الخاص، ومن حيث أهمية بعده الثقافي يشكل أحسن مساهمة للحركة الإصلاحية في التطور العام للأمة الإسلامية في الجزائر خلال ما بين الحربين العالميتين[2] ، فساهمت بذلك الجمعية في تصحيح الوضع الثقافي في الجزائر وحاولت تحسين الوضع الفكري للأمة وساهمت في ترقيتها الأخلاقية والاجتماعية، ولم يقتصر عملها على المدن الكبرى فقط بل وصل إلى

---

[1]- مراد. مرجع سابق. ص . 411

[2]- المرجع نفسه . ص . 412

مختلف مناطق الوطن و تجاوزه إلى أعماق فرنسا وذلك لإشرافها على بعض الجمعيات الخاصة والمدارس المتكفلة بتعليم المهاجرين الجزائريين للغة العربية والدين الإسلامي على الخصوص.

ولقد ظل التعليم الإصلاحي إلى غاية نشوب الحرب العالمية الثانية صنيع جمعيات ثقافية إصلاحية محلية مكونة من أشخاص امنوا بمبادئ الجمعية،حيث تتولى كل منها مهمة فتح مدرسة حرة وتتكفل بكل اللوازم المادية التي تخص المدرسة وتتولى أيضا دفع رواتب المعلمين وتأمين المسكن لهم بما تمول به من أموال عن طريق الاشتراكات المنتظمة لأعضاء الجمعية وأنصار الإصلاح في المدينة [1] أما عن دور الجمعية في هذا النشاط فقد كان يتمثل في اختيار المعلمين والإشراف على سلوكهم ونشاطهم كما يتمثل في الإشراف الفني على المدارس كاختيار البرامج التعليمية وتأمين الكتب اللازمة للتلاميذ وغيرها من الأعمال الإدارية التي كانت هي المسير الرئيسي لها،وبهذه الطريقة استطاعت الجمعية أن تشيد أكثر من 70 مدرسة عام 1935م ضمت حوالي 30الف تلميذ وتلميذة[2].

ولما كانت الوسائل المادية للحركة الإصلاحية متواضعة في بداية الأمر فقد لقيت في طريقها عدة صعوبات في هذا المجال خاصة منها الصعوبات المادية التي وجدت معها الجمعية نفسها غير قادرة على تلبية جميع طلبات المراكز التي كونتها وخاصة مع بداية سنة 1936م التي عرفت انتشارا واسعا لحركة التعليم في جميع مناطق الجزائر المدنية منها والريفية[3] ومن الصعوبات التي صادفتها المنافسة القوية التي لقيتها الجمعية من قبل الطرقيين والذين بدورهم حاولوا أن يحققوا بعض الإصلاحات على طرق التعليم البدائي الذي عرفته الزوايا منذ القديم

ونظرا للانتشار الواسع لنشاط الجمعية التعليمي فقد جعل السلطات الاستعمارية تتنبه إليها متخوفة من تطور تأثيرها الثقافي وخاصة مع انتشار صيتها السياسي غداة المؤتمر الإسلامي الجزائري الأول في جوان 1936م مما جعلها تتبنى سياسة جديدة إزاء الحركة الإصلاحية سعيا منها إلى تقليص تأثيراتها بمضايقتها بقراراتها الجائرة التي تعمل على

---

[1]- الخطيب. مرجع سابق. ص . 200

[2]- المرجع نفسه . ص. 201

[3]- مراد. مرجع سابق. ص . 414

عرقلة سير الحركة التعليمية التي تقوم بها الحركة الإصلاحية، وقد كان صدور هذه القرارات على التوالي منطلقا من **تعميمي ميشال** الصادر في شهر شباط 1933م والذي فرض مراقبة مشددة على نشاطات رجال الإصلاح المختلفة ومنها النشاط التعليمي؛كما ظهرت هذه المضايقات أيضا في **تمنيات** اللجنة الحكومية للشؤون الإسلامية التي تقدمت بها في شهر ماي 1934م وطالبت فيها بوقف الهجمات المعادية لفرنسا التي تشنها جمعية العلماء بواسطة التعليم والصحافة، وصولا إلى قرار 8 مارس 1938م[1] الذي بلغت به موجة الحملة التعسفية ضد نشاط جمعية العلماء الثقافي ذروتها *حيث ينص على: "إغلاق كل المدارس العربية الحرة التي لا تتمتع برخصة عمل ومنع كل معلم من مزاولة التعليم في المدارس المرخصة إلا بعد الحصول على رخصة تعليم من السلطات المسؤولة واخطر ما جاء به هذا القرار هو اعتباره اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر"[2] ويصف ابن باديس وضع المدارس التعليمية بعد صدور هذا القرار فيقول" فمدرسة دار الحديث مازالت مغلقة ، ومثلها مدرسة القليعة والمعلمون في بجاية وغيرها مازالوا يعاودون بالتغريم ويساقون إلى المحاكمة كمجرمين،وطلبات الرخص مازالت تقابل بالرفض أو بالسكوت"[3]

لقد كان تطبيق هذا المرسوم بمثابة ضربة قاسية لعمل الإصلاحيين المدرسي وتجلت هذه الضربة خاصة في توقيف الانتشار الثقافي للحركة الإصلاحية وانحسار التعليم العربي الحر في الجزائر وبقي الأمر على هذه الحالة إلى غاية نشوء الحرب العالمية الثانية سنة 1939م[4] . لم تستسلم الجمعية أمام هذا القرار بل كان ردها عليه شديدا وصريحا فقد وصفته بقانون العقاب الرهيب وتناوله ابن باديس في مقال بعنوان " ياالله! للإسلام والعربية في الجزائر (كل من يعلم بلا رخصة يغرم ثم يغرم ويسجن)". ومما قاله في ذلك أيضا: " فهمت الأمة كل هذا وفهمت أن هذا القانون سلاح جديد أشهر لمحاربتها (الأمة الجزائرية) في اعز عزيز عليها وأقدس مقدس لديها وهو قرآنها ودينها

[1]- الخطيب.مرجع سابق . ص. 204

*- يعرف هذا القرار "بقرار شوطان" نسبة إلى وزير الداخلية الفرنسي الذي أصدره في ذلك الوقت

[2]- الخطيب. مرجع سابق. ص. 205

[3]- المرجع نفسه . ص . 205

[4]- مرّاد. مرجع سابق. ص . 415

ولغة قرآنها ودينها...وفهمته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الممثلة للأمة في دينها وقرانها والناطقة في الدفاع عنها في هذه الناحية بلسانها، والمعاهدة لله والأمة على ذلك الدفاع إلى آخر رمق من حياتها"[1] كما أعلن بن باديس عزم الجمعية على مقاومة القانون بقوله:" إننا نعلن لخصوم الإسلام والعربية أننا عقدنا على المقاومة المشروعة عزمنا وسنمضي بعون الله في تعليم ديننا رغم ما يصيبنا ولن يصدنا عن ذلك شيء.. وإننا على يقين من أن العاقبة وان طال البلاء لنا ، وان النصر سيكون حليفنا"[2] كما أظهر الشيخ البشير الإبراهيمي موقف الجمعية من مختلف القرارات بوضوح فيقول "وما نجهر به من تنديد بالحكومة ومعاملاتها والتشهير بقوانينها وقراراتها،وفيما نصارحها به أننا لا نرضى بهذه القوانين لأنها مفروضة علينا فرضا في أمر يتعلق بنا وحدنا ،وهو ديننا ولغتنا،ولا نحترمها لأنها باطل والباطل لا يحترم ، ولا نقرها،لأنها حرب على ديننا ولغتنا ولا نحتملها ولو أدت إلى إغلاق جميع المدارس دفعة واحدة ،وإننا لا نرضى إلا بالحرية الصريحة " [3] وفي تحد لهذه القرارات استمرت الجمعية في نشاطها

يقول الشيخ الإبراهيمي عن هذا:

سعت الجمعية بما استطاعت من أسباب أن توسع دائرة الأمكنة بإحداث مكاتب حرة للتعليم المكتبي للصغار وبتنظيم دروس في الوعظ والإرشاد الديني في المساجد، وبتنظيم محاضرات في التهذيب وشؤون الحياة العامة في النوادي، وصحبها توفيق الله تعالى فنجحت مساعيها في هذا الباب نجاحا عظيمـــا، وأثمرت أعمالها إثمارا نافعا،ولولا موانع من الأحكام الإدارية الجائرة في غلق بعض المكاتب،والتضييق في إعطاء الرخص،وإيصاد المساجد في وجوه الوعاظ،لكانت النتيجة اليوم مما تغتبط به الجمعية العاملة المخلصة [4]

كانت كل الجهود المبذولة من طرف الإصلاحيين في هذا المجال مبنية على اعتقادهم أن التعليم العربي الحر هو الأداة الأضمن للمحافظة على الروح الجزائرية التي كانوا يعتقدون بأنها مهددة بالابتلاع من قبل الثقافة والفكر الفرنسي،ولإيمانهم بالأهمية الكبيرة التي يكتسيها هذا العامل في بناء الحضارات والأمم يقول ابن باديس " ولا أدل على وجود روح الحياة في الأمة وشعورها بنفسها ورغبتها في التقدم من أخذها بأسباب التعليم الذي

---

[1]- الخطيب. مرجع سابق. ص . 206

[2]- المرجع نفسه . ص. 206

[3]- الإبراهيمي. **آثار الامام محمد البشير الإبراهيمي** . جمع وتقديم احمد طالب الإبراهيمي. (1997م) . ج3.ص. 224

[4]- الخطيب. مرجع سابق. ص . 201

ينشر فيها الحياة ويبعثها على العمل ويسمو بشخصيتها في سلم الرقي الإنساني ويظهر كيانها بين الأمم"[1] وهكذا كانت مطالبتهم بتكوين مدارس إسلامية خاصة باللغة العربية على وعي منهم بأنهم يعكسون طموحات جماعتهم الثقافية التي كانت حريصة على أن لا تكون منقطعة عن ماضيها العربي الإسلامي وبها ظهر أعضاء الجمعية كجنود لنوع من الحرب المقدسة السياسية والدينية الرامية إلى تخليص الجزائر المسلمة من التأثر الفرنسي وبسط السيادة الحصرية للعروبة فيها.

وحتى يكون التعليم العربي ذا مردودية وضعت الجمعية منهجية خاصة قائمة في أساسها على إصلاح العقائد وتقويم الأخلاق عن طريق نشر تعليم القران الكريم والسنة النبوية من اجل تحصين المجتمع عقديا، بالإضافة إلى هذا حرصت على عدم التوسع للطلبة في العلم والاقتصار فقط على تلقين المبادئ الأولية وذلك مراعاةً للمدارك العقلية والقدرات الفهمية للطلبة.وقد أشار الإبراهيمي إلى هذا في قوله : " كانت الطريقة التي اتفقنا عليها أنا وابن باديس في تربية النشء هي أن لا نتوسع له في العلم وإنما نربيه على فكرة صحيحة مع قليل من العلم،فتمت لنا هذه التجربة في الجيش الذي أعددناه من تلاميذنا "[2] ، وأشار الامام ابن باديس إلى هذا المنهج أيضا في قوله "إن التوجه العام الذي توجهت فيه هذه التربية هو توجه التثقيف العقلي والتكوين الفكري والتهذيب الخلقي، لا توجه التوغل العلمي " [3]

ومن اجل أن تحقق الجمعية أهدافها انتقت من الكتب العلمية ما هو اقرب إلى الإفادة واعون على تحصيل الملكة العلمية متجنبة الكتب الجامدة والمعقدة مع عدم الاقتصار على الزاوية الدينية في التعليم بل تنوعت موادها بين الحساب والتاريخ والمنطق، الآداب والنحو..كما لم تستثني من هذا البرنامج التشجيع على تعلم اللغات الأجنبية، إذ لم يكن الاصلاحيون يتصورون حقا ثقافة جزائرية قائمة على الأحادية اللغوية العربية الصرفة، بل كانوا واعين تماما بالقيمة التربوية للتعليم اللائكي ويعترفون طواعية بالخدمات التي

---

[1]- ابن باديس." فاتحة العام الثاني من العقد الثاني " . **الشهاب** . ج1. مج 12.1936م.ص6

[2]- جفال . مرجع سابق. ص252

[3]- المرجع نفسه . ص252

قدمتها المدرسة الفرنسية لبلادهم[1] ؛ كانوا يعتقدون أن الوحدة الوطنية التي يطمحون إليها لا يمكن أن تتحقق في صلب الفرقة الثقافية،وقد جاء التصريح بصورة مباشرة من أعضاء الجمعية على ضرورة انفتاح المسلمين على الثقافة المزدوجة في قول ابن باديس " توجد في هذه البلاد لغتان شقيقتان على شاكلة الإخوة والوحدة الضرورية لأولئك الذين ينطقون بها [...] إنهما العربية والفرنسية ونأمل في أن تتعاون السلطات المسؤولة والشخصيات التي تتمتع بالوسائل المادية حتى تحقق تعليما مزدوجا فرنسيا وعربيا يستفيد الجميع من ثمراته "[2]

كل هذا يثبت أن المذهب الثقافي الإصلاحي لم يكن منغلقا على الثقافة الغربية ، إنما كانت فيه دعوة صريحة إلى الاطلاع على الثقافة الغربية وتعلم لغاتها وبالخصوص منها الفرنسية فبها يستطيع المواطن الجزائري أن يطلع على التطورات الحضارية في العالم فهي تعد بابا من أبواب الثقافة وسلاحا من أسلحة الحياة؛ولقد بين ابن باديس ذلك في قوله " إن الذي يحمل على المدنية اليوم هو أوربا ، فضروري لكل امة تريد أن تستثمر ثمار تلك العقول الناضجة وتكتنه ذخائر الأحوال الجارية ، أن تكون عالمة حية من لغات أوربا وكل امة جهلت جميع اللغات الغربية ، فإنها تبقى في عزلة عن هذا العالم ، مطروحة في صحراء الجهل والنسيان من الأمم المتمدنة التي تتقدم في هذه الحياة بسرعة لم يسبق لها مثيل "[3]

وبناءا على ما أدركته الجمعية من نقائص في مناهجها التعليمية جاء مشروعها الإصلاحي في مجال التعليم عامة،المدرسي منه والمسجدي علما منها انه لن يتم الأثر الايجابي للتربية والتعليم في توجيه الجزائريين الوجهة السليمة النافعة إلا إذا تغير مجرى التوجيه القائم وخلت الثقافة الإنسانية من عوامل الضعف والجمود ، وحتى تحقق الجمعية أهدافها التربوية سعت إلى الإصلاح من خلال ما اقترحه ابن باديس من أفكار فيقول:

" لما قفلنا من الحجاز وحللنا بقسنطينة سنة 1913م وعزمنا على القيام بالتدريس أدخلنا في برنامج دروسنا تعليم اللغة العربية وآدابها والتفسير والحديث والأصول ومبادئ التاريخ ومبادئ الجغرافيا والحساب وغير هذا ... ورأينا لزوم تقسيم المتعلمين إلى طبقات ، اخترنا للطبقة الصغرى منهم بعض الكتب الابتدائية التي وضعتها وزارة المعارف المصرية وأحدثنا

---

[1]– مرّاد. مرجع سابق. ص . 422

[2]– الشهاب. مرجع سابق. افريل 1930. ص152 . نقلا عن مراد . مرجع سابق . ص424

[3]– الإبراهيمي. مرجع سابق.(1997م) . ص . 225

تغييرا في أساليب التعليم وأخذنا نحث على تعليم جميع العلوم باللسانيين العربي والفرنسي ، ونحبب الناس في فهم القران وندعو الطلبة إلى الفكر والنظر في الفروع الفقهية والعمل على ربطها بادلتها الشرعية " [1]

ومن هذا فقد انصبّ اهتمام الجمعية أولا على إصلاح أساليب التعليم بقضائها على تلك الأساليب العتيقة والعقيمة التي كان يباشر بها التعليم واستبدلتها بأساليب حديثة تراها أكثر جدوى من الأساليب السابقة،فكان منهجها في التعليم المدرسي يعتمد على تلقين التلاميذ ابسط القواعد وأسهل التراكيــب اللغوية ثم تمكينها من نفوس التلاميذ عن طريق التمرينات التطبيقية ويدخل في هذا الباب قراءة القران الكريم؛فالجمعية تعطيه جزءا كبيرا من اهتماماتها فهو سلاحها الذي به تناضل وسيفها الذي به تصول وعدتها في الشدة، وعلى الدعوة إليه بنت مبدأها الإصلاحي وكان عمل الجمعية في القرآن هو تبيين حقائقه للناس ونشر فضائله بينهم وتحبيبه إلى نفوسهم .

واهتمت الجمعية بمكافحة الأمية لدى المواطنين المتقدمين في السن وذلك بتعليمهم مقدارما يرفع الأمية عنهم، كما حرصت الجمعية في مدارسها على اختيار أحسن المعلمين والذين كانوا في الغالب من خريجي الجامعات الإسلامية في الدول العربية المجاورة – الأزهر والزيتونة – وذلك لاعتبار المعلمين اخطر ركن من أركان التعليم، فنجاح التعليم متوقف عليهم أساسا. فهم يمثلون علماء الأمة ولن تصلح امة بشعبها إلا بصلاح علمائها " لن يصلح المسلمون حتى يصلح علماؤهم فان العلماء من الأمة بمثابة القلب إذا صلح ،صلح الجسد كله وإذا فسد فسد الجسد كله...فإذا أردنا إصلاح المسلمين فلنصلح علماءهم ولن يصلح العلماء إلا إذا صلح تعليمهم فالتعليم هو الذي يطبع شخصية المتعلم بالطابع الذي يكون عليه في مستقبل حياته وما يستقبل من عمله لنفسه وغيره، فإذا أردنا أن نصلح العلماء فلنصلح التعليم "[2].

و بناءا على هذا تمكنت الجمعية من توفير درجة تعليمية معينة عن طريق إنشائها لمدارس التعليم العربي الحر والتي تميزت في أساسها بكونها مدارس ابتدائية صغيرة لا تتعدى قسم واحد أو قسمين ،لكن وبالرغم من هذه البساطة التي تميزت بها هذه المدارس

---

[1]– ابن باديس . " عبداويون ثم وهابيون " . **الشهاب**. مرجع سابق. م3. ج10 . (1925). ص55

[2]– المرجع نفسه . " صلاح التعليم أساس الإصلاح" . ج11 . م1. (1934) .ص478.

الإصلاحية إلا أنها تمكنت من تحقيق نتائج ايجابية بارتفاع عدد الطلبة الحائزين فيها على الشهادات باللغة العربية مستوى ابتدائي لذلك فقد اضطرت الجمعية إلى إنشاء المعهد الإسلامي الذي كان يحتضن المتخرجين من السنة الخامسة الابتدائية ومن ماثلهم من ذوي الجهود الخاصة ؛ أما عن وظيفة هذا المعهد فتتمثل في تقوية الطلبة الجزائريين علما وعملا ،وفي القرآن حفظا وفهما وترويض ألسنتهم على القراءة والخطابة وأقلامهم عن الإنشاء والكتابة [1].ولقد تمكنت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من تكوين ثلاث معاهد بقسنطينة والجزائر وتلمسان والتي استطاعت بها أن تحقق نتائج جيدة في هذا المجال التعليمي؛ ويرجع هذا النجاح خاصة لعدة أسباب منها :

1- إخلاص القائمين على المشروع التعليمي.
2- الإيمان بان العلم هو المنقذ الوحيد للأمة.
3- مقاومة كل عناصر الفساد بشرا كانوا أم عادات وتقاليد وخرافات.

2 : التعليم المسجدي .

تمثل المساجد مركز الثقافة الدينية لدى المسلمين الجزائريين ولأهمية هذه الوظيفة وارتباطها مع أهداف الجمعية التي تطمح إلى الإصلاح في مختلف مجالات الحياة رأت أن المسجد هو أول مؤسسة يجب أن تبدأ منها دعوتها فحولت المساجد إلى مدارس ومعاهد تعقد فيها حلقات الدروس العلمية من ابتدائية وثانوية وعالية، وقد سمي هذا النوع من التعليم ،بالتعليم المسجدي وهو" ذلك التعليم الذي يلتزم فيه بكتب معينة في العلوم الدينية من تفسير وحديث ، وفقه وأصول وأخلاق وغيرها من العلوم الإنسانية وقواعد اللغة العربية وآدابها [...] يقوم بها مشايخ مقتدرون في تلك العلوم محسنون لتعليمها ونسميه مسجديا لأنه كان من فجر الإسلام إلى الآن مازال يلقى في المساجد "[2] ونظرا لأهمية التعليم المسجدي والأثر البالغ الذي يحدثه فقد قرنه الامام ابن باديس بالإسلام وجعله من أهم الضرورات التي يحتاجها الجزائريون فيقول:

---

[1]- الإبراهيمي. مرجع سابق.(1997م) . ص. 255
[2]- سجل المؤتمر. مرجع سابق .ص . 105

الإسلام دين الله الذي يجمع بين السعادتين وإنما يسعد بهما من اعتقد عقائده وتأدب بآدابه [..] ولابد لهذا كله من التعليم الديني الذي محله المساجد وبدونه لا سبيل إلى شيء من هذا كله،فصارت حاجة المسلمين إليه هي حاجتهم إلى الإسلام،وصار إعراضهم عنه هو إعراض عن الإسلام وهجر له ، وما انتهى المسلمون اليوم إلا بذلك الهجر وذلك الإعراض [..] ولن يرجى لهم شيء من السعادة الإسلامية إلا إذا اقبلوا على التعليم الديني [..] فارتباط المسجد بالتعليم كارتباطه بالصلاة فكما لا مسجد بدون صلاة كذلك لا مسجد بدون تعليم [1]

ويضيف ابن باديس قائلا : " فان العامة التي ترد إلى تلك المساجد تكون من العلم على حظ وافر وتتكون منها طبقة مثقفة الفكر صحيحة العقيدة بصيرة بالدين فتكل في نفوسهم ولا تهمل وقد عرفت العلم وذاقت حلاوته وهكذا ينتشر العلم في الأمة ويكثر طلابه من أبنائها"[2] بناءا على هذه الرؤية فقد جعلت الجمعية حرية التعليم في المساجد من أهم مطالبها في المؤتمر الإسلامي سنة 1936م ؛ كما ناضلت كل مخططات الاستعمار الفرنسي في إطاحته وتحقق لها معظم ما خططت له ويلخص ذلك الإبراهيمي عندما يقول " أما الجزائر فقد بدأت القائمة بهذا النوع من التعليم المسجدي وقام أمامها الشيخ عبد الحميد ابن باديس فسلخ من عبره خمسا وعشرين سنة على التعليم الحي المثمر المنظم وتخرج من دروسه جيل كامل عماد النهضة اليوم بما أعده للحياة وهيأه للقيادة وان الكثيرين من تلامذته وهم اليوم المجلون في ميدان التعليم المكتبي الذي تقوم به جمعية العلماء المسلمين"[3] .

3 - موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من تعليم المرأة :

كانت المرأة المسلمة في الجزائر قبل ظهور حركة الإصلاح الديني تعاني الجمود والركود والجهل والحرمان بسبب العادات والتقاليد الفاسدة والفهم الخاطئ للدين الإسلامي الأمر الذي أدى إلى ظهور بعض المحاولات للتغيير من طرف بعض المثقفين الجزائريين رغبة منهم في لفت الانتباه إلى حالة المرأة الجزائرية المزرية والبائسة ،إضافة إلى بعض الدراسات الاجتماعية من طرف الأوربيين الباحثين في أوضاع المرأة المسلمة عموما والجزائرية خصوصا ، وما يحمل على هذه المحاولات هو أنها لم تكن ذات نتائج ملموسة فهي لم تتعد مجرد الكتابات الأدبية ويبدوا أن اغلبها وعلى اختلاف مشاربها كانت تهدف

---

[1]-. سجل المؤتمر . مرجع سابق . ص. 105

[2]- المرجع نفسه . ص . 64

[3]- المرجع نفسه . ص. 65

إلى المساهمة في مسألة تحرير المرأة المسلمة في المغرب العربي على الخصوص والبلاد العربي الإسلامي عموما ومن ثم فلم تعد على المرأة الجزائرية بأية الفائدة ، وقد كان لجمعية العلماء في هذا الأخير رأي إذ شاركت في النقاش الدائر مشاركة فعالة وخالفت دعاة التحرر في صفة الحرية التي كانوا يسعون لتحقيقها في المرأة، فرأت أن حرية المرأة الحقيقية إنما تتحقق بالتعليم الديني والتعليم الوطني، كما ناقشت موضوع حجاب المرأة المسلمة ورأت انه لم يكن يوما عائقا أمام تطورها وهذا في قول ابن باديس " إذا أردتم إصلاحها الحقيقي فارفعوا حجاب الجهل عن عقلها قبل أن ترفعوا حجاب الستر عن وجهها، فان حجاب الجهل هو الذي أخرها وأما حجاب الستر فانه ما ضرها في زمان تقدمها ، فقد بلغت بنات بغداد وبنات قرطبة وبنات بجاية مكانا عاليا في العلم وهن متحجبات "[1] وتشير الجمعية إلى الدور المهم الذي تلعبه المرأة في الأمة الواحدة: " فترى أن الأمة كالطائرة لا تطير إلا بجناحين وجناحاها هما الرجل والمرأة لا يمكن أن تطير إلا بهما معا ،ومن ثم فان الأمة التي تقصر التعليم على الرجل دون المرأة ستكون نهايتها السقوط لا محالا "[2] ، إذا فالمرأة المتعلمة هي جزء مكمل وضروري للرجل المتعلم ، لان المرأة إذا تعطلت عطلت الرجل وإذا تأخرت أخرته وفي هذا يقول ابن باديس:

> انه إذا أردنا أن نكوّن رجالا فعلينا أن نكون أمهات دينيات، ولا سبيل لذلك إلا بتعليم البنات تعليما ديننا وتربيهم تربية إسلامية.وإذا تركناهن على ماهن عليه من الجهل بالدين ، فمحال أن نرجو منهن أن يكوّن لنا عظماء الرجال ، وشر من تركهن جاهلات بالدين ، إلقاؤهن حيث يربين تربية تنفرهن من الدين ، وان تحقره في أعينهن ، فيصبحن ممسوخات لا يلدن إلا مثلهن ، ولئن تكون الأم جاهلة بالدين محبة له بالفطرة ، تلد للأمة من يمكن تعليمه وتداركه ، خير بكثير من أن تكون محتقرة للدين ، تلد للأمة من يكون بلاء عليها ، وحربا لدينها [3]

ومن اجل تحقيق كل هذا جعلت الجمعية للفتيات الجزائريات نصيبا في مدارسها التي انشاتها فجعلت لها تعليما مجانيا بخلاف الطلبة الذكور كما فتحت للمرأة – ربة البيت – باب الجامع الأخضر تتلقى فيه دروس الوعظ والإرشاد، وقد وصلت الجمعية بنشاطها هذا إلى تخريج عدد كبير من الطالبات التي أصبحن كمعلمات في مدارس الجمعية .

---

[1]– الخطيب. مرجع سابق. ص. 232

[2]– بن رحال. مرجع سابق. ص . 63

[3]– زروقة . مرجع سابق. ص. 174

وبناءا على كل هذه الانجازات الكثيرة في مجال التعليم يمكن أن نقول: أن جمعية العلماء تمكنت من تحقيق من أهدافها وتمكنت من تحقيق الإصلاح والتغيير الذي كانت تطمح إليه رغم الصعوبات الكثيرة التي لقيتها في طريقها وتشهد عليها أعمالها،إذ تمكنت من إنشاء مائة وخمسون مدرسة ابتدائية تضم خمسين ألفا من بنين وبنات، كما تمكنت من إنشاء معهد ثانوي يضم ألفا وثلاثمائة تلميذ يدرسون علوم اللغة والدين والتاريخ الإسلامي وغيرها من العلوم ،ومن أعمال الجمعية مشروع محو الأمية الذي أنقذت به نحو سبعمائة تلميذ ،ولها في جامع القروين بمدينة فاس من المغرب الأقصى بعثات تصل في بعض السنين إلى المائتين وتزيد ولها في الشرق العربي عدد كبير من الطلبة المبعوثين للتعليم العالي فيبلغ عددهم أكثر من ستين طالبا موزعين على مختلف الدول العربية،ولم تتوقف أعمالها إلى هذا الحد بل تعدت بمشاريعها إلى خارج الوطن العربي إلى فرنسا،حيث تمكنت من إنشاء مكتب إسلامي مزود بمعلمين يتكفلون بالعمال المسلمين الجزائريين ليحفظوا دينهم وعقيدتهم ووطنيتهم، كما استطاعت الجمعية أن تنشئ نحو سبعين مسجدا في المدن والقرى الجزائرية وعمرتها بالأئمة الصالحين والمدرسين النافعين[1].

ثانيا : جهود جمعية العلماء للإصلاح عن طريق الصحافة :

لم يقتصر نشاط جمعية العلماء المسلمين على ميدان التعليم المدرس والمسجدي فحسب بل تعداه إلى ميدان آخر لا يقل أهمية عن التعليم في تأثيره وسعته، ذلك هو ميدان الصحافة التي مارست الجمعية من خلالها عملها الإصلاحي والجهادي ، فكانت بمثابة مدرسة شعبية متنقلة وهمزة وصل بين مختلف فئات الأمة تنشر فيها ما تسعى إليه من أهداف وما تراه ضروريا لتغيير حال الشعب الجزائري ولقد كان لجوء الجمعية إلى هذه الوسيلة بالخصوص إدراكا منها للدور الحضاري الذي تلعبه الصحافة في أيقاظ الشعور الإسلامي الجزائري وفي ربط الجزائريين بالعالم الإسلامي وتقوية الوعي الوطني ، فالصحافة تعد كسلاح يستعمل في محاربة الظلم والدفاع عن الحرية والحق والسلام ، وهي كذلك وسيلة لنشر المعرفة والعلوم المختلفة .

لكل هذه الاعتبارات كان اختيار جمعية العلماء لهذه الوسيلة ولقد ظهر أول اعتماد لها بمبادرة من الامام عبد الحميد ابن باديس الذي أدرك الأهمية القصوى التي تحققها

---

[1]- الإبراهيمي. مرجع سابق. (1997) . ج4 . ص.120

الصحافة في مجال الإعلان والتبليغ وفي أنها الوسيلة التي يمكن أن تصل إلى اكبر عدد من الناس بأسرع طريق وأوسع رقعة وليس هناك وسيلة انفع للاتصال بالجمهور الواسع سوى الصحافة الوطنية الحرة ،ومن هذا دخل عالم الصحافة قائلا :" باسم الله ثم باسم الحق والوطن ندخل عالم الصحافة العظيم شاعرين بعظمة المسؤولية التي نتحملها فيه مستسهلين كل صعب في سبيل الغاية التي نحن إليه ساعون والمبدأ الذي نحن عليه عاملون "[1] وقد تمثل عمله بالتحديد في إصداره لجريدة **المنتقد** سنة 1925م (لسان حال الشباب الناهض في القطر الجزائري) والتي تميزت من البداية بحدة أسلوبها وشدة انتقادها لسياسة الاستعمار الفرنسي في الجزائر وكذا تميزت بقوة حربها للبدع والطرق الصوفية الضالة، فكانت بهذا جريدة سياسية تهذيبية انتقاديه شعارها "الحق فوق كل احد ، والوطن فوق كل شيء "[2]

لقد استطاعت هذه الجريدة أن تجمع العديد من الأقلام العربية إليها مثل مبارك الميلي والطيب العقبي ومحمد العيد آل خليفة وغيرهم من الشباب المسلمين العائدين من جامعتي الزيتونة والأزهر وتحملت بذلك مهمة الإصلاح الديني والدفاع عن الإسلام بتنزيهه عما ينسبه إليه المبتدعون ،كما اهتمت بالوطنية من خلال ما كانت تنشره من مقالات قاصدة لفت المسلمين في الجزائر إلى حقيقة وضعيتهم بين الأمم بأنهم امة لها قوميتها ولغتها ودينها وتاريخها فهي بذلك امة تامة الأممية لا ينقصها شيء من مقومات الأمم وأنهم إلى ذلك مرتبطون بأمة عظيمة ذات تاريخ مجيد ومدنية راقية وحكومة منظمة[3] ،ولكن جريدة المنتقد لم تدم طويلا فقد أوقفتها الإدارة الاستعمارية بعد ثمانيةعشر عددا فقط ،وبعد تعطيل هذه الجريدة اصدر ابن باديس جريدة **الشهاب** في 12 تشرين الثاني 1925م ، وقد كانت الجريدة أسبوعية في بداية تأسيسها ثم تحولت إلى مجلة شهرية تبحث في كل ما من شانه أن يرقي المسلم الجزائري وذلك ابتداءا من شهر رمضان المعظم لسنة 1929م،ولقد كان لها مساهمة كبيرة في مواصلة الخط الإصلاحي الجهادي ، والمنهج الدعوي والمبدأ السياسي الذي ابتدأته وانتهجته والتزمته المنتقد قبلها من المحافظة

---

[1]– ابن باديس . مرجع سابق. ج5 .(1991م) . ص. 172

[2]– تركي. مرجع سابق. (2001 م) . ص 249

[3]– زروقة . مرجع سابق . ص. 179

على حقوق الأمة والدفاع عن مقوماتها[1] ومما تميزت به الشهاب عن المنتقد هو مرونة أسلوبها حيث كان الناشر فيها يلين القول ويخفف اللهجة مع السلطات الاستعمارية الحاكمة في فرنسا؛ بينما يغلظه ويحتد فيه مع أقطاب الاستعمار من معمرين ومستشرقين ومن لف لفهم من المتفرنسين والخونة في الجزائر[2] ،ولقد كان إتباع الجمعية لهذا الأسلوب تفاديا منها للمشاحنات مع السلطات الاستعمارية حتى لا تؤدي إلى إيقاف المجلة ولكن بالرغم من هذا الأسلوب المختار إلا أنها كانت تظهر جرأة كبيرة في المسائل التي تخص القومية الجزائري الإسلامية والعربية والكرامة الوطنية في وجه كل من يحاول المساس بها أو التهجم عليها مهما كان مركزه. ومن هذه العبارات ما كتبه الامام ابن باديس:

" أن الشهاب معتز بخطته ثابت على مبادئه وهو يتشرف أن يكون ممثلا للقومية الجزائرية... وان هذه القومية الجزائرية التي لن تفنى ولن تزول ليست بالحركة الهدامة ولا هي بالحركة المثيرة المهيجة كلا بل إنما هي حركة امة تريد أن تحفظ نفسها ، وتصون ذكرى أسلافها ، وتحتفظ بمميزاتها ، وتراثها العتيق ، وتمديد الصداقة والولاء ، والانعطاف والارتباط المتين لدولة الجمهورية (فرنسا) " ثم يعلن بكل جرأة " فان كانت لغيرنا كرامة ، فليعلم ذلك الغير أن لنا نحن أيضا شرفا رفيع العماد ، لا نسمح أن يدنسه احد "[3]

ومما تميزت به الشهاب أيضا أنها كانت متعددة الشعارات، إذ كان شعارها في بدايتها (مبدؤنا في الإصلاح الديني والدنيوي: **لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها)** ومكتوب أسفله **(الحق والعدل والمؤاخاة في إعطاء جميع الحقوق للذين قاموا بجميع الواجبات)** وفي أركان الغلاف الأربعة نجد العبارات التالية : **الحرية، العدالة ،الإخوة و السلام،** فقد كان ابن باديس يشير من خلال هذه الشعارات إلى المرحلة السياسية التي كان يطمع فيها الجزائريون أن تلتفت الحكومة الفرنسية إلى مطالبهم بعد أن ساهموا معها في الحرب العالمية الأولى، لكن ومع الخذلان الذي لقيه الجزائريون من طرف الحكومة الفرنسية استبدل هذا الشعار بشعار آخر وهو (**لنعول على أنفسنا ،ولنتكل على الله**) بعد أن سبقه بمقال بعنوان : هل أن أوان اليأس من فرنسا.

---

[1]- زروقة . مرجع سابق.ص . 18

[2]- محمد ناصر. **الصحف العربية الجزائرية من 1847 م إلى 1939م.** الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر.1978.ص. 45

[3]- ابن باديس . " تستطيع الظروف أن تكفينا " . مرجع سابق .ج3 .م13. (1937م). ص 165-166

فهذه الشعارات تدل على مدى ارتباط الشهاب بقضايا الجزائر وبأحوالها وأحوال شعبها السياسية والاجتماعية ،فقد حملت منذ عددها الأول لواء الدفاع عن حقوق الشعب الجزائري المهضومة والشخصية الجزائرية لتستمر في تأدية رسالتها الوطنية والإسلامية والعربية بكل إخلاص وتفان فتشتد أحيانا وتلين أحيانا أخرى حتى أصبحت مركزا لتجمع الكتاب والمثقفين الوطنيين من كل جهات الوطن العربي، كونها حاملة للواء الدفاع عن القومية العربية والإسلامية عموما وكذا الدفاع عن مقومات الشخصية الوطنية القائمة على المبادئ الثلاثة لحركة الإصلاح الإسلامية والتي تتمثل في الإسلام، والعروبة والوطنية الصادقة، ومن هنا تظهر الأهمية التاريخية والإسلامية والعربية والوطنية لمجلة الشهاب، حيث تعتبر سجلا حافلا بكل القيم التي ناضلت من اجلها كافة بلدان المغرب العربي فيما بين الحربين. واستمرت الشهاب في الصدور إلى أن أوقفها الامام ابن باديس من تلقاء نفسه في أيلول من عام 1939م تفاديا منه للرضوخ للسلطة الاستعمارية التي كانت تسعى لكسب تأييده ومساندته في الحرب العالمية الثانية في الدخول إلى جانب الحلفاء ضد الألمان[1]

بالإضافة إلى هاتان الجريدتان التي كان ابن باديس هو المساهم الرئيسي فيهما أصدرت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين صحيفة بعنوان:**السنة النبوية المحمدية** وهي جريدة أسبوعية يشرف عليها الامام ابن باديس ويرأس تحريرها الأستاذان الطيب العقبي ، والسعيد الزاهري وقد كان سبب صدورها هو نشر سنة النبي صلى الله عليه وسلم وهديه بين الناس "وبذلك يكون المسلمون مهتدون بهدي نبيهم في الأقوال والأفعال،والسير والأحوال حتى يكونوا للناس،كما كان هو صلى الله عليه وسلم مثالا أعلى في الكمال"[2]إضافة إلى هذا الدافع ، فقد كان هناك دافع آخر شجع الجمعية على إصدارها لهذه الجريدة وهو الوقوف بحزم أمام النشاط المعادي للعلماء وللجمعية وبالخصوص الجماعة الطرقية المنفصلة عن الجمعية و التي قامت بتأسيس جمعية علماء السنة ، فالجمعية ومن خلال إصدارها لهذه الصحيفة الأخيرة وبهذا الاسم بالتحديد قصدت منه بيان طريق السنة الحقيقي وهو معاداة أعداء الإسلام ، إلا أن هذه الجريدة لم يكتب لها أن تعمر طويلا فقد

---

[1]- زروقة . مرجع سابق . ص. 182

[2]- المرجع نفسه . ص . 182

تعرضت للإيقاف بسبب أهدافها الواضحة والصريحة. وبعد هذه الصحيفة كان للجمعية إصدار آخر في7 تموز 1933م تمثل في **جريدة الشريعة المحمدية**، والتي تعرضت هي الأخرى للمصادرة في 28 افريل 1933م بالرغم مما أظهرته من مرونة للجمهورية الفرنسية ، وبعد هذه الجريدة أصدرت الجمعية جريدة **الصراط السوي** التي صودرت في بداية كانون الثاني 1934م[1] وهكذا تمكنت الجمعية وفي ظرف عام واحد من إصدار ثلاث جرائد على التوالي تعرضت كلها للمصادرة من طرف السلطات الاستعمارية.

ومع الانفراج السياسي الذي عرفته فرنسا بتغيير المسؤول الفرنسي **مرانت** بالمستشرق **ميو** وجدت الجمعية حريتها في الصحافة بفضل الرخصة التي منحها إياها المسؤول الجديد فأصدرت بذلك جريدة البصائر في27 كانون الأول 1935م ، والتي كانت لسان حال الجمعية حيث تهتم بكل ما يتعلق بنشاطات الجمعية الإصلاحية، وقد عمدت الجمعية في هذه الجريدة إلى نفس الخطة التي سيّرت بها مجلة الشهاب ، فكان ظاهرها مسالمة الحكومة الفرنسية وإظهار الثقة بها، لكونه حكومة ديمقراطية يسيرها رجال ينتمون إلى الجبهة الشعبية وباطنها عداوة متحكمة وشديدة للموظفين الرسميين ورجال الطرق والأحزاب المعادية لجمعية العلماء ، وقد استمرت الجريدة بهذه الطريقة حتى قيام الحرب العالمية الثانية ،حيث أوقفت فيها الجمعية جميع صحفها التزاما منها السكوت وقت الحرب لتعود بعد الحرب العالمية الثانية تحت إشراف وإدارة الشيخ البشير الإبراهيمي[2].

من خلال هذه المجموعة الكبيرة من الصحف استطاعت الجمعية أن تحقق مساحة واسعة لحركتها الإصلاحية من حيث الزمان والمكان، فقد ساهمت الصحافة في إيصال صدى الحركة الإصلاحية إلى ابعد نقطة في الوطن، بل حتى خارج الوطن وساهمت بشكل كبير في التعبئة الجماهيرية، وإنضاج الوعي السياسي وبناء الحس الوطني والسياسي والاجتماعي والإصلاحي.

ثالثا : الإصلاح في المجال السياسي :

كانت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين منذ تأسيسها تؤكد على بعدها عن الشؤون السياسية وتؤكد بأنها ما هي إلا جمعية دينية تسعى إلى الإصلاح الديني والخلقي للشعب

[1]– زروقة . مرجع سابق . ص. 183

[2]– المرجع نفسه . ص. 184

الجزائري وقد كان كل الإصلاحيين يحددون ذواتهم في هذه الجمعية كرجال دين لا يخفون خشيتهم وحتى كرههم للعمل السياسي سواء كان هذا من باب القناعة الشخصية أو من باب الحيطة والحذر والمهارة التكتيكية ، وقد أشار علماء الجمعية بان السياسة غريبة عن حركتهم وبأنهم هم أنفسهم لا ينشدون سوى إصلاح دين وأخلاق المسلمين الجزائريين كما جاء التأكيد على هذه الصفة في قانونها الأساسي انه " لا يسوغ لهذه الجمعية بأي حال من الأحوال أن تخوض أو تتدخل في المسائل السياسية "[1] وقد جاء التأكيد على هذا المبدأ أيضا في مجالات أخرى ومنها ما جاء على لسان الامام عبد الحميد بن باديس في قوله: " أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين قد صرحت في ظروف وفرص مختلفة –ولا زالت تصرح وتؤكد – أنها بريئة من كل صبغة سياسية وان خطتها وغايتها وأغراضها التي لم تحد ولن تحيد عنها قط هي دينية علمية تهذيبية لا غير"[2]

لم تكن هذه التأكيدات إلا تظاهرات وتحفظات من قبل أعضاء الجمعية حتى لا تكون تحت سيطرة الاستعمار ولم تكن بذلك أن تتخلى عن جانب من جوانب الإصلاح،فإنها كانت تدرك أن الإصلاح الفعال الذي يجب أن يتحقق في الجزائر لا يجب أن يقتصر على جانب دون جانب آخر وإنما يجب أن يكون شاملا لكل جوانب الحياة والإصلاح في حقيقته قد" يبدأ بالثقافة أو بالدين أو بالمجتمع ولكنه في نهاية الأمر يغطي كل مظاهر الحياة في مجتمع ما بما في ذلك السياسة "[3] ، وجمعية العلماء ترى أن عالم الدين إذا لم يكن عالما بالسياسة ولا عاملا لها فليس بعالم وإذا تخلى العالم الديني عن السياسة فمن ذا يصرفها ويديرها فإنها ستنتقل طبعا للجهال [4]ولا يعني تحفظ الجمعية عن الدخول في السياسة بشكل مباشر استغناءا منها وإهمالا لشؤون الوطنية والقومية فهذا أمر لا يتنازل عنه وقد بين الامام ابن باديس رأيه في هذا الشأن منذ اللحظة الأولى لبدء حركته الإصلاحية فيقول " ولأننا جزائريون نعمل للم شعب الأمة الجزائرية وإحياء روح القومية في أبنائها وترغيبهم في العمل النافع والعمل المفيد حتى ينهضوا كأمة لها حق الحياة

---

[1]– ابن باديس .مرجع سابق . (1991م) .ج5. ص. 93

[2]– المرجع نفسه . ج3.ص .432.

[3]– سعد الله . مرجع سابق. 1992م .ص.88

[4]– بن رحال. مرجع سابق. ص . 64

والانتفاع في العالم وعليها واجب الخدمة والنفع للإنسانية "[1]ولقد أكد الامام أيضا على قدرة الجمعية وبكل فعالية في البروز بالعمل السياسي إلا أن هناك ظروفا خاصة في المجتمع الجزائري اقتضت من الجمعية أن تسلك هذا الطريق السلمي فيقول: " لو أردنا أن ندخل الميدان السياسي لدخلناه جهرا ولضربنا فيه المثل بما عرف عنا من ثباتنا وتضحيتنا ولقدنا الأمة كلها للمطالبة بحقوقها وكان أسهل شيء علينا أن نسير بها ما نرسمه لها وان نبلغ من نفوسنا إلى أقصى غايات التأثير عليها "[2] وبناءا على هذا فقد كان الجهاد التربوي الإصلاحي هوالمعتمد لدى الجمعية الإصلاحية والتغيرية على حساب العمل السياسي الحزبي المعروف. يقول الامام في هذا" فإننا اخترنا الخطة الدينية على غيرهاعن علم وبصيرة وتمسكا بما هو مناسب لفطرتنا وتربيتنا من النصح والإرشاد،وبث الخير والثبات على وجه واحد والسير في خط مستقيم"[3] ، ومن اجل تحقيق الأهداف المنشودة فقد اتبعت الجمعية مخططا ذكيا ظهرت فيه بصفة الموالاة للحكومة الفرنسية عن طريق المرونة السياسية التي اتبعتها في كثير مما تنشره في مجلاتها وجرائدها المختلفة ومن المواقف التي ظهرت بها بهذه الصفة: ما جاء في المبادئ العامة التي جاءت في العدد الأول من جريدة المنتقد التي تبين فيها الجمعية سياسة الحركة الإصلاحية في الجزائر: "الشعب الجزائري شعب ضعيف ومتأخر وهو بحاجة إلى أن يعيش في كنف امة قوية تمكنه من الرقي في سبيل الحضارة والعمران،أن مثل هذه الخصال يلفيها في فرنسا التي تربطه بها أواصر الصداقة والمصلحة .أن نشاطنا يتمثل في تشجيع التفاهم بين الشعبين الجزائري والفرنسي وعرض طموحات الشعب الجزائري على الحكومة والدفاع عن حقوقه بكل صراحة وصدق"[4]، كما جاء فيها أيضا: قول ابن باديس"أن الجزائريين مرتبطون بأمة عظيمة لها تاريخ مجيد وحضارة كبرى ودولة منظمة أيما تنظيم، ومن ثم فمن واجبهم عدم إغفال هذه الاعتبارات وتشريف قوميتهم ولغتهم ودينهم وتاريخهم مع احترام الأمة التي هم مرتبطون بها وكذا الدولة التي يخضعون لقوانـينها" [5]ومنـها

---

[1]- ابن باديس . مرجع سابق. (1991م) . ج5.ص .93

[2]- المرجع نفسه . ج3 . ص. 295

[3]- المرجع نفسه . ج5 . ص. 173

[4]- المرجع نفسه . ص. 174

[5]- المرجع نفسه . ص. 173

قولــــــهم : "أيها المسلم الجزائري اعتن بصحتك واعتن بفكرك واعتن بحياتك وأحفظ مبادئك السياسية ولا سياسة لك إلا التثبت بفرنسا" [1] ، لم تكن الجمعية تنوي من هذه العبارات التي تشمل على بعض الإيحاءات مثل: الوطن الجزائري،الدولة الجزائرية،الأمة الجزائرية،الجنسية.. الطعن المباشرة في الحكومة الفرنسية ، بل كانت تؤكد دائما على إخلاصها الجم إزاء فرنسا بألفاظ يصعب الطعن في صدقها ويمكن أن نرجع سبب سلوك الجمعية لأسلوب المرونة مع الحكومة الفرنسية إلى الثقة التي وضعتها فيها ابتداءا ، اعتقادا منها بان فرنسا ستخلص في النهاية إلى الإصغاء إلى مطالبهم رغم عقبة النظام الاستعماري ، كما كان في اعتقادها أن رفع الصوت بهذه الطريقة هو الذي سيضمن لهم أداء حقوق الجزائريين وبها تتحقق خدمة الشعب الجزائري المسلم والأمة الفرنسية في أن واحد ولقد بقيت الجمعية على هذه الحالة إلى غاية عقدها للمؤتمر الإسلامي الأول في 1936م. [2]

ومع هذا الأسلوب السياسي الذي انتهجته الجمعية كانت حريصة كل الحرص على اطلاع المسؤولين الفرنسيين على تعلق الأمة بشخصيتها العربية والإسلامية مع تشبثها لنيل الحقوق المدنية ولكن من دون أن تصادم بذلك كبرياء فرنسا فيسبب في تصلبها، بالإضافة إلى هذا ،فقد ظهرت بمواقف سياسية واضحة أمام ظروف وجدت نفسها فيها مجبرة على الظهور بشكل واضح وبصفة معنفة لسياسة الحكومة الفرنسية وهذا في عدة مواقف منها: دفاعها عن الشخصية الجزائرية وتأكيدها عليها ، محاربتها لقانون التجنيس والاندماج ومشروع فيوليت ، ولعلى ابرز موقف ظهرت به الجمعية في هذا المجال دعوتها لعقد المؤتمر الإسلامي عام 1936 م والذي دل على إخفاق سياسة حسن النية وتراجع الثقة التي وضعتها الجمعية في الحكومة الفرنسية. ويمكن تفصيل مواقف جمعية العلماء في هذا المجال كما يلي :

1 - التأكيد على الوطنية الجزائرية والشخصية الإسلامية:

رغم سياسة المرونة التي اتبعتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلا أنها لم تكن

---

[1]- مرّاد . مرجع سابق. ص. 476

[2]- المرجع نفسه . ص. 476

تخشى من الإعلان عن انتمائها للقومية الجزائرية التي تمثل جنسيتهم الخاصة وبالتالي تعارض مذاهب الاندماج ، فمنذ 1925م – تاريخ بداية نشاط العلماء العمومي– وضع ابن باديس وأصحابه دعايتهم تحت راية الوطنية التي تعبر عن فكرة حب الوطن والمحافظة على الصفات المميزة لقوميتهم أو خصوصيتهم الوطنية ، فهاتان المرجعيتان كانتا تشكلان أساس مذهبهم السياسي إذ كانت الجمعية وبناءا على هذا وفي جميع مسارها الإصلاحي حريصة على تأكيد الجنسية الجزائرية والشخصية الإسلامية وحتى توفق الجمعية بين هذه الغاية وبين وفائها الظاهري لفرنسا[1] ، قام ابن باديس بالتفريق والتمييز بين ما يسميه **الجنسية القومية والجنسية السياسية** : فيقصد بالأولى "مجموعة الصفات الاجتماعية والثقافية الخاصة لجماعة بشرية ما"[2]، أما الجنسية السياسية: "فتدل على الوضع المدني والسياسي الخاص بهذه الجماعة في فترة ما من تاريخها"[3] ويوضح قوله هذا بالتمثيل بالجزائر تحت الوصاية الفرنسية فيقول:" ومن الممكن أن يدوم الاتحاد بين شعبين مختلفين في الجنسية القومية إذا تناصفا وتخالصا فيما ارتبطا به من الجنسية السياسية التي قضت بها الظروف واقتضتها المصلحة المشتركة"[4] فيبدوامن هذا أن الإصلاحيين أو أعضاء الجمعية ينظرون إلى الجنسية السياسية كنوع من البطاقة الخارجية التي يلزم بها تحت ظروف معينة ومن شانها أن تتعرض لتغييرات مع مرور الزمن وعلى العكس من ذلك تماما فان الشخصية القومية تعبر عن واقع عميق للشعب الجزائري المسلم وتدل على هويته الحقيقية التي هي مانعة وغير قابلة للهدم بأي حال من الأحوال ، وربما يكون أكمل تصريح وأوضحه على الصفات المكونة للشخصية الجزائرية ما صدر عن الجمعية في 1936م، ويتعلق الأمر بالمقال المنشور بعنوان **(كلمة صريحة)** الذي يرد فيه ابن باديس وبكل قوة على النزعة الاندماجية التي أظهرها فرحات عباس[5]حيث يقول: "أن هذه الأمة الجزائرية الإسلامية ليست هي فرنسا ولا يمكن أن تكون فرنسا ولا تريد أن تصير فرنسا ولا تستطيع أن تصير فرنسا ولو أرادت، بل هي أمه بعيدة عن فرنسا كل البعد. في لغتها وفي أخلاقها

---

[1]– مراد. مرجع سابق. ص،ص. 482،481

[2]– ابن باديس .مرجع سابق .ج5 . (1991). ص 325

[3]– المرجع نفسه . ص . 325

[4]– المرجع نفسه . ص. 325

[5]– مرّاد. مرجع سابق. ص . 483

وفي عنصرها وفي دينها لا تريد أن تندمج" [1] هذا وقد عد هذا التصريح الرسمي الصادر من الجمعية احد الأفعال السياسية للحركة الإصلاحية حيث طرحت فيه بوضوح مبادئ الحركة الإصلاحية الوطنية التي تقوم على أساس تحديد شخصية الجزائر جزائرية مرتبطة بفرنسا ولكنها غير مقترنة بها ؛ فالجمعية إذن تؤكد على الشخصية الجزائرية المنفردة بكل قواها مع إدانة كل ما بدا لها إساءة للشخصية والهوية ومحاربة جميع المذاهب والمواقف الموالية لفرنسة الشعب الجزائري[2]

2- موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من سياسة التجنيس :

يعد النص القانوني **السيناتوس كونسولت** الصادر في 14 جويلية 1865م مفتاح الجنسية الفرنسية للجزائريين فهو ال**قانون** والذي بموجبه يمكن المسلم الجزائري أن يتمتع بحقوق المواطن الفرنسي ويستلزم تخلي الجزائريين عن أحوالهم الشخصية [3]،وبالرغم من صدور هذا القانون إلا أن طلبات التجنس المقدمة سنويا من قبل المسلمين الجزائريين لم تتجاوز معدل ثلاثين طلبا فقط لتصل بين 14 جويلية 1865 و31 ديسمبر 1899م إلى 1131 تجنيسا فرديا بين الأهالي المسلمين ، مع الإشارة إلى أن اغلب هؤلاء المتجنسين كانوا من الجنود الذين يرغبون في الترقي إلى رتبة عسكرية أعلى مخصصة فقط للمواطنين الفرنسيين،وبالتالي فان هذا القانون لم يثر مخاوف الحركة الإصلاحية في بدايته كون هؤلاء المتجنسين كانوا يعيشون على هامش المجتمع الجزائري وبالتالي فلم يكن لهم تأثير كبير على العامة ، غير انه وغداة الحرب العالمية الأولى حثت ترتيبات قانون 4 فيفري 1919 م عددا كبيرا من المسلمين عن التماس المواطنة الفرنسية وهكذا تسارعت حركة التجنس بشكل كبير انطلاقا من 1930 فبلغت نسبة المتجنسيين إلى غاية1939م في الوسط المسلم ثلاثة أضعاف السنوات السابقة[4] ،وهذا جدول مقارن يعطينا فكرة دقيقة عن هذا التطور:

---

[1]- ابن باديس . مرجع سابق. (1991م) . ج5. ص. 294

[2]- مرّاد. مرجع سابق. ص. 485

[3]- المرجع نفسه . ص. 491

[4]- مرجع نفسه. ص.492

-جدول يبين تصاعد نسبة التجنيس في الجزائر من 1920م إلى 1938م-

السنة	1920	1922	1924	1926	1928
عددالمتجنسين	17	56	29	67	38
السنة	1930	1932	1934	1936	1938
عددالمتجنسين	152	127	155	142	190

مرّاد.مرجع سابق. ص492

فيتبين من هذا أن نسبة التجنيس في فترة الثلاثينات بلغت حدا مخيفا مما جعل الجمعية تتخذ قرارات جادة حول هذا الأمر، فكان فعلها ابتداءا بنشر مقالات الإنذار والتنبيه في جرائد: الإصلاح ،المغرب والشهاب وغيرها[1]،وها هو توفيق المدني في إحدى هذه الجرائد يوجه صرخة استغاثة بعنوان : **نحن بين الحياة والموت**. يحذر فيها الشباب الجزائري من التجنيس فيقول:

> نوجد اليوم في منعرج صعب من تاريخنا، إن شعبنا يسعى إلى اختيار أحسن السبل للرقي وهاهو اليوم إزاء سبيلين وفي مقدمة كل واحد منهما حزب يحثه على اقتفاء أثره بتقديم الوعود المختلفة له [...] إن السبيل الأول هو سبيل التجنيس أي العدول عن القومية واللغة ورفض التاريخ والتقاليد الإسلامية وتبني قومية العرق المهيمن مع ما يترتب عن ذلك من تغير في اللغة والسلوكات الذهنية [...]إن دعاة هذا السبيل ينشرون دعاية نشطة وحازمة يكتبون ويلقون الخطب وينظمون الندوات ويصدرون الجرائد والمجلات باللغة الفرنسية بطبيعة الحال. كما يسعون إلى التأثير في المسلمين الذين تكونوا في المدرس الفرنسية والمتشبعين بالأفكار الفرنسية [2]

هذا وقد جدد الاصلاحيون العديد من المرات إدانتهم للتجنيس،حيث هاجموا الدوافع التي جعلت بعض ضعاف الجزائريين يرضخون لمغريات التجنيس التي اعتبروها أنها تمكنهم من الحصول على امتيازات عديدة ، كالحق في الحرية وفي التقاضي وفي الأمن وفي الأفضلية الاجتماعية ، واعتبرت الجمعية بأن المواطنين الجزائريين على الرغم من كل المغريات فإنهم "لن يقبلوا لا التجنيس ولا أي حق امتياز مشروط بالتجنيس، إنهم يفضلون الموت فقراء مجردين من كل شيء صما وبكما على أن يعيشوا متخلين عن دينهم"[3]، كما كتب الطيب العقبي في جريدة البصائر محذرا في افتتاحية عنيفة تحت

---

[1]- مراد. مرجع سابق. ص.492

[2]- المرجع نفسه . ص. 492

[3]- الخطيب. مرجع سابق. ص. 239

عنوان: **مكمن الصرعية في التجنيس والمتجنسين.** جاء فيها قوله: " التجنيس بمعناه المعروف في شمال إفريقيا حرام والإقدام عليه غير جائز بأي وجه من الوجوه ومن استحل استبدال حكم واحد من أوضاع البشر وقوانينهم بحكم من أحكام الشرع الإسلامي فهو كافر مرتد عن دينه بإجماع المسلمين لا يرجع إلى دائرة الإسلام وحظيرة الشرع الشريف حتى يرفض رفضا باتا كل حكم وكل شريعة تخالف حكم الله وشرعه المستبين"[1]،كما كتب الشيخ العربي التبسي رفضه للتجنيس قائلا :" التجنيس أي صيرورة المسلم من جنس غير مسلم برفضه لأحكام الإسلام الإلهية وإيثاره لأحكام وضعية بشرية حتى انه يصير من يوم إمضائه للعقد القاضي بارتحاله من أسرة الإسلام ، إلى أسرة غيره لا حق له في الإسلام وتشريعه ولا في تحليله وتحريمه ولا في آدابه وتاريخه ولا في أحسابه وأنسابه لأنه تركها مختارا راعيا في سواها كارها لها"[2]

مع كل هذه العبارات القوية الدالة على الرفض المطلق لقانون التجنيس وتحذير الشعب الجزائري منه، كانت الجمعية تحترم الاختيارات الشخصية للمتجنسين وتعلن روح التسامح وتستشهد بقوله تعالى: **(لا إكراه في الدين)** وهذا يدل على أن حربها لم تكن مع هؤلاء المتجنسين، إنما كانت في الأساس موجهة نحو أولئك المتجنسين من الجزائريين المثقفين بالثقافة الفرنسية ، الذين كانوا يسعون إلى مضاعفة عددهم حتى لا يكونوا قلة مستضعفين بين الفرنسيين الأصليين ، فكانوا يدعون الجزائريين للالتحاق بهم عن طريق التجنس بالجنسية الفرنسية ، فالجمعية تعتبر عملهم هذا إساءة غير مبررة للإسلام يلزم إيقافها ومحاربتها [3].

بالإضافة إلى الوسيلة الصحفية التي اعتمدها الاصلاحيون في الجمعية فقد كانوا يستغلون كل ما يساعدهم على تحقيق أهدافهم من اجل منع الجزائريين من الحصول على الجنسية الفرنسية وتخليهم عن الجنسية الجزائرية الإسلامية ولم يفتهم بهذا التشديد على حالة الدونية التي يعيشها المتجنسين بين الفرنسيين الأصليين مثبتين أقوالهم باعترافات المتجنسين بأنفسهم ومعربين عن رضاهم وهم يرون بعض المتجنسين يشكون

---

[1]- تركي. مرجع سابق. 2001. ص. 96

[2]- تركي . المرجع نفسه . ص.97

[3]- مراد. مرجع سابق. ص .494

الذل الذي يعيشونه فكانوا يرون أن المجتمع الفرنسي يرفضهم بسبب التمييز العنصري والجزائريين يعتبرونهم ملعونين وطبقة خارجة عن المجتمع الجزائري[1]ولم تكن دعوة الجمعية ضد التجنيس والمتجنسين لترفض العائدين النادمين من هؤلاء والشاكين من ألامهم ، بل جعلت الباب مفتوحا أمامهم في قولها: " أن المتجنسين ينتمون إلى شعبنا أحب من أحب وكره من كره ونحن دائما تربطنا بهم صلات الدم حتى وان سعوا إلى قطع هذه الصلات ، فنحن نتألم لمآسيهم مع أننا راضون بالدرس الذي استمدوه من تجربتهم إنا لنشيد بصراحة زناتي الشجاعة والذي كشف الواقع وأعفانا من كل محاججة "[2]

وهكذا فقد بلغت حملة الجمعية ضد سياسة التجنيس ذروتها وخاصة بعد أن ختمتها بالفتوى الرسمية التي أصدرها الشيخ عبد الحميد بن باديس باسم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ،حيث تقرر اعتبار المتجنسين بالجنسية الفرنسية " أناس مرتدون عن الدين الإسلامي فلا يجوز الصلاة عليهم ولا دفنهم في مقابر المسلمين بعد موتهم ولا الزواج منهم أو إليهم "[3] ، ونظرا لأهمية هذه الفتوى وما أحدثته من صدى في كافة أنحاء المغرب العربي فقد كانت بمثابة الضربة القاضية لقانون التجنيس والمتجنسين بصفة نهائية، ومن ثم فقد اعتبرت من إحدى الوسائل المهمة التي اعتمدتها الجمعية في محاربتها لسياسة التجنيس، لتظهر الجمعية من خلالها كحركة إصلاحية سلفية من جهة ومن جهة أخرى كحركة قومية تعارض كل سياسة تنادي باندماج الجزائر في فرنسا أو تجنيسها بالجنسية الفرنسية وتطالب الجزائري بالمحافظة على لغته العربية وشخصيته الإسلامية والاعتزاز بقوميته الجزائرية [4]

3- انعقاد المؤتمر الإسلامي الجزائري:

يعتبر انعقاد المؤتمر الإسلامي الجزائري ذروة التطور الذي بلغته الحركة الإصلاحية ومن أهم الأحداث السياسية التي برزت فيها ،فقد أظهرت فيه نضوجا فكريا وتحولا كبيرا في رؤيتها السياسية، ويدل على هذا أن أول من دعى إلى عقد هذا المؤتمر

---

[1]- سعد الله . مرجع سابق. 1992 .ج2.ص .450.

[2]- مرّاد.مرجع سابق. ص. 494. شهاب ج3

[3]- تركي. مرجع سابق. 2000 .ص .79.

[4]- تركي. مرجع سابق. 2001. ص97

هو رئيس الجمعية عبد الحميد بن باديس عن طريق جريدة الدفاع الفرنسية التي دعى فيها إلى الاجتماع لعقد المؤتمر الإسلامي وذلك نظرا لتدهور الحالة السياسية والاجتماعية للجزائر. فقال: "رأيت أن ادعوا إلى مؤتمر إسلامي جزائري عام يجمع الشمل ويوحد الصف ويحدد الهدف؛ لان المرجع في أمور الأمة يعود إلى الأمة والواسطة لذلك هي المؤتمرات والندوات التي تفحص فيها الأمور وتخصص النتائج ،والاجتماع أصل من أصول شرعنا الإسلامي، فلماذا لا نعمل به في السياسة ؟"[1]، فعبد الحميد بن باديس إذا يعتقد أن المؤتمرات والتجمعات المنظمة الكبرى هي السبيل الوحيد الكفيل بالتأثير على الحكومة الفرنسية وجعلها تراجع سياستها الأهلية وبالفعل فقد وصلت هذه الدعوة إلى كل مثقفي العربية والفرنسية والنواب والأحزاب والى كل من يهمه الأمر وقد عرف المؤتمر حضورا كبيرا واستجابة سريعة وقوية فانعقد بصفة رسمية يوم الأحد7جوان 1936م بحضور جمعية العلماء المسلمين وعدد كبير من النواب الجزائريين وممثلين عن الاشتراكيين والشيوعيين والمرابطين، بالإضافة إلى حضور ممثلي حزب نجم شمال إفريقيا برئاسة مصالي الحاج [2]، ولئن كان الاصلاحيون هم المبادرون لتنظيم هذا المؤتمر فقد كانوا أيضا صانعيه المتفانين ،إذ ساهم كل من ابن باديس والإبراهيمي والعقبي والعربي التبسي وخير الدين مساهمة نشطة في أشغاله كما أنهم كانوا من ضمن الوفد الذي أرسل إلى فرنسا لتبليغ مطالب المؤتمر[3] ولما كان ابن باديس هو الناطق الرسمي في المؤتمر، فقد سجل حضوره باسمه الشخصي منفصلا عن جمعية العلماء المسلمين، أما الجمعية فقد مثلها كل من الإبراهيمي والعقبي والعربي التبسي وهذا من إحدى خططهم السياسية التي كانوا يعملون بها طيلة مسارهم الإصلاحي حفاظا على سلامة الجمعية من أي شك أو اتهام من طرف الحكومة الفرنسية،لكي لا تعتقد أن الجمعية قد تحولت من مبادئها الإصلاحية والتهذيبية إلى العمل السياسي.وبالرغم من هذا الفصل إلا أن كثير من

[1] – مرّاد. مرجع سابق. ص. 223

[2] – الخطيب. مرجع سابق. ص. 245

[3] – مرّاد. مرجع سابق. ص. 222

الناس لا يفرقون بين ابن باديس كرئيس لجمعية العلماء وبين ابن باديس الرجل المواطن، فالجمعية تعني ابن باديس وابن باديس يعني الجمعية[1] .

وترجع النجاحات التي حققها هذا المؤتمر في الأساس إلى الظروف العامة التي عرفتها الحكومة الفرنسية ، فسقوط حكومة لافال في 24 جانفي 1936م كان من شانه أن يشجع المواطنين الجزائريين للقيام بنشاطات سياسية وبعد وصول ليون بلوم(lèon Blum) إلى الحكم استشعر الاصلاحيون والوطنيون الارتياح الكبير وسرت فيهم نسمة من الأمل إذ كانوا يعتقدون أن الشعب الفرنسي مع مجيء حكامهم الجدد لن يتوانوا عن الإتيان بالحل الليبرالي للمشاكل الجزائرية[2] ، وقد كانت مجلة الشهاب تتابع باهتمام التطورات السياسية الحادثة في فرنسا منذ ظهور الجبهة الشعبية على الساحة البرلمانية، فكتبت مبدية تفاؤلها وأملها مع كثير من الانفراج بصريح العبارة فقالت:

" إن سائر الطبقات العاملة في فرنسا وسائر سكان المستعمرات وبلاد الحماية والوصايا قد تفاءلت بمصير الحكم إلى رجال الواجهة الشعبية وعلقت على هذا الحكم الآمال الجسيمة ، فرجال الشعب الذين سيؤلفون الوزارة في أوائل شهر جوان المقبل طالما خطبوا ووعدوا وأكدوا أنهم سيجعلون همهم تحسين حالة العمال والقضاء على البطالة ، وتوزيع الثروات توزيعا عادلا ، فالطبقات العاملة وأهالي المستعمرات الذين يئسوا من عدالة أحزاب اليمين... قد عادت إليهم الآمال " [3]

وقد لوحظ على جمعية العلماء أنها وابتداء من دخولها هذا المجال قد بدأت تميل تدريجيا عن الدعاية الإصلاحية الدينية التي ظهرت بها في بدايتها، متوجهة نحو الالتزام بالعمل السياسي وهو ما جعلها تستقبل الكثير من الانتقادات ، فمالك بن نبي يرى أن عام 1936م هو القمة التي بلغها روح الكفاح والإصلاح الاجتماعي في الجزائر وهي نفسها القمة التي هبط منها الإصلاح إلى هاوية لا قرار لها،ويرى أن الجمعية استطاعت في بدايتها أن تمسك بمقاليد النهضة الجزائرية بالمنهج الذي انطلقت به وكان بإمكانها أن تحقق نجاحا كبيرا لو لم تقحم نفسها في مجالات السياسة فهذا منها يعد كطريق للانحراف عن المبادئ الإصلاحية ، ويرى أن الاستعمار لا يأت من عبث السياسيين ولا من أفعالهم بل هو من النفس ذاتها التي تقبل ذل الاستعمار والتي تمكن له من أرضها وليس ينجو

---

[1]– سعد الله . مرجع سابق. 1992.ج3 .ص.109.

[2]– مراد. مرجع سابق. ص. 227

[3]– المرجع نفسه. ص. 228 .

شعب من الاستعمار وأجناده إلا إذا نجت نفسه من أن تتسع لذل مستعمر وتخلصت من تلك الروح التي تؤهله للاستعمار[1] . فمالك بن نبي يرى أن الإصلاح في المجتمعات لا يتم بالعمل السياسي؛ إنما يكون بالإصلاح الداخلي الذي يهتم بإصلاح المواطنين في دينهم وثقافتهم وبالرغم من علم الجمعية بهذه الحقيقة إلا أن التزامها بالسياسة كان يتزايد مع التطورات الحديثة التي أجبرتها على مواصلة المشوار السياسي وخاصة مع اغتيال مفتي العاصمة محمود بن دالي-المدعو كحول- عقب نهاية المؤتمر الإسلامي واتهام الطيب العقبي بقتله ؛ فهذه الحادثة ألزمت الجمعية بمتابعة عملها والدفاع عن العقبي لتبرئته من التهمة الموجهة إليه من قبل أعدائه وأعداء الجمعية عامة ،وقد تمكنت الجمعية بنشاطها السياسي المتضافر في نشاطها الديني والثقافي من تحقيق اكبر نسبة من المؤيدين والمشجعين، وبها تمكنت من التغلب على النزعات المعادية لها ومن ثم فقد اعتبرت سنة 1936 م بالنسبة للجمعية سنة بلوغ الذروة لتمكنها من تحقيق شعبية كبيرة من خلال الانتصارات الباهرة التي حققتها كما مثلت نفس السنة بداية تشتتها بين المطالب الخاصة، ومستلزمات انخراطها في الحياة السياسية [2]

4- موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من فكرة الاندماج:

كان أول ظهور لفكرة الاندماج في الجزائر في أوساط المتجنسين الذين كان يهمهم أن يرو عددهم يتزايد ،وتحقيق هذه الفكرة بالنسبة لهم تمثل الوسيلة الأضمن التي تمكنهم من الخروج من وضعهم الاجتماعي المزري والكف عن الظهور في نظر إخوانهم بمظهر الأقلية الملعونة ، ولقد كان من ابرز دعاة الاندماج في الجزائر: الزناتي- صاحب جريدة صوت الأهالي (la voix Indigène)- الذي جعل عنوان افتتاحية العدد الأول من جريدته **الجزائر ستصبح فرنسية** ،فهذه العبارة كانت تمثل بالنسبة له برنامج عمل بأكمله ،كما كانت شعارا للعديد من الاندماجيين الذين كانوا يرون انه لا خلاص للشعب الجزائري من معاناته إلا بانضمامه إلى الحضارة الفرنسية قلبا وقالبا ، بالإضافة إلى هذه الفئة التي كانت تسعى إلى تحقيق الاندماج الكلي ،كانت هناك فئة أخرى وهي الممثلة في النخبة الجزائرية ذات التكوين الفرنسي الذين يرون انه إذا كان ولا بد من اندماج الجزائر في

---

[1]- مالك بن نبي . مرجع سابق. . 2000. ص،ص. 32،33

[2]- مرّاد. مرجع سابق . ص. 232

فرنسا فانه لا يجب أن تمس بقانونهم الشخصي الإسلامي ؛ بمعنى أنهم موافقون على فكرة أن يصبحوا مواطنين فرنسيين ولكن دون العدول عن القانون الشخصي الذي يميزهم وهو الالتزام بالقوانين الإسلامية ومن أهم هؤلاء الذين مثلوا هذه الفئة :الدكتور بن جلول ومعاونه فرحات عباس "[1] فقد كان هؤلاء وأمثالهم يعتقدون أن قبول الاندماج هو السبيل الوحيد للتخلص من النظام الاستعماري ومن قوانين الانديجانا.

وكما وقفت جمعية العلماء ضد التجنيس والمتجنسين كذلك عملت على قطع الطريق على دعاء الإدماج لتمنعهم من المساهمة مع الاستعمار في مسخ هوية الشعب الجزائري وتحويله إلى شعب فرنسي خوفا منها على المجتمع الجزائري أن يضمحل ويذوب في فرنسا؛ومن المواقف التي ظهرت بها الجمعية في هذا المجال ردها على احد دعاة الاندماج – فرحات عباس– حينما أنكر بصراحة وجود كيان جزائري مستقل بذاته حيث قال :" انه فتش عن القومية الجزائرية في بطون التاريخ فلم يجد لها من الأثر ، وفتش عنها في الحالة الحاضرة فلم يعثر لها على خبر ،وأخيرا أشرقت عليه أنوار التجلي فإذا به يصيح : فرنسا هي أنا "[2] ، ورد ابن باديس على قوله هذا بقوة في **كلمة صريحة** فقال: " إننا نحن فتشنا في صحف التاريخ وفتشنا في الحالة الحاضرة فوجدنا الأمة الجزائرية المسلمة متكونة موجودة كما تكونت ووجدت كل أمم الدنيا، ولها ثقافتها الخاصة وعوائدها وأخلاقها ، بما فيها من حسن وقبيح شان كل امة في الدنيا"[3]. ثم يقول: " ثم أن هذه الأمة الجزائرية الإسلامية ليست هي فرنسا ولا يمكن أن تكون فرنسا ولا تريد أن تصير فرنسا، ولا تستطيع أن تصير فرنسا ولو أرادت، بل هي أمه بعيدة عن فرنسا كل البعد. في لغتها وفي أخلاقها وفي عنصرها وفي دينها لا تريد أن تندمج " [4]

استطاعت الجمعية بهذه الكلمة أن تحطم آمال دعاة الاندماج وتحدث دويا عظيما في أوساط الشعب الجزائري والحكومة الفرنسية على السواء لتنقسم الآراء من حولها إلى قسمين بين الموافقين ومعارضين ،فأما الذين كانوا يتوافقون مع فكرة الجمعية وينكرون

---

[1]– مرّاد . مرجع سابق . ص . 498

[2]– الخطيب . مرجع سابق. ص. 24

[3]– ابن باديس .مرجع سابق. (1991م). ج5. ص . 293

[4]– المرجع نفسه . ص. 294

فكرة الاندماج فقد رحبوا بخطوة الجمعية وشكروا لها صراحتها وموقفها الشجاع في حرب التجنيس والاندماج ومحاولات هدم القومية واللغة والدين ، فقد بينت لهم الجمعية بجلاء ووضوح أنها مع احترامها للسلطة الفرنسية وطاعتهم لقوانين الجمهورية، تريد وتستطيع أن تحافظ على ذاتية الجزائر الخاصة بما فيها من مميزات في لغتها ودينها وثقافتها ومن جهة أخرى أثار موقف الجمعية فزعا كبيرا واستنكارا ، فمنهم من انتقدها ومنهم من رد عليها ومنهم من أفحش وأقذع. [1]

وبهذه الطريقة دخلت الجمعية في صراع عنيف مع دعاة التجنيس والاندماج لتجد أمامها مشاريع استعمارية أخرى وجدت الجمعية نفسها فيها مجبرة في إبداء رأيها و مواصلة مسيرتها السياسية .

5- موقف الجمعية من مشروع فوليت:

مشروع فيوليت هو" اقتراح بقانون وضعه النائب الفرنسي موريس فيوليت عام 1933م يرمي إلى منح المواطنة الفرنسية لبعض الشرائح من المدنيين والعسكريين الجزائريين المسلمين والشروع في إنشاء تمثيلية أهلية بالبرلمان الفرنسي"[2]؛ أي أن هذا المشروع يهدف إلى التحرير التدريجي للمسلمين الجزائريين ،انطلاقا من إنشاء تمثيلية أهلية في البرلمان الفرنسي تمثل الجزائريين وبهذا فقد أثار هذا المشروع ضجة كبيرة في كل الجزائر وفرنسا وقد استقبله دعاة الاندماج بترحيب كبير لكونه يلبي طموحاتهم السياسية في الاندماج ،أما الجمعية فقد نظرت إليه بعين الريبة والتردد في قبوله ذلك أن هذا المشروع إضافة إلى ما يحمله من جانب ايجابي في كونه يحقق فائدة سياسية ، فهو من جانب آخر تجده يخالف مبادئها التي قامت من اجل الحفاظ عليها - الهوية الجزائرية والانتماء الإسلامي- لما جعل التجنس بالجنسية الفرنسية كشرط للحق في الانتخاب بالنسبة للمسلمين ومن ثم فقد كان موقف الجمعية من هذا المشروع هو الرفض لأنها كانت تخشى أن يكون هذا المشروع كمشجع للعدد الأكبر من الشباب المسلمين على التجنيس للحصول على حقوقهم السياسية دون الانشغال بقانونهم الشخصي والإسلامي[3]وتصرح

---

[1]- ابن باديس . مرجع سابق. (1991م) . ج5. ص . 302

[2]- مرّاد. مرجع سابق. ص .498

[3]- المرجع نفسه ص. 499

الجمعية بمعارضتها للمشروع " لما فيه من عدم التسوية في الحقوق لا بين الجزائريين والفرنسيين ولا بين طبقات الجزائريين أنفسهم ،وما فيه من تهيئة الطبقة المثقفة للاندماج مع السكوت التام عن الدين واللغة " [1]

على كل حال لم يكتب لهذا المشروع أن يتم طريقه ويصبح قانونا رسميا فقد أسقطه في البرلمان ممثلو الكولون الذين كانوا يرفضون أي تغيير في أحوال الجزائريين حتى وان تخلوا عن كامل أحوالهم الشخصية كما لا يقبلون أي تسوية بينهم وبين الجزائريين من أي جانب كان ، بالإضافة إلى هذا فقد كان توقيف وزير الداخلية موريس ريني الذي سبب أزمة سياسية كسبب آخر لإيقافه[2]، ومع مجيء الانتخابات التشريعية الفرنسية في 1936م وانتصار الجبهة الشعبية أعيد طرحه تحت اسم جديد وهو مشروع بلوم فيوليت.

6- مشروع بلوم فيوليت :

مع الانتصار الذي حققته الجبهة الشعبية عرفت الحكومة الفرنسية نوعا من الانفراج السياسي، تم فيه إعادة طرح مشروع فيوليت السابق ولكن هذه المرة تحت اسم جديد وهو **مشروع بلوم فيوليت** وبنص جديد أيضا يعلن "قبول بعض الشرائح من الرعايا الفرنسيين في لجزائر وممارسة الحقوق السياسية لمواطنين فرنسيين دون أن يترتب عن ذلك أي تغيير لقانونهم أو حقوقهم المدنية "[3]وبسبب هذا التغيير فقد عرف المشروع ترحيبا كبيرا من قبل الفئات السياسية التقليدية في الجزائر حتى من قبل جمعية العلماء التي أظهرت موافقتها على هذا المشروع في قولها: " أن أغلبيتنا تقبل مشروع بلوم فيوليت كدستور للجزائر وتعلق أمالا كبيرة حول المصادقة على هذا المشروع "[4] مع الإشارة إلى أن الجمعية لم تكن مقتنعة بصفة كلية على ما نص عليه القانون فهي ترى انه لا يستجيب إلا جزئيا لطموحات الجزائريين التي صدر بها المؤتمر ومن ثم فقبولها للمشروع كان باعتبارها له انه مرحلة مؤقتة يجب أن تعقبها مراحل أخرى ، وتصويت الجمعية على هذا

---

[1]- الخطيب. مرجع سابق. ص. 242

[2]- مراد . مرجع سابق. ص. 499

[3]- المرجع نفسه . ص . 500

[4]- المرجع نفسه. ص. 501

المشروع كان أيضا لاعتبارها إياه بأنه الفائدة الوحيدة التي يمكن للمسلمين جنيها من مشروع بلوم فيوليت ، وذلك في انه يعتبر كمبدأ نهائي يحصل الجزائريون من خلاله على الحقوق السياسية الفرنسية دون أن يكون مشروطا بتخليهم عن القانون الشخصي[1] وبالرغم من هذه المواقف فان مصير المشروع كان كسابقه فقد تخلى عنه واضعوه أنفسهم تحت الضغط المزدوج للأوساط السياسية الاستعمارية والأوساط السياسية المحافظة لباريس ولم يؤد إخفاقه إلا إلى تعزيز التشاؤم السياسي لدى الجمعية وتقوية إرادة علمائها في الكفاح من اجل غايات كبرى لحركتهم لان هذا المشروع بالنسبة لهم كان يتجاهل المسائل التي كانت تؤرقهم –حرية تعليم اللغة العربية وفصل الدين الإسلامي عن الدولة وقضايا مجاورة لهاتان القضيتان– كما يعتبرون أن هذه القضايا هي السبب الرئيسي لوجود الجمعية ومن ثم جاء عزمهم على مواصلة حركتهم المطلبية قصد حمل فرنسا على الاعتراف بطموحات الشعب الجزائري المسلم [2]

ولعل ذروة النشاط السياسي للجمعية كان بمناداتها بالاستقلال وان كانت هذه الدعوة لم تكن بشكل صريح فقد كانت تفهم من مضمون الحديث فقد كتب ابن باديس مرة يتحدث عن الحرية فيقول:" اللهم كلا فما عهدنا الحرية تعطى إنما عهدنا الحرية تؤخذ وما عهدنا الاستقلال يمنح ويوهب إنما علمنا الاستقلال ينال بالجهاد والاستماتة والتضحية وما رأينا التاريخ يسجل بين دفتي حوادثه خيبة للمجاهد إنما رأيناه يسجل خيبة للمستجدي" [3]

فكلام ابن باديس هنا عن الاستقلال وعن الحرية يعتبر كدعوة ضمنية للشعب الجزائري للكفاح ، مؤكدا لهم حقهم في الحرية والاستقلال وهو حقهم الأساسي في وطنهم الجزائر ولعل ما جعل الجمعية أكثر قناعة وإصرارا على هذا الجانب من التفكير هو الخيبة التي لقيها الوفد الجزائري في فرنسا لما رفضت مطالب مؤتمرهم . ومن ثم مضت الجمعية في هذا الخط متحدثة عن الاستقلال وعن حق جميع الشعوب فيه وبأنها لن تستطيع أن تناله إلا إذا اعتمدت على نفسها وعلى قوتها الخاصة ولا يجب أن تنتظر من احد أن يمنحها إياه. فتقول في إحدى المقالات على لسان ابن باديس:" أن الاستقلال حق

---

[1]– مراد. مرجع سابق. ص. 500

[2]– المرجع نفسه . ص. 500

[3]– الشهاب.ج5. م6. 1930. ص 337. نقلا عن تركي . مرجع سابق. (2001) . ص331

طبيعي لكل امة من أمم الدنيا وقد استقلت أمم كانت دوننا في القوة والعلم والمنعة والحضارة ولسنا من الذين يدعون علم الغيب مع الله ويقولون أن حالة الجزائر الحاضرة ستدوم إلى الأبد فكلما تقلبت الجزائر مع التاريخ فمن الممكن أن تزداد تقلبا... وتصبح الجزائر مستقلة استقلالا واسعا تعتمد عليها فرنسا اعتماد الحر على الحر"[1] وكذلك يقول:" لا يمكن تغيير حالة الجزائر السياسية بوفود تذهب إلى فرنسا ،ولا بلجان تبعثها الحكومة العليا – حكومة باريس- إلى الجزائر ذلك أن حكومة الجزائر الاستعمارية أقوى من حكومة فرنسا ذاتها.. فلا تغيير لوضع تريد بقاءه في الجزائر. فالوفود إذن لا تستطيع أن تغير شيئا، ولكن الشعب الجزائري هو الذي يستطيع أن يغير كل شيء متى نفض الشعب عن نفسه غبار الجهل والغفلة "[2]، ففي هذه العبارات نجد أن ابن باديس يغرس الأمل في قلوب المسلمين الجزائريين ويؤكد على إمكانية تحررهم كما تحررت أمم أخرى مسها ما مس الجزائر من اضطهاد وعدوان واستعمار ثم يؤكد ابن باديس أن الجزائر لن تتمكن من تحقيق الاستقلال السياسي إلا إذا تمكنت من تحقيق إصلاح داخلي عام ؛مشيرا إلى أن سبب الضعف الذي وصلت إليه الجزائر ومكن الاستعمار من السيطرة عليها هو الانتشار الكبير للجهل والأمية في أوساط الشعب الجزائري ومن ثم فقد كان للجمعية حركة علمية واسعة مست بها جميع فئات الشعب الجزائري ؛رغبة منها لتحقيق القوة الثقافية والقوة النفسية للجزائريين ، كما يشير ابن باديس إلى أن الثورة الجزائرية إذا قامت لا يمكن لها أن تحقق ثمارها إلا إذا نجحت في المرحلة الأولى من التحضير ويقصد هنا الحركة العلمية، هذا ما نجده في إحدى مقالاته لما سال عن سبب عدم دعوته للاستقلال بشكل معلن ومباشر فقال " من أراد أن يبني منزلا هل يبدأ بالسقف ؟ قالوا لا : قال فبماذا إذن ؟ قالوا بالأساس والجدران، فقال هذا ما نفعله الآن نبني الأساس والجدران ثم نبني السقف "[3] والمقصود بالسقف هنا هي الثورة . ففي أقواله هذه دعوة إلى الثورة ونداء إلى حمل السلاح والاحتكام إليه، غير أن النداء لها يبقى مؤجلا إلى حين مجيء وقتها فما زالت أرضية الثورة غضة ، ولا زالت ظروفها الدولية والمحلية غير مواتيه ، ومن ثم تستمر

---

[1]- إبن باديس . مرجع سابق. " حول كلمتنا الصريحة". **الشهاب.** ج3 م 12 ماي 1936م. ص 145

[2]- المرجع نفسه . ص145

[3]- مطبقاني. مرجع سابق. ص. 92

الجمعية في عملية التحضير والتجهيز . هذا ولم تكتفي الجمعية وبالأخص رئيسها إلى حد الكتابة الصحفية وبالطرح النظري للثورة، إنما بلغ بتفكيرها إلى التطبيق العملي، أي إعلان الثورة والجهاد ومما ورد عن ابن باديس من هذا قوله في أحد مجالسه : "في الوقت الذي تعلن فيه ايطاليا الحرب على فرنسا فإننا نعلن الحرب عليها" [1]، وما ورد عنه أيضا انه بعد إعلان الحرب العالمية الثانية وقبول بعض كبار الأحزاب السياسية التجنيد في جيش فرنسا قال : " لو أنهم استشاروني واستمعوا إلي وعملوا بقولي لأشرت عليهم بصعودنا جميعا إلى جبال الاوراس وإعلان الثورة" [2]وهناك أحداث كثيرة يرويها بعض العلماء عن ابن باديس تدل كلها على انه كان في آخر حياته يفكر في إعلان الثورة، ولم يكن ابن باديس ليفكر في إعلان الثورة إلا بعد أن اعد لها العدة الفكرية والنفسية والعسكرية .

وبكل هذا ندرك أن جمعية العلماء لم تكن مقتصرة في عملها على الجانب الأخلاقي والتهذيبي فقط وإنما كانت تسعى إضافة إلى هذا إلى تحقيق الغاية الكبرى وهي استقلال الجزائر وبهذا أيضا ندرك أن للجمعية جانب كبير من العمل السياسي ظهر بوضوح في أعمالها التي ذكرناها وفي غيرها من الأعمال.

رابعا : الإصلاح في المجال الاجتماعي :

تعتبر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من أكثر الحركات المنخرطة في الحياة الاجتماعية والمتأثرة بالمحيط الذي حولها وهذا راجع إلى طبيعة عملها الذي لا يبتعد عن الميدان الاجتماعي كثيرا،ومن ثمّ فقد كانت على علم ودراية بكل القضايا الاجتماعية التي تحيط بها سواء منها الخاصة بالمجتمع الجزائري أو بالمجتمع الإسلامي والعربي على وجه العموم . وما كان يميز الجمعية في عملها هذا وعلى اعتبار أنها حركة دينية هو تمسكها بالطابع الديني في تحليلاتها للقضايا الاجتماعية، لان العلماء كانوا يطمحون إلى إقامة المدنية الإسلامية في الجزائر، أي العودة إلى العصر الذهبي للأمة الإسلامية أو المساهمة الفعالة في تنظيم الحياة الاجتماعية لأمتهم وفق مبادئ الدين الإسلامي[3]، وإن

---

[1]– مطبقاني . مرجع سابق. ص. 93

[2]– مرجع نفسه . ص. 93

[3]– مراد. مرجع سابق. ص . 365

ارتباط الجمعية بهذه المبادئ الدينية السلفية لا ينفي عنها مراعاتها لضرورة الحياة المعاصرة وهذا ما كانت تؤكد عليه دائما في عملها لاعتبارها أن الإسلام لا يناقض المدنية والتقدم بل هو صالح لكل زمان ومكان ولكل الظروف .

ومع كل المواقف الناجحة التي استطاعت الجمعية أن تحققها في هذا المجال؛إلا أنها لم تكن ذات ظهور كاف في القضايا الاجتماعية ذات النظريات الكبرى،فقد كانت الجمعية تكتفي في نشاطاتها بالمعطيات العملية المتعلقة بالمجتمع الجزائري بالدرجة الأولى وهذا راجع إلى طبيعتها كحركة دينية وثقافية وإلى طبيعة التكوين الثقافي الذي تلقاه علماؤها وممثلوها بالإضافة إلى قلة المعلومات المتوصل إليها حول القضايا المطروحة مع غموضها في الغالب ،مما جعل العلماء يشعرون بأنهم غير معنيين مباشرة بما يحرك الرأي العام في البلدان الأوروبية[1] الاأن هذا لم يمنع الجمعية من إظهار مواقفها حيال بعض المشاكل التي كانت تشد الانتباه العام آنذاك، فقد أمكنها من الإدلاء بأحكام خجولة عند الحاجة حول الصراعات الاجتماعية التي كانت تهز العالم ،ومن القضايا الاجتماعية التي أبدت فيها الجمعية رأيها ما يلي:

1- موقف جمعية العلماء المسلمين من الطروحات الاجتماعية المعاصرة :

إن التزام علماء الجمعية بالدعوة الإصلاحية السلفية جعلت أفكارهم الاجتماعية أكثر تقليدا وبالتالي فإنهم لم يحاولوا الخوض في الكثير من المسائل الاجتماعية المستجدة ومن بينها المسائل الاقتصادية التي تشمل العمل ورأس المال وغيرها من المسائل ،ويمكن أن نرجع سبب انحصار الجمعية في عملية التحليل الاجتماعي للمسائل الاجتماعية على الطرق التقليدية إلى الوضع المتخلف الذي كان يعانيه المجتمع الجزائري في ذلك الوقت ، فقد كان الشعب الجزائري ما بين العشرينات والأربعينات شبه منفلت من عصره ومشبع بالأفكار البالية في مجال العلم والاقتصاد والتبادلات الاجتماعية، ويعد السبب الرئيسي لهذه الحالة **قانون الأهالي** الرهيب الذي حال دون تزود الإصلاحيين بما ينبغي من المادة العلمية والمعرفية الكافية التي تمكنهم من تحقيق رؤية واضحة للمشاكل الطارئة ومن ثم فقد كان ملجأهم الوحيد هو التقيد بالمفهوم السلفي للإصلاح الديني وانحصر أملهم فيه ،

---

[1]- الخطيب . مرجع سابق. ص. 223

فكانوا يرون بان العودة إلى الإسلام الصحيح هو الحل الوحيد لكافة المشاكل التي تعترض حياة الإنسان[1]

ومن هنا يمكن الحكم على هؤلاء المصلحين أنهم بالرغم من سعيهم الدائم نحو تحقيق الإصلاح في مختلف مجالات الحياة الاجتماعية ؛ إلا أن الغالب عليهم كان الوعظ والتفسير والتعليم وبهذا فإنهم لم يتمكنوا من القيام بعمل أصيل في مجال الإصلاح الاجتماعي فيكونوا بذلك الاجتماعيين ولم يصلوا إلى نتائج محمودة خارج مجالات العبادة والتعليم التي كانت من الوجهة التقليدية من مهام رجال الدين في ديار الإسلام [2]،وبناءا على هذه الوجهة جاء رفضهم للتيارات العقائدية والفكرية التي شهدتها الساحة الأوربية في ذلك الوقت مع تحديد الانتماء الديني للشعب الجزائري وهذا ماورد في مقال لهم بعنوان: **نحن مسلمون وكفى** جاء فيه " أن الإسلام الذي ندين به[...]هو دين جامع لكل ما يحتاج إليه البشر أفرادا وجماعات لصلاح حالهم ومآلهم، فهو دين لتنوير العقول، وتزكية النفوس وتصحيح العقائد وتقويم الأعمال[...] فلا يحتاج بعده إلى ما يتناحر عليه الأوربيون من مبادئ وأحزاب وجمعيات، ليس في استطاعة شيء منها أن يصلح حالهم لا في السياسة ولا في الاجتماع " [3]

2- موقف الجمعية إزاء التحديث :

إن الدعوة السلفية التي دعت إليها جمعية العلماء المسلمين لم تمنعها من توجيه نظرها والأخذ بأسباب المدنية الحديثة وتصريحها بالاهتمام الذي كانت توليه لحضارة زمانهم ،وقصدها في هذا كان يستجيب حقا لمطلب عميق لحركتها التجديدية الدينية والتحريرية الاجتماعية والثقافية ، كما كان يطابق إرادتهم في التميز عن الدعاة المتشددين للنزعة التقليدية البالية (مثل بعض المالكيين المشددين وكذا جل المرابطين)،ولقد ظهرت هذه المسحة الحضارية بوضوح في أقوالهم وأعمالهم، ففي مجال التعليم مثلا حاولت الجمعية أن تتطور ما أمكن مع متطلبات العصر فثارت على الطرق التعليمية القديمة وأحدثت نهضة حديثة في مجال تعليم اللغة العربية وفنونها وحاولت بها مواكبة الطرق

[1]- الخطيب. مرجع سابق. ص. 223

[2]- مراد. مرجع سابق. ص. 863

[3]- ابن باديس . مرجع سابق (1991م). ج5. ص. 289

التعليمية الحديثة في أقطار الوطن العربي، بالإضافة إلى هذا فقد كانت شعاراتها تعني التوجه نحو المستقبل، فمثلا عبارات: **التقدم، النهضة، الترقي..** فيها دعوة غير مباشرة نحو الترقية الاجتماعية والفكرية، وقد ظهر هذا بوضوح أيضا في اسم نادي الترقي المشهور، الذي كان يرمز من خلال تسميته ونشاطاته الدينية وغيرها إلى ما كان الاصلاحيون يحددونه بوصفه وجهتهم في التقدم ولازمة سحرية تلهب حماسهم[1].

ولعل هذه الصفة التي تميزت بها الجمعية هي التي جعلت الكثير من المتعاطفين معها ينظرون إليها بأنها تمثل دفعا تحديثيا أكثر من كونها حركة إصلاح ديني والأخلاقي، ولقد كان الدافع الأول لهذه النظرة هو المواقف التحديثية التي ظهرت بها الجمعية وخاصة منها المنشورة بين الفينة والأخرى من قبل الناطقين باسم الحركة الإصلاحية .

ومما لابد من الإشارة إليه هنا هو أن جمعية العلماء ومع أخذها بأسباب التحديث لم تكن لتهمل الماضي فهي تعتبره أساس انطلاقتها حيث تقول في احد مقالاتها : " إننا أعلنا ولا نزال نعلن بأننا شعب من اشد الواجبات عليه الاحتفاظ بما في الماضي من نفع وعدم الزهد فيما في الحاضر من خير ومدنيات "[2] فالجمعية تريد أن تجمع بين الجانبين دون أن تفرط في احدهما، ولكن بالرغم من هذا التصريح الأخير وغيرها من التصريحات الأخرى التي تبين فيه الجمعية منهجها، إلا أنها كانت محل نقد شديد في هذا المجال وذلك لما تميزت به مواقفها من الحذر والاضطراب حيال المشاكل العينية التي يطرحها المجتمع الجزائري نتيجة للتطورات الاجتماعية المختلفة ، وهكذا يتبدى التحديث بالنسبة للجمعية بكونه أساسا استعراضيا يدل على أن الكلمات التي ترد عن العلماء تتجاوز أفكارهم ومنه يمكن القول انه لا يوجد للجمعية مذهب إصلاحي منسجم في المجال الاجتماعي ، إلا أننا يمكن مع هذا الوقوف على بعض مواقف الجمعية التي يمكن أن تضيء لنا بالقدر الكافي النوايا والمقاصد الاجتماعية للمدرسة الإصلاحية ، ومن بين هذه المواقف المميزة التي ظهرت بها الجمعية موقفها إزاء الشبيبة الإسلامية الجزائرية [3]

---

[1]– مراد. مرجع سابق. ص . 374

[2]– الشهاب. 1930م. ص. 287. نقلا عن مراد . مرجع سابق. ص. 375

[3]– مراد. مرجع سابق. ص. 376

3-الاصلاحيون والشبيبة الإسلامية :

لقد نالت مشاكل الشباب الجزائري اهتماما كبيرا من قبل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ،فهي تعتبر أن إصلاح هذه الفئة من اكبر واجباتها و أن مهمة تطوير حركتها يتوقف على هذه الفئة أيضا؛ لذلك فقد وجهت جزءا كبيرا من نشاطاتها وأعمالها التربوية والاجتماعية إلى هذه الفئة بالدرجة الأولى ولقد ظهرت نشاطاتها بأشكال مختلفة، فبالإضافة إلى المساجد والمدارس الحرة التي انشاتها هناك نشاطات أخرى وتتمثل خاصة في إنشاء النوادي الثقافية والحركات الكشفية التي تهدف إلى تربية الشباب تربية دينية واجتماعية ووطنية .كما لم يفت الجمعية في مجلاتها وجرائدها المختلفة أن تشير إلى اهتمامها بهذه الفئة؛ بل أنها قد أشارت إلى ذلك في بداية عملها حيث أظهرت فيما كانت تنشره من مقالات وما تختاره من شعارات أنها **في خدمة الشباب المسلم**، وقد ظهر هذا الاهتمام بهذه الفئة بوضوح في هذه الفقرة المأخوذة من الشهاب التي يصف فيها ابن باديس حال الشباب المسلم في سنة 1925م وهي السنة التي قرر فيها هو وأصحابه القيام بنشاطهم الإصلاحي حيث كان حال الشاب المسلم من أهم القضايا التي لفتت انتباههم وشغلت أوقاتهم فكانت مجلة الشهاب بذلك تقوم على شعار:(**لسان الشباب الناهض في القطر الجزائري**) ومما جاء في هذا المقال ما يلي:" ولم يكن يوم ذاك من شباب إلا شباب أنساه التعليم الاستعماري لغته وتاريخه ومجده وقبح له دينه وقومه وقطع له في كل شيء وحقره في نفسه تحقيرا وإلا شباب جاهل أكلته الحانات والمقاهي والشوارع ومن وجد العمل منه لا يرى نفسه إلا آلة متحركة في ذلك العمل لا هم له من ورائه في نفسه فضلا عن شعوره بأمر هام" [1]فهذه هي حالة الشباب المسلم قبل تكون الجمعية ،ثم يصف ابن باديس التحولات التي طرأت على هذه الفئة بعد تكون الجمعية وبداية نشاطاتها المختلفة التي كان للشباب فيها حظ كبير إذ يقول : " أما اليوم فقد تأسست في الوطن كله جمعيات ومدارس ونواد باسم الشباب والشبيبة ولا نجد شابا إلا نادرا إلا وهو منخرط في مؤسسة من تلك المؤسسات وشعار الجميع فيها الإسلام ، العروبة ، الجزائر "[2] وبهذا يلخص لنا ابن باديس حالة الشباب الجزائري المسلم والآفات الاجتماعية الخطيرة التي كان يتخبط

---

[1]- مراد. مرجع سابق.ص. 377

[2]-. مرجع نفسه .ص.377.

فيها والتي تتمثل في الأساس بالجهل والانحرافات الأخلاقية التي تترتب عنها **الفرنسة** التي كانت الحكومة الفرنسية تسعى إلى تحقيقها في الشعب الجزائري فيتحدد عمل الجمعية تجاه هذه الفئة بمحاربة الجهل فيهم والفراغ ومحاربة الفرنسة التي تنجم عنه ، وبالرغم من اشتهار الجمعية بالحركة التعليمية الواسعة التي تمكنت من خلالها من تحقيق نجاحات كبيرة إذ تمكنت أيضا من نشرها في كافة أنحاء الوطن و مست بهامختلف فئات الشعب الجزائري إلا أن هذا لم يكن كافيا لتحقيق إصلاح الشباب الجزائري ، فقد كانت الجمعية ترى بأنها لا تزال عزلاء أمام الأغلبية من الشباب الجزائري الذين لم يكونوا يلتفون حول نشاطاتها الإصلاحية ، بل كانوا يبدون متجهين صوب اللائكية أو صوب الفرنسة التامة ،وبوعي من الجمعية بأخطار القضاء على العروبة والإسلام التي تهدد شبيبتهم ، سعت إلى استثارة حركة البلاد لصالح الحماية الأخلاقية لهذه الشبيبة الإسلامية وقد أفضى ذلك إلى إنشاء العديد من الهيئات التي من شانها أن توفر للشباب المسلمين مناخا إسلاميا ما داموا لا يستطيعون منحهم التربية الدينية والأخلاق الضرورية عن طريق التعليم الذي يؤمنهم من الضربات الصادرة عن المجتمع الغربي التي تمسخ شخصيتهم ومن أهم أعمالها الإصلاحية لصالح الشباب:النوادي الثقافية والكشافة[1]

3-1- النوادي الثقافية:

كانت جمعية العلماء المسلمين تهدف من وراء تشجيعها لإقامة النوادي الثقافية إلى تزويد الشباب الجزائري بإطار اجتماعي يجدون فيه جوا ثقافيا وأخلاقيا مفعما بالإسلام والعروبة ،لذا فقد كانت تعتبر النوادي الثقافية همزة وصل بين المدرسة والمسجد ،وذلك لان هناك أعدادا هائلة من الشباب الجزائري لم تجد الجمعية أية وسيلة للوصول إليهم وتبليغهم المبادئ الإسلامية والثقافة العربية إلا من خلال هذه النوادي، لذلك فقد اعتبرت النوادي العربية والإسلامية رمزا للوحدة الوطنية والاجتماعية [2]

وقد تمثل النادي الثقافي في هذه الفترة في محل يحتوي على قاعة للاجتماعات وقاعة للصلاة بالإضافة إلى محل صغير تقدم فيه المشروبات المباحة، ورغم صغر المساحة التي كان يحتلها النادي إلا أن نشاطاته كانت كثيرة ومختلفة من محاضرات

---

[1]- مراد. مرجع سابق . ص.377

[2]- زروقة . مرجع سابق. 185

وأحاديث ، عروض مسرحية وتظاهرات ثقافية أو دينية بمناسبة الاحتفالات الرسمية الدينية.. وغيرها، وخارج هذه النشاطات كان النادي يعتبر كمكان للالتقاء حرا من أي قيد تلتقي فيه مختلف فئات المجتمع الجزائري كهولا وشبابا مع بقاء الهدف الأساسي الذي جعلت من اجله هذه النوادي والذي هو نيل تعاطف الشبيبة الجزائرية قصد التأثير عليها تأثيرا أخلاقيا وثقافيا ،ومن ثم فقد كانت نشاطات هذه النوادي المتنوعة موجهة لتحسيس روادها بمحاسن الإسلام واللغة العربية[1] لتتمكن من حماية الشباب من عوامل الانحراف والفساد الخلقي والاجتماعي، بالإضافة إلى استغلال طاقات الشباب فيما يعود على الأمة والوطن بالنفع والفائدة وتربية الشباب تربية قومية ووطنية سليمة – حتى لا يجرفهم تيار الفرنسة والتغريب الذي كان يهدد الوطن الجزائري كله في الثلاثينات من القرن العشرين ،ومن ثم فقد كانت هذه النوادي كوسيلة فعالة لنشر دعوتها الإصلاحية السلفية من ناحية ولنشر التعليم العربي والديني من ناحية أخرى[2].

كان الاصلاحيون يأملون في أن يعي الشبان الذين يختلفون على النوادي شخصيتهم الجزائرية جيدا ويتطلعون إلى التشبع بالثقافة العربية الإسلامية ، ولأجل تحقيق هذه الغاية فقد ساهمت الجمعية في فتح العدد الكبير جدا من هذا النوع من النوادي ويذكر الإبراهيمي " انه كان لدى الجمعية وحدها أكثر من سبعين ناديا تحمل رسالتها وتضم أتباعها وكانت مراكزها تعم الوطن كله حتى انك لا تجد شابا في الغالب في ذلك الوقت إلا وهو منخرط فيها أو في مدارس الجمعية " [3] ومن بين هذه النوادي التي ساهمت الجمعية في تكوينها نذكر نادي الاتحاد القسنطيني والنادي الإسلامي ونادي النجاح بسيدي بلعباس ونادي الشباب المسلمين في قالمة ونادي الترقي بالجزائر العاصمة ويعد هذا والأخير من أشهر النوادي وأحسنها بحكم انه أول نادي انشأ على النظام الحديث للنوادي وكان له من النظام والاتساع وحسن الإدارة ما جعله يسهم بدور فعال في تاريخ الجزائر الحديث فقد احتضن الحركة الوطنية منذ 1925م وعقدت فيه المؤتمرات العامة ،وانبثقت عنه كثير من الأفكار الوطنية كفكرة جمعية العلماء والمؤتمر الإسلامي ومشروع البصائر وكان مثابة الأدباء

---

[1]– مراد. مرجع سابق. ص. 378

[2]– تركي. مرجع سابق. 2001. ص.400

[3]– زروقة . مرجع سابق. ص. 186.

تلقى فيه الخطب الحماسية والقصائد، والأبحاث الهامة في مستواها الشعبي أحيانا وفي مستواها العلمي أحيانا أخرى.[1]

كانت الجمعية من خلال إنشائها لهذه النوادي تهدف إلى تقديم إصلاحات اجتماعية تحقق إبعاد الشباب المسلمين من الاغواءات غير الأخلاقية ،بالإضافة إلى وضع تنظيم ظاهر لأوقات فراغ الشباب، وتحت رعاية مسؤولين إصلاحيين محليين تمكنت الجمعية من تكوين نواد رياضية وفرق مسرحية وأجواق موسيقية نالت بعضها شهرة كبيرة بفضل تشجيعات الزعماء الإصلاحيين وبفضل الإشهار الذي كانت تقدمه مجلة الشهاب خاصة وأن كانت هذه النوادي قد تعذر عليها تقديم تربية دينية وأخلاقية أصيلة وثقافة دنيوية جادة للشبان ، فإنها مع ذلك شكلت مراكز تأثير جلبت للإصلاحيين تعاطفا جديدا،كما استطاعت أن تقي جزءا من الشباب مما كانت تعده مخاطر التسيب والفرنسة علما بان الفعالية التي كانت تفتقر إليها النوادي الثقافية عوضت إلى حد ما بفعالية تنظيمات الكشافة الإسلامية التي أظهرت لها الحركة الإصلاحية منذ البداية العناية الكبيرة [2]

2- الكشافة الإسلامية:

كانت جمعية العلماء المسلمين من أولى الحركات التي شجعت قيام فرق كشفية في الجزائر، تأثرا منها بالحركة الكشفية التونسية التي حققت نجاحا باهرا في المجال التربوي والثقافي ونالت شهرة كبيرة في معظم أنحاء العالم العربي والإسلامي، فأصبحت مفخرة لجميع التونسيين المتنورين وكذا لأولئك الجزائريين الذين كانوا ينظرون إلى تونس بأنها بلدهم الثاني وخاصة منهم العلماء المصلحين ، إضافة إلى هذا إعجابهم بالكشافة الفرنسية التي كانت تظهر في جولاتها الاستكشافية في الجزائر بانضباطها الرائع واستعراضاتها الثقافية والتربوية الملفتة منها جاءت الفكرة للإصلاحيين لتكوين كشافة جزائرية خاصة على الشاكلة الأوربية لتقوم على التربية الأخلاقية الإسلامية والروح الوطنية الجزائرية هذا ويمكن الذهاب إلى القول انه فضلا عن الوجه التربوي الذي أعجب به الجزائريين ، هناك أمر آخر كان محل دهشتهم وإعجابهم وهو المظهر الخارجي الذي يتميز به

[1]- زروقة . مرجع سابق. ص . 186

[2]- مراد. مرجع سابق. ص. 379

الكشافةوالمتمثل في البدلة الطريفة والانضباط شبه العسكري والأناشيد التي كانوا يرددونها، فمن المحتمل أن يكون هذا كدافع آخر لتكوين الكشافة الإسلامية التي لم يكونوا يعتبرونها كمدرسة للتكوين القاعدي والحس المدني فحسب بل أيضا أداة من شانها تعزيز الشخصية الجزائرية[1] .

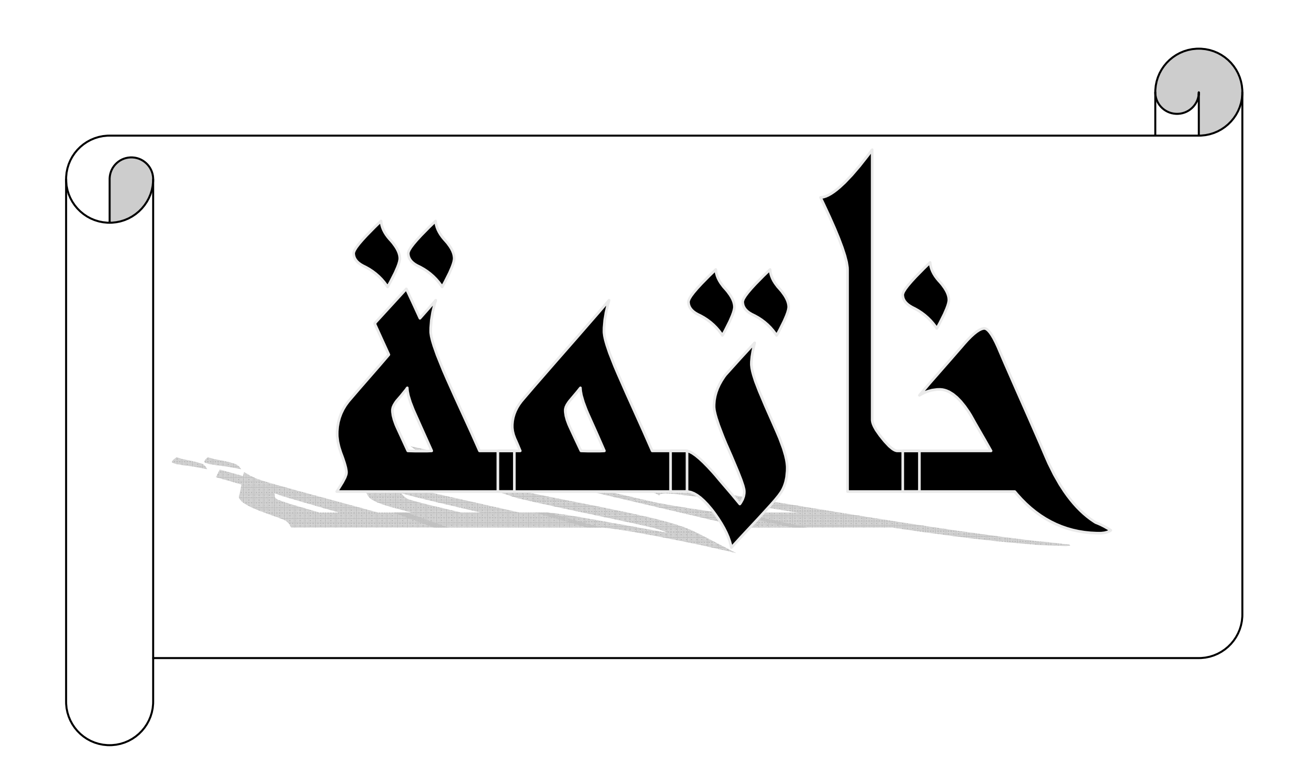
ولما كانت الفرق الكشفية تمثل أداة فعالة في جذب الشباب إليها فقد وجدت فيها الجمعية غايتها التي كانت تبحث عنها من اجل إنقاذ الشباب الجزائري من الإغراءات الفرنسية والانحرافات الأخلاقية ، لذلك فقد كانت من أول الداعين إليها والمشجعين لها لترتبط بذلك الكشافة الإسلامية الجزائرية ارتباطا مباشرا بدعوة الحركة الإصلاحية متبنية مبادئها الأساسية (الإسلام– العربية – الجزائر) ساعية إلى تحقيق أهدافها الإصلاحية[2]وهذا ما يعني أن الكشافة الإسلامية الجزائرية نشأت وترعرعت في أحضان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ،كما نبتت معظم أفواجها وأكثر جمعياتها في أوساط وبيئات إصلاحية إلى جنب المدارس الحرة فكان مرشدوها جميعا من معلمي تلك المدارس وكان أقطاب الحركة الإصلاحية وأئمتها يشجعونها ويساعدونها بتأييدهم ومشاركتهم لها في تجمعاتها لتظهر الكشافة بهذا وحسب مفهوم الجمعية كمدرسة للتربية الإسلامية، والوطنية تساهم في تزويد الشباب بوعي جاد بشخصيتهم العربية الإسلامية ويعتبر تبنيها لها كنوع من الاختيار التحديثي والاستغلال الذكي للموضة المعاصرة لها قاصدة منها تأطير الشبيبة الإسلامية تاطيرا جيدا وتحصينها من مختلف اغواءات التغريب[3].

---

[1]– مراد. مرجع سابق. ص. 380

[2]– المرجع نفسه . ص. 380

[3]– الخطيب. مرجع سابق. ص. 230


خاتمة

الخاتمة:

لقد تجلى لنا من خلال بحثنا هذا مايلي :

– أن الدين يعد من أهم الأبعاد التي تقوم على أساسها الحركات الإصلاحية وذلك للفعالية الاجتماعية الكبيرة التي يتميز بها ،وقد رأينا هذا من خلال أعمال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي كانت تسعى جاهدة بكل مالها من قوة لإعادة التأثيرات الايجابية للدين في المجتمع .

– إن لفظ التجديد الديني أكثر رواجا من حيث الاستعمال في الفكر الإسلامي من الإصلاح الديني الذي يختلف في معناه هو الآخرعما هو في الفكر الأوربي ؛ سواء اليهودي منه أوالمسيحي والذي يقصد منه إقامة مراجعات كبرى للعقيدة وقراءة جديدة للكتاب المقدس مع إجراء تغييرات إما بالإضافة أو الحذف ، أما الإصلاح الديني في الفكر الإسلامي فهو إعادة تفعيل دور الدين في المجتمع من خلال إزالة ما الحق به من التشويهات التي أفقدته وظيفته الاجتماعية .

– من الوظائف المهمة التي يقوم بها الدين في المجتمع وظيفة التغيير الاجتماعي التي لا تتم إلا إذا أثرت الأفكار الدينية في الأفراد أولا في أنفسهم وفي سلوكهم وهو الأساس لكل تغيير في العالم وذلك لكون المجتمع مجموعة من الأفراد فإذا تغيرت أفكارهم تغير بطبيعة الحال المجتمع.

– لقد كان المجتمع الجزائري قبل ظهور حركة الإصلاح الديني يموج بالانحرافات العقدية الناتجة عن الجهل الذي كان السبب الرئيسي فيه الزوايا الطرقية التي ساهمت كثيرا في نشر الأمية الدينية وعرقلت حركة النهضة وكرست ما اسماه مالك بن نبي بالقابلية للاستعمار، ومن جهة أخرى كان الاستعمار يسعى إلى صد الجزائريين عن عقيدتهم لأنه كان يعلم أن العقيدة الإسلامية محرك قوي وباعث فعال على البناء والجهاد خاصة ، لذلك فقد كان من جهود الحركة الإصلاحية في تنظيرها للنهضة التركيز على العقيدة وعلى صحتها ونقائها لتكون مرجعية للعمل النهضوي.

– لقد كان لظهور حركة الإصلاح الديني في الجزائر غداة الحرب العالمية الأولى اثر كبير على المجتمع الجزائري؛ فقد قلبت كل المعطيات الدينية التقليدية في هذه البلاد

وأثرت تأثيرا عميقا على الحياة الأخلاقية والسلوك الاجتماعي لجزء كبير من الشعب الجزائري.

– تعد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الممثل الرسمي لحركة الإصلاح الديني في الجزائر، وهي الأساس الوحيد الذي أعطى للنهضة الجزائرية طاقة الاندفاع نحو الأهداف وهي التي تصدت بكل وسائلها لمشروعات التدمير الطرقية والاستعمارية .

– لقد اتسم عمل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالواقعية المطلقة لارتباطها بالواقع الجزائري وتواصلها مع أفراده بشكل مباشر فتمكنت بذلك من تشخيص أمراضه بكل جدية وإعطاء الحلول المناسبة له.

– أن حركة الإصلاح الديني في الجزائر وان كان لها جذور عميقة في تاريخ الحركات الإصلاحية في العالم فهي فريدة من نوعها فهي نسيج وحيد في شكله وفحواه ويظهر هذا في تمكنها من تحقيق الإصلاح في مختلف المجالات فالحركة الإصلاحية في الجزائر ليست حركة دينية بالمعنى المألوف مثلها مثل بقية الحركات الإصلاحية التي ظهرت في العالم الإسلامي ولكنها حركة استقطبت المهام الاجتماعية كلها .

ففي **المجال الديني:**عملت على تنقية الدين مما الحق به من تشويهات وتحريفات وحاربت الزوايا المنحرفة التي كانت وراء الإفساد الذي الحق بالدين وغيرت مفهوم الإسلام لدى الجزائريين فأكدت أن الإسلام ليس هو مجرد طقوس تودى في أوقاتها وفي أماكنها كما انه ليس شكلا من الأشكال المستعارة لفترة ما وحال تأدية مهمة ما وإنما هو عقيدة وسلوك يتغلغل في أعماق الحياة اليومية للفرد وللمجتمع ، وصدت حركة التبشير والتنصير التي كانت تشجعها الحركة الاستعمارية في الجزائر، وعملت على تحقيق العدل بين الأديان في الجزائر بفصل الدين الإسلامي عن الدولة الفرنسية.

وفي **المجال الثقافي:** عملت إلى إشاعة العلم والتعلم بين أفراد الشعب الجزائري فحاربت الجهل والأمية بإنشاء المدارس والمعاهد في مختلف أنحاء الجزائر المدنية منها والريفية ، وعملت على إيصال دعوتها الإصلاحية إلى كل العالم عن طريق الصحافة التي عملت كل جهودها على تحقيقها وصدت كل معارضات السلطات الاستعمارية لها .

وفي **المجال السياسي:** اتبعت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أسلوب المرونة السياسية فأظهرت في بداية تكونها الموالاة التامة والمساندة للحركة الاستعمارية رغبة

منها في تقوية حركتها دون أي عائق لتظهر فيما بعد وعلى شكل متدرج في مختلف المحطات السياسية: فحاربت قانون التجنيس وحافظت على الشخصية الجزائرية الإسلامية وكذا حاربت مشروع الإدماج وأكدت القومية الجزائرية للشعب الجزائري، ثم ظهرت بموقف سياسي أكثر وضوحا بعقدها للمؤتمر الإسلامي الجزائري سنة 1936م وكذا أظهرت موقفها حيال مشروع فيوليت ومشروع بلوم فيوليت، وفضلا عن هذا أعطت الشعب الجزائري الإحساس بالعزة الوطنية ونفخت فيه روح الافتخار بالانتماء إلى الوطن العربي الإسلامي، ولقد ساهمت بكل هذا مساهمة كبيرة في بناء عدة الثورة الجزائرية الكبرى ضد الاستعمار الفرنسي.

وفي **المجال الاجتماعي** : اهتمت الجمعية بأحوال الجزائريين الاجتماعية اهتماما كبيرا فعملت جاهدة على تغييرها بتغيير حالة الشباب الثقافية، فأنشأت إلى جانب المدارس التعليمية والمساجد النوادي الثقافية وشجعت الحركات الكشفية الإسلامية ولتحسين أوضاع الجزائريين الاقتصادية نادت بضرورة العمل وطالبت الحكومة الفرنسية باحترام ملكية الجزائريين للأراضي الزراعية .

- وبكل هذا تمكنت الجمعية من تحقيق التغيير الاجتماعي العام في المجتمع الجزائري فلم يكن عملها مقتصرا على الجانب الديني والأخلاقي فقط وإنما عمّ جميع مظاهر الحياة الاجتماعية .

– لقد تأكدت وظيفة التغيير الاجتماعي التي تتحقق بالإصلاح الديني من خلال ما قامت به جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فهي كحركة إصلاحية تمكنت من تحقيق التغيير الاجتماعي في المجتمع الجزائري بتمسكها بالدين الإسلامي الذي اتخذته كمرجعية أساسية في عملها بعد أن صححت نظرة الجزائريين إليه فأعادت الدعوة الإسلامية من جديد بأسسه الصحيحة .

البيبلوغرافيا : .

1 - احمد عبد الحميد أبو سليمان.**أزمة العقل المسلم** .المعهد العالمي للفكر الإسلامي .الطبعة الأولى. (ب ت) .

2–ابن منظور – **لسان العرب** .دار صادر –بيروت– ط1 .1374هـ–1900م .

3–ابن منظور. **لسان العرب المحيط.** قدم له العلامة الشيخ عبد الله العلايلي . أعاد بناءه على الحرف الأول من الكلمة يوسف خياط.. دار الجيل، بيروت. دار لسان العرب . سنة 1988م–1408م.

4- ابن باديس عبد الحميد. **مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير.** مطبوعات وزارة الشؤون الدينية. ط1. سنة 1402هـ– 1982م.

5– ابن باديس عبد الحميد. **جريدة البصائر** . السنة الرابعة. العدد 171. قسنطينة . 1358 هـ – 1939م .

6–ابن باديس . **مجلة الشهاب.** م 3 . م5 . م10 ، م11، م 12، م13، م 14 . سنة 1938م، 1937م، 1936م. 1930م.

7.–**آثار الإمام عبد الحميد بن باديس.** ج5، ج3. مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، الجزائر. الطبعة الأولى. سنة 1412هـ– 1991م.

8– أبي الحسن احمد بن فارس بن زكرياء . **معجم مجمل اللغة** . الجزء الأول. دراسة وتحقيق زهير عبد المحسن سلطان . مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية .

9–أبوزهرة محمد. **محاضرات في النصرانية.** تقديم عمار طالبي . تصدير الشيخ محمد الغزالي . شركة الشهاب .

10– الإبراهيمي محمد البشير. **آثار الامام محمد البشير الإبراهيمي . جمع** وتقديم احمد طالب الإبراهيمي. ج3، ج4، ج5.ط1. دار الغرب الإسلامي، بيروت . 1997م .

11– الإبراهيمي محمد البشير. **عيون البصائر** . دار المعرفة . القاهرة. سنة 1963م.

12– الإبراهيمي محمد البشير. **في قلب المعركة** .دار الأمة ، الجزائر . 1994م

13 – بن نبي مالك. **شروط النهضة**،ترجمة عمر كامل مسقاوي ،عبد الصبور شاهين .إشراف ندوة مالك بن نبي . دار الفكر الجزائر/سوريا. الطبعة الرابعة. 1408هـ– 1987م.

14- بن نبي مالك. **وجهة العالم الإسلامي** .ترجمة عبد الصبور شاهين . بإشراف ندوة مالك بن نبي . دار الفكر، الجزائر، دمشق. الطبعة الخامسة. 1406هـ- 1986م

15- بن نبي مالك. **ميلاد مجتمع**.دار الفكر. دمشق -سوريا. 1981م.

16- بودربالة علي. **منهج التغيير الاجتماعي في الفكر الإسلامي** .دار قرطبة . الطبعة الأولى. السنة 1426هـ-2005م

17-. بيومي محمد احمد .**علم الاجتماع الديني**. تقديم محمد عاطف غيث دار المعرفة الجامعية . السنة 2008م.

18- بركات حليم. **المجتمع العربي المعاصر، بحث استطلاعي اجتماعي** . مركز دراسات الوحدة العربية . بيروت. الطبعة الثالثة.سنة 1986م.

19- برغوث الطيب.**حركة تجديد الأمة على خط الفعالية الاجتماعية** .الجزائر.دار قرطبة . الطبعة الأولى.1425هـ-2004م

20- بشور معن ، نواف سلام ،وآخرون . **الواقع العربي وتحديات قرن جديد** . المؤسسة العربية. الطبعة الأولى. 1999م

21- بن رحال زبير، **عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية والفكرية** ،(1889م-1940م). دار الهدى. الجزائر.1997م .

22- البكاري صالح. **أبعاد الدين الاجتماعية**. إشراف عبد الوهاب بوحديبة . الدار العربية للكتاب. 1985م

23- تركي رابح. **الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر**. المؤسسة الوطنية للاتصال . الجزائر . ط5 . سنة 1422هـ - 2001م.

24- تركي رابح .**جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية (1931- 1956م)، ورؤساؤها الثلاثة**.المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر. ط1 .1425هـ-2004م.

25- الجبران.عبد الرزاق **علي شريعتي وتجديد التفكير الديني ، بين العودة إلى الذات وبناء الإيديولوجية** .دار الأمير . الطبعة الأولى. 1422هـ-2002م

26-جفال سامية.**منهجية التغيير عند عبد الحميد بن باديس** . رسالة ماجستير في الدعوة والإعلام . جامعة قسنطينة . 2001 م.

27 –جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.**سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين المنعقد بمركزها العام " نادي الترقي " بالجزائر**. دار الكتب، الجزائر.

28 – الجمعية الثقافية الجامعية.الأمل. " تجربة التغيير الاجتماعي " . **مجلة الفكر** . العدد الأول. 1413هـ–1993م..

29– الخشاب. احمد مصطفي. **الاجتماع الديني، مفاهيمه النظرية وتطبيقاته العملية.** مكتبة القاهرة الحديثة . ط3. 1980م الخشاب.

30– سامية مصطفى. **دراسات في الاجتماع الديني، الكتاب الأول، علم الاجتماع الديني.** الطبعة الأولى. دار المعارف . 1988م

31– الخطيب احمد. **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر.** المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر . سنة 1985م.

32– الدسوقي منى حسن .**الشيخ مصطفى الغلاييني في مفهومه الاصطلاحي، دراسة مقارنة بينه وبين الشيخ الأفغاني ومحمد عبده** .المكتبة العصرية الطبعة الأولى.1419هـ–1999م.

33– دراز عبد الله. **الدين، بحوث ممهدة في دراسة الأديان**. دار القلم. سنة 1400هـ– 1980 م.

34 – ديورانت. ول . **قصة الحضارة (ملخص)** .إعداد سهيل محمد ديب. الجزء الثالث. مؤسسة الرسالة. (ب ت) . (ب ط) .

35– زرمان محمد .**فلسفة التجديد الإسلامي (نموذج الشيخ البشير الإبراهيمي)**. دار الصحوة، القاهرة.1419هـ–1999م.

36–الزغبي محمد احمد. **التغيير الاجتماعي بين علم الاجتماع البرجوازي وعلم الاجتماع الاشتراكي** .دار الطليعة للطباعة والنشر . الطبعة الثالثة. 1982م

37– زعيمي مراد . **علم الاجتماع رؤية نقدية** . مؤسسة الزهراء للفنون المطبعية، الجزائر.(ب ط) . (ب ت).

38– الزحيلي محمد . **وظيفة الدين في الحياة وحاجة الناس إليه** . دار القلم، دمشق. الطبعة الثانية السنة 1407هـ–1987م.

39–زيدان عبد الباقي. **علم الاجتماع الديني** . القاهرة. دار غريب للنشر (ب ط). (ب ت) .

40- زروقة عبد الرشيد. **جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر ،** (1913- 1940) . دار الشهاب، الجزائر. ط1 . سنة 1420هــ- 1999م.

41- السعد نورة خالد . **التغيير الاجتماعي في فكر مالك بن نبي ، دراسة في بناء النظرية الاجتماعية** . الدار السعودية للنشر والتوزيع. ط1 . سنة 1418هــ- 1997م.

42- سطحي سعاد . "التأصيل الديني لمصطلحي الإصلاح والتجديد ". **مجلة الدراسات العقدية ومقارنة الأديان.** العدد الثالث.إصدار مخبر البحث في الدراسات العقدية ومقارنة الأديان. 1427هــ-2006 م.

43- سعد الله أبو القاسم. **الحركة الوطنية الجزائرية (1900-1930).** ج2 . دار الغرب الإسلامي . الجزائر. ط4 . سنة 1992م.

44- سعد الله أبو القاسم.**أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر.** الجزء الرابع. دار الغرب الإسلامي . الطبعة الأولى. سنة 1996.

45- سعد الله أبو القاسم. **تاريخ الجزائر الثقافي ، 1830-1954م** . الجزء الرابع. دار الغرب الإسلامي . ط1 . سنة 1998م

46- الساموك سعدون محمود . **مقارنة الأديان.** دار وائل للنشر . الطبعة الأولى . 2004.

47- السمالوطي نبيل محمد توفيق . **الدين والبناء الاجتماعي.**الجزء الثاني. دار الشروق . جدة . ط1. 1401هــ- 1981م .

48 - ظاظا حسن. **الفكر الديني اليهودي، أطواره ومذاهبه.** دار القلم، دمشق. بيروت. ط4 . 1420-1999م.

49-. طهاري محمد. **مفهوم الإصلاح بين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده** . المؤسسة الوطنية للكتاب، الدار التونسية.

50- عجالى كمال . **الفكر الإصلاحي في الجزائر ، الشيخ الطيب العقبي بين الأصالة والتجديد** .شركة مزوار .الوادي.2005م

51_عمارة محمد."الإسلام وضرورة التغيير".**مجلة العربي.** الكتاب التاسع والعشرون.دار الكتاب العربي. ط1. 1997م.

52- عمارة محمد. **مستقبلنا بين التجديد الإسلامي والحداثة الغربية.** مكتبة الشروق الدولية. ط2 . سنة 1427هـ-2007م

53- العسلي بسام. **عبد الحميد بن باديس وبناء قاعدة الثورة الجزائرية.** دار النفائس . ط2 . 1403هـ- 1983م.

54- الفاروقي إسماعيل راجي. **الملل المعاصرة في الدين اليهودي.** ط2. مكتبة وهبة، القاهرة، دار التضامن للطباعة. 1408-1988م.

55- فيلالى صالح، وآخرون. **الأزمة الجزائرية، الخلفيات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية.**مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت. ط 2 . 1999م.

56- فركوس صالح. **المختصر في تاريخ الجزائر، من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين (814ق.م – 1962م)** .دار العلوم . عنابه، الجزائر. ب ط . سنة 2002-2003.

57- فضلاء محمد الطاهر. **دعائم النهضة الوطنية الجزائرية** . دار البعث، الجزائر. ط1. 14040هـ- 1984م

58- القرضاوي يوسف. **أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة** .(د ط).(ب ت).

59- ليلى علي. **البنائية الوظيفية في علم الاجتماع والانثروبولوجيا ، المفاهيم والقضايا** .دار المعارف . ط1. سنة 1982م .

61- محفوظ محمد. **الحرية والإصلاح في العالم العربي** .تادار العربية للعلوم ، بيروت . ط 1. 1426هـ-2005م..

62 - محسن عبد الحميد .**جمال الدين الأفغاني المصلح المفترى عليه** . مؤسسة الرسالة. ط2. 1406هـ-1985م

63- المودودي أبو الأعلى . **نحن والحضارة الغربية.** دار الشهاب .الجزائر . 1988 م.

64- المسيري عبد الوهاب. **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية،** الموسوعة الموجزة في جزأين. المجلد الثاني. الطبعة الثالثة. دار الشروق. 2006 .

65- **الموسوعة العربية الميسرة** . المجلد الأول، ا-ب. الجمعية المصرية . دار الجيل . الطبعة الثانية.2001م

66- المرزوقي جمال. **دراسات نقدية في الفكر الإسلامي المعاصر** .دار الأفاق العربية . ط1.سنة. 1421 هـ- 2001م
67- مطبقاني مازن صلاح . **عبد الحميد بن باديس،العالم الرباني والزعيم السياسي** .دار القلم ، دمشق . ط2. سنة 1420 هـ- 1999م.
68- المدني احمد توفيق. **هذه هي الجزائر** . ب ط . ب ت .
69. – الميلي مبارك بن محمد. **رسالة الشرك ومظاهره** . دار الغرب الإسلامي . ط 5 . سنة 1421-2000م
70- مرّاد.علي **الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر ، من 1925الى 1940م، بحث في التاريخ الديني ولاجتماعي** . ترجمة محمد يحياتن. دار الحكمة، الجزائر.سنة 2007..
71- نوار عبد العزيز سليمان، جمال الدين محمود محمد. **التاريخ الأوربي الحديث، من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى**. دار الفكر العربي (ب ط) .1419-1999م.
72 - ناصر محمد. **الصحف العربية الجزائرية من 1847 م إلى 1939م**. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر.1978.
73- الهرماسي عبد الباقي ، وآخرون. " علم الاجتماع الديني، المجال –المكاسب – التساؤلات " **الدين في المجتمع العربي**. مركز الدراسات العربية. بيروت. الطبعة الأولى. 1990م.

المراجع الالكترونية:

1-http://ar.wikipedia.org/wik 46- يهودية إصلاحية من ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

2-**الدين الإسلامي. ودوره في الضبط الاجتماعي السلوكي.**

http://www.yabanat.com/vb/newreply.php?do=newreply&noquote=1&p=

3- **رضوان زياد . هل يمكن تجديد الخطاب الديني عبر الخروج من العربية الفكرية المركزية؟**
http://www.hewaraat.com/forum/newreply.php?do=newreply&p=22 7